

للائج سرار و

رافى مى دفعا بجانبى وسجعا فى المحاسولها معانبى وسجعا فى المحالة ولعا فى الحافظ المحاسرة والمحالية المحاسرة المحاسرة المحاسرة المحاسرة المحاسمة المحاسبة الم

محتويــات الرسيالة

مفحــة	الموضــــوع ال
. [الاهــــاء
ب	شكــر وتقــدير ٠
ج	محتويـــات الرســالة :
٤	المقدمـــــة :
	أ ـ سبب اختيار الموضوع
1	ب ـ نطاق البحث ومنهجـــه ٠
12	جـ تحليـل المصــادر
1.4	التمهيد: وفيه مبحثان
•	المبحث الأول: أبو يوسف وعلاقته بالرشيد ومكانتـــه
19	في الدولة الاسلامية ، وفيه مطلبان :
	المطلب الأول: نبذة عن حياة قاضى القضالات
۲.	أبى يوســـف •
71	مولىدە ونشأته
*1	منزلتـــه العلمية
77	روايته للحسديث
37	قة إ
	مناظرة بين القاضى أبى يوسف والامام
70	مالك ٠٠
77	تولى أبى يوسف القضـــا،

سفحـــــــــة	الموضــــوع الم	
٤¥	في الخــارج	
0-	أعمال الرشيد الداخلية · والمجوّى المرمم سرالة ا	
٥٢	المبحث الثانى: فى معنى كلمة الخراج، لا وفيه مطلبان:	
	المطلب الأول: تعريف الخراج والمراد بهذا اللفظ	
٥٣	في رسالة الخراج ٠	
01	معناه اللغـــوى	
30	معنـــاه الاصطلاحي	.) ,
	المطلب الثانى: رسالة الخراج والمهم من محتواها	·
Γο	بايجـــاز ٠	•
ογ	القاضى أبو يوسف المصلح لمالية الدولة	
า	گول :	القمــل الأ
	الحالة الاقتصاذية للدولة الاسلامية كما عرضها أبو يوسف	
	وفيــه ثلاثــة مباحث :	
75	المبحث الأول: موارد ومصارف المال في الدولة الاسلامية	
72	موارد المال في الدولة الاسلامية	
72	الـخــــراج	
זז	الخراج الموظيف	ć
77	حْراج المقاسمـــة	
**	الزكــــاة	a.
Aξ	زكاة الزروع والثمـــار	

الصفحــــة		وع		الموض
84	مقدار الواجب			
٨٥	الزروع والثمار التى يجب فيها العشر			
FA.	نصاب الزروع والثمار •			
AY	زكاة الذهب والغضـــة			·
AY	زكاة أموال التجارة			
AA,	زكاة العسل ٠			
9.	الجزيـــــة			
	الواجب في أموال نصاري بني تغلب			
97	ونصاری نجـــران ۰			
98	العشـــور			
1	الغنائـــم ٠			
1-1	المعادن			
1-4	الرزكــــاز			
1.8	مايستخرج من البحر ٠			
1.4	المصارف الاسلامية			
1-2	مصارف الزكـــاة ٠			
		نى:	حث الثا:	المي
111	أصناف الأراضى والحقوق المتعلقة بها	į		
111	أصناف الأراضى:		-	
111	الأراضى الخراجيـــة	أولا:		

الصفحــــة	الموضــــوع
117	ثانيا : الأراضى العشرية
114	ثا لثا : الأرض الموات
119	حكم الأرض التي باد أهلها ٠
	حكم احياء الأرض المغمورة بالما
171	رابعا : أرض القطائع
171	حكم الاقطاع والغرض منه ٠
سنین ۱۲۳	ليس لأحد أن يحجر الأرض فوق ثلاث
ى	ليس لولى الأمر أن يقطع الأرض الت
188	سبق اقطاعہـا •
حد ولا	ليس للامام أن يقطع أرضًا مملوكة لأ
	لأحد فيها عمارة ٠
177	الحمسى وحكمسسه ٠
174	حــرم المدينــــة ٠
	المبحث الثالث :
اسلامی ۰ ۱۳۰	النشاط الأقتصادى في المجتمع الا
18-	النشاط الزراعى
171	ديــوان الـحــــراج
	اشراف الدولة على تحسين الزراء
188	وتنميـة مواردهــــا ٠

الغمــل الثاني:

الموض____وع الصفح__ة

تشخيص أبى يوسف للانحرافات الواقعة في الدول___ة

الاسلاميـــة ، وفيه ثلاثــة مباحث : ١٣٩

المبحث الأول: الانحرافات في معدلات الجباية المالية

الانحرافات الحاصلة في جباية جمع الصدقات ١٤٠

الانحرافات الحاصلة في جباية الخراج

القبالة القبالة

تشدد المتقبلين في استيفاء الخراج ٠

انحراف بعض القضاة في الأمصار •

انحراف ولاة البريد في العمل الاداري ٠

المبحث الثاني :

الانحرافات في أساليب العمل والادارة 181 تأخير دياس الزرع وبقائه في البيدر مدة

طويل____ة ٠

المبحث الثالث:

الانحرافات في الإجراءات التنفيذية 10٣

القمسل الثالث:

مقترحات أبي يوسف الاصلاحية : وفيه ثلاث مباحث ١٥٧

المبحث الأول

التأكيد على الالتزام بالشريعة الاسلامية 109

ضرورة التزام جباة الخراج بالشريعة الاسلامية ١٦٢

الموضــــوع الصفحـــة

سرعة اداء الصدقات والكف عن التحايل على اسقاطها والاشراف على جمعها • 751 الاحسان في معاملة أهل الذمة عند جباية الجزيــــة • 177 نصاب أرض العشر والخراج 179 حريم البئر والعين في المفاوز ومقداره IYT حريــــم القنـــاة 140 حكم حفر البئر المجاورة 177 الاحياء والاحتجار وحكمهما • 177 بيان أحكام الكلأوالمروج والآجام 144

المبحث الثماني:

مقترحاته الخاصة بمعدلات الجبايـــة المالية وأجوبة بالنص الشرعى عن أسئلة مالية وجهها الرشيد اليه ٠٠ القبالــــة 14-ضريبة العشور TAC مقدار مايأخذه العاشر من التجار 140 الصدقة الواجبة على نصارى بنى تغلب PAC ماينبغى أن يعامل به أهل الذمة 191 احياء الأرض المواء واقطاعها 381 الترغيب في تعمير القطائع واحيائها الموضـــوع الصفحـــة

مقترحات أبى يوسف في الجزائر: في دجلة والفرات T-1 الغروب 1-0 حفر النهر اذا ترتب عليه ضرر بالعامة 1-7 كرى النهر وانبثاقـــه T-4 شرب الشفه وسقى الزرع 11-النهى عن بيع الماء ألا يترك محرزا TIT جواز مقاتلة صاحب الماء لمنع الناس من الشرب 317 حكم الأنهار العظام 110 حكم المشرعة • 117 النهـــر الخاص٠ 111 حكم الصيد في أرض الغير 119 حكم من أراد أن يحفر مجرى في أرض غيره 119 حـق المجـرى 11-المبحث الثالث: مقترحاته الخاصة بأساليب العمل 777 الصفات الواجب توافرها فيولاة الخراج 777 مبدا المراقبة والمتابعة 377

السياسة الحكيمة في معاملة الولاة للرعية

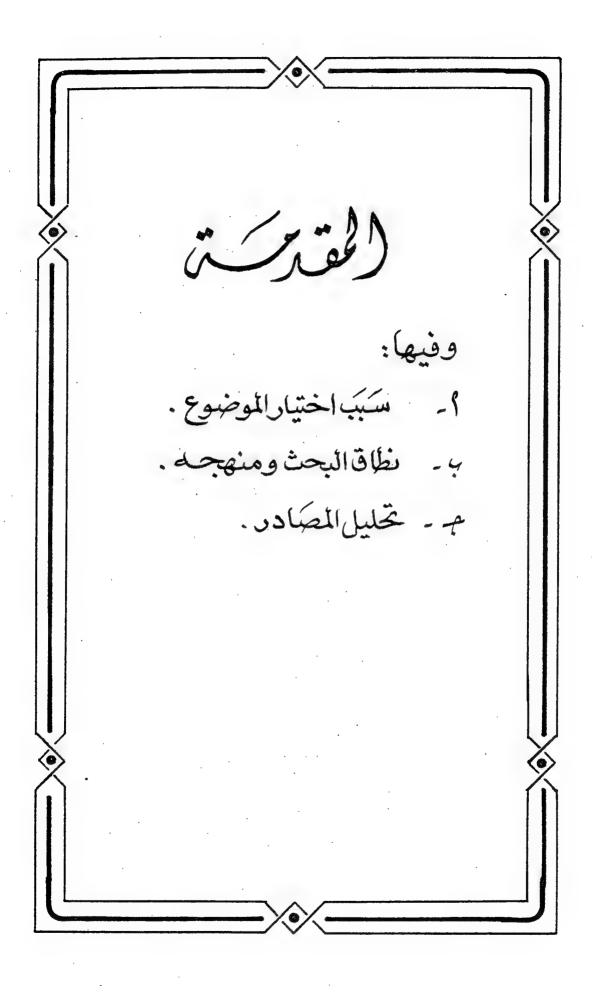
الموض_____وع الصفح___ة

عدم جواز هبة الخراج الاباذن الامام 771 171 لايجوز تحويل الأرض الخراجية اليي عشرية ولا العكس 777 اسلوب العمل السليم للمحافظة علب محصول الزرع 777 أخذ الخراج بناء على كيل عادل • TTT الدعوة الى ضمان انصاف أهل الخراج بمنع استيفاء ماليس عليهم وباسقاط الزيادات ٠ 770 الواجب في الخراج الميسور من الفضة والذهب بلا فرق بينهما • 777 حباية الجزية من المدن والقرى والرفق بأهل الذمــــة • 777 حقوق أهل الذمة وواجباتهم تجاه المسلمين ٢٤٠ لباس أهل الذمية • 737 اذن الامام بحفر الأنهار القديمة اذا كانت فيها نفع ٠ 337 نفقة حفر الأنهار العظام والخاصة وتطهيرها ٢٤٦ احراق المالك لغضلات زرعه وسقيه اذا ترتب عليه الاضرار بغيره ٠ 727 729 البريد ودوره الادارى والاقتصادي

الصفحـــــة	وع	الموضــــــــــــــــــــــــــــــــــــ
	الصفات التي يجب توافرها في صاحب	
70-	البريــــد ٠	
107	أرزاق العمـــال والقضاه	
307		الخاتمة :
XOX.		، الملاحــــق:
POT	الملحق الأول •	
771	الملحق الثانى	
TYY	الملحق الثالث	
TYA	الملحق الرابع	
7.4.	بع ۰۰	قائمة المصادر والمرا







أ _ سبب اختيار الموضيوع : ٠٠٠

اللهم لك الحمد على واسع فضلك ، وعظيم نعمك ، سبحانك لانحصى ثنيا، عليك انت كما أثنيت على نفسك ، سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنيا ، انك أنيت العليم الحكيم ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذي بعثته رحمه للعالمين وهدى للمسترشدين ٠

أمسابعسد: فقسد استخرت الله تعالى ، وجعلت موضوع رسالتى التسى اتقدم بها الى كلية الشريعة والدراسات الاسلامية بجامعة أم القرى ، للحمسول على درجسسة الماجستير في الحضارة الاسلاميسة ، هو: " رأى أبو يوسسف في الحياة الاقتصادية للدولة الاسلامية في عصر هارون الرشيد من خسسلال كتسساب الخسسراج " ٠٠

والسبب فى اختيارى هذا الموضوع أنه يمثل الحياة الاقتصادية فى واحسد من أزهى عصور الاسلام وأوسعها حضارة وأقواها من الناحية الماليسم ويضاف الى ذلك أن أبا يوسف فقيه ناضج من فقها المسلمين ، فى مورد عظيمه من موارد الدولة بعد ما اتسعت الفتوح وكثرت الموارد ٠

فقد حاولت أن أكتب هنا صفحة من صفحات الحضارة الاسلامية يتضوفيها سمو الاسلام وغنا وم في السياسة المالية ، وكيف أصلحت أحكام الأحوال الاقتصادية والنظم المالية ، وأزالت الظام الذي كان السمة المميزة للحمود أكاسسرة الفرس وقياصرة الروم ، فاخترت من أنظمة الخلافة الخلافة في عصور الاتساع والاستقرار مايكشف مدى مانفع الناس وأصلسح

أحــوالهم •

ودرست لتحقيق هذا الغرض ، رسالة الامام أبو يوسف فى الخراج لأنها الوثيقة الموضحة لمعالم النظم المالية ، والتى هى ثبت صحيل السند ، وأحكامه موثقه الأدلية من كتياب الله وسنة رسوله وأقيال السلف الصيالح ٠

وبهذا خدمت هذه الرسالة جانبا عظيما من جوانب الحضارة الاسلامية ، ولم تكتف عليم محة أسانيدها بالأخب المالي من أصبح الأسبند هذا الجانب المالي من أصبح الأسبند ،

ب ـ خطـــة البحث ومنهجــــــه ••

أما خطـة البحث تتألـــف من :

مقدمة ، وتمهيد ، وثلاثية فصول ، وخاتمستة وملاحيق ، وفهرس للمصادر والمراجيع التي بني البحث على معلوماتها احتوت المقدمة على سبب اختيار الموضوع ، وخطة البحث ومنهجي فيسته ٠

أما سبب الاختيار فقد قدمته ، أما خطة البحث فإنها تتألف مما يلى:التمهيد : ويشقم ل على ثلاثة مباحث ، عقدت المبحث الأول عن أبري يوسف
وعلاقته بهارون الرشيد ، ومكانته في الدولة العباسية ، وقد تضمن المبحدث

* وعقدت المبحث الثانى : لتعريف كلمة الخراج وبيان المهم من محتوى رسالة الخراج بايجاز •
 أما الفصول :

فقد عقدت الفصل الأول : عن الحالة الاقتصادية للدولة الاسلامية · كما عرضها أبو يوسف ، وهو يحتوى على ثلاثــــة مباحث :

الأول:تحدثت فيه عن موارد ومصارف المال في الدولة الاسلامية ، والموارد هي:
الخصوراج ٠٠ وقسمته الى خراج موظف أو مساحة ، وخراج مقاسمة ، والخراج الموظف وبهنت

على الرشيد أن يجعله خراج مقاسمة ؟٠٠ ولماذا سمى أبو يوسف رسالته ٠٠ برسالة الخصيراج ٠٠ مع أنه تحدث فيها عن موارد أخرى ؟ ٠٠

ومن الموارد أيضا: الزكاة ، والجزيدة ، والعشور ، والغنائم ، والمعادن ، والركاز ثمم مايستخصرج من البحصور ·

وتناولت كل مورد بالشرح وواقع أمره في الدولة العباسية ٠٠

أما المصارف الاسلامية بوجه عام لما يجبى من الموارد ، والغرض منها اقامة مصالح الدولة من اعزار للدين ، والدفاع عن أهله ، وقضاء حاجات المعوزيلسن على ألا تخلط أموال الزكاة بغيرها من الموارد •

أما الزكاة فتصرف فى مصارفها الثمانية التى ذكرها الله فى القصران الكريسيم • قال تعالى: " انّما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليه والمولفة قلوبهم وفى الرقاب والغارمين وفى سبيل الله وابن السبيل " •(١)

ومصرف خمس الغنيمة هو : اليتامى والمساكين وابن السبيل ، على أن يقدم في الثلاثـة قرابـة رسول الله على سائر الناس •

وأما الخراج والجزيمة وغيرها من الموارد سوى الغنيمة والزكاة فتصرف فى المصالح العامة ، كنفقات الدفاع والأمن وإقامة الجسوروحفر الأنهار ، والتعليم وأرزاق المسولاة والقضاة ، والجند ، والشُرُط وغيرهم من عمال الدولمسة .

⁽١) سورة التوبـة ، آيـة (٦٠)

وبينت حكم فى الشريعة كما جاء فى رسالة الخراج ، وختمت هذا المبحث بالكلام عن حرم المدينة وخلاف الفقهاء فيهد

كما تحدثت عن اشراف الدولة على تحسين الزراعة وتنمية مواردها ، بحفــــا الأنهار لم الخراج ذلك ، ووجد فيه ولاة الأمر صلاحا ، وتوسيعــــا للرقعـة الزراعيـــة ، وزيـادة للخراج ٠

وكذلك اقطاع الأرضين واحياء الأرض الموات للمحتاجين وللتشجيع على الرراء وليستحار برماعلى المعيشة،

أما الفصل الثانى: عقدته عن تشخيص أبى يوسف للانحرافات الواقعة فى الدولة الاسلامية وهو يحتوى على ثلاثة مباحث: - المبحث الأول: عقدته لبيان الانحرافات الواقعة فى معدلات الجباية المالية وتكلمت فى الأمور التاليسية: -

الأول : في جبايسة الصدقات ، وتشدد الحباة وإيقاعهم الأذى بالرعية ، وظلمهسم وأخذ كرائم أموالهسم وما الى ذلك ٠

والثانى : التقبيل ، ومايحويه من ظلم وايذا ، للرعية بجمع الجباة أكثر مما تعاقدوا مع الوالى علييه •

الثالث : القضاء ٠٠ انحـــراف بعض القضاة وأخذهم أموال اليتامى٠

والرابع: البريد ١٠ انحراف بعض عماله باعطاء الخليفة أخبارا كاذبة عن الصولاة والرابع : البريد والقضاة والأوضاع العامالة والعامالية والمتاع العامالية والمتاع والمتاع العامالية والمتاع والمت

ثم عقدت المبحث الثانى : فى الانحرافات الواقعة فى أساليب العمل الاداريــــــة فى ثلاثـــة أمور :

الاهمــال في جمع المحاصيـل:

التأخير في دياس الزرع وبقائه في البيدر مدة طويلة ، وهذا يودي الى نقص الخراج ٠

والظلم الذي يقع في الخرص وتقدير المحاصيل ، واتهام أرباب الخراج بضياع بعــــف والتهام الدي يقع في الخرص وتقدير المحاصيل ، واتهام أموال بيت المال بغية أن يأخذوا منهم أكثر مما عليهم •

والانحرافىات:

الواقعية في جباية الخراج ، وعدم اختيار الجباة الذين تتوفير فيهم الخبرة والأمانية •

وعقدت المبحث الثالث: في الاتحرافات التي تقع من عمال الدولة على الفلاحيـــــن في الاجراءات التنفيذيـــة ، مما يضطـر المزارعين الى تأخير استخراج المحاصيـــل حماية لأنفسهـم من الجشع الذي كان يتصف به الجباة ، لأن الجباة كانوا يلجـــاؤن الى وسائل ارهابية كالفرب ووضعهـم في الشمس وتعليق الجرار في أعناقهـم ، وتعذيبهم بالزنابيــــر .

وكان بعض أعوان جباة الخراج يطلبون من أرباب الخراج الجعل الذي يفرضه لهـم ولاة الخراج ـ مع المطالبة بالخراج • ربما كان هذا الجعل أكثر مما فرض عليهـم من الخراج •

وتحدثت أيضا عن طلب الجباة وأعوانهم أن يقريهم (١) أهل الخصوراج ما يكلفهم الكثير وينزل بهم الظلم

⁽۱)يقربہــــم : يضيفهـم ٠

أما الفصل الثالث: فقد خصصته لمقترحات أبى يوسف الاصلاحية ، لعسللج الاعجرافات التى ذكرتها فى الفصل الثانى ، وبيان بعض الأحكام الشرعية التى سلل عنها الرشيد ، وأراء أبي يوسف فيما يعلى من شأن الدولة ومرافقها •

والفصل يتألف من ثلاتهمة مباحث :-

عقدت المبحث الأول: في التأكيد على الالتزام بالشريعة الاسلامية ، وتحدثت في عدة أمور: ضرورة التزام جباة الخراج بالشريعة الاسلامية ، سرعة أداء الصدقول المنافق عن التحايل على اسقاطها والاشراف على جمعها ، الاحسان في معاملة أهل الذمية عند جباية الجزيية ، نصاب أرض العشر والخراج ، حريم البئيل المجاورة والعين في المفاوز ومقداره ، وحريم العين ومقداره ، حكم حفر البئير المجاورة الاحياء والاحتجار وحكمها ، بيان أحكام الكائم والمروج والآجام ٠

مروعقدت المبحث الثانى: عن مقترحات أبى يوسف الخاصة بمعدلات الجبايــــــة الصالية ، وأجوبة بالنص الشرعى عن أسئلة مالية وجهها الرشيد اليه ٠

فتحدثت عن القبالة ، ضريبة العشور ، مقدار مايأخذه العاشر من التجار الصدقة الواجبة على نصارى بنى تغلب ، ماينبغى أن يعامل به أهل الذمة، احياء الأرض الموات واقطاعها ، الترغيب فى تعمير القطائع واحيائها ، مقترحات أبو يوسف فى الجزائسر التى فى دجلة والفرات ، حفر النهر اذا ترتعليه غرر بالعامة ، كرى النهسر وانبثاقه ، شرب الشفة وسقى الزرع ، النهسر عن بيع الماء الا أن يكون محرزا ، جواز مقاتلة صاحب الماء لمنع الناس من الشرب حكسم الأنهار العظام والنهر الخاص ، حكم الصيد فى أرض الغير ، حكسم من أراد أن يحفر فى أرض غيره ، حق المجسورى .

معقدت المبحثالثالث: في مقترحات أبي يوسف الخاصة بأساليب العمل الاداريـــــة
 وتحـــــدثت فيه عن الأمور التاليـــــــة:-

الصفات الواجب توافرها في ولاة الخراج ، مبدأ المراقبة والمتابعية ، السياسة الحكيمة في معاملة الولاة للرعية ، عدم جواز هبة الخراج الا باذن الامصل السليم لا يجوز تحويل الأرض الخراجية الى عشرية ولا العكس ، أسلوب العمل السليم للمحافظة على محصول الزرع ، أخذ الخراج بناءً على كيل عادل ، الدعوة الممان انصاف أهل الخراج بمنع استيفاء ماليس عليهم وباسقاط الزيادات ، الواجبببب في الخراج الميسور من الفضة والذهب بلا فرق بينهما ، جباية الجزية من المصدن والقرى ، حقوق أهل الذمة وواجباتهم تجلماه المسلمين ، لباس أهل الذمة ، اذن الامام بحفر الأنهار القديمة اذا كان فيها نفع ، نفقة حفر الأنهار العظام والخاصة وتطهيرها ، احراق المالك لفضلات زرعه وسقيه اذا ترتب عليه الاضرار بغيره البريد ودوره الادارى والاقتصادى ، الصفات التي يجب توافرها في صاحب البريدة ، أرزاق العملان والقضاناة ،

وقد التزمت فى كل ما ذكرته بما ورد فى رسالة الخراج للقاضى أبو يوسف، وأيدت كل فقـرة من الفقـرات بنص من هذه الرسالة •

ثم عرضت في الخاتمـة أهم نتائج البحث بشكل موجـــز ٠٠.

وقد ألحقت بالبحث عدة ملاحــــق ٠٠٠

الملحوم الأول: فذكر من سبقوا أبل يوسف في كتابة الخراج كهدالله به المعقوى وأبوعبيد الله معاوية بهرار و فرير المحرى عرف في كتابة الله به الحسيم العنهري ، و فرير المحرى عرف العالم عميد الله به الحسيم العنهري ، والملحق الثانى : عن قائمة الخراج في عهد هارون الرشيد التي أثبتها الجهشيساري

في كتابه الوزراء والكتـــــــاب

الملحق الثالث : عن نص كتاب الرشيد الى واليه على خراسان على بن عيسسسسى ابن ماهان بخلعه ٠

الملحق الرابع: عن نص كتاب الرشيد الى هرثمــــة بن أعين حين ولاه خراســـان وخراجهـــا • أما المنهسسج الذي سلكته ٠٠ فهو العمل على تحليل ماورد في كتساب الخراج ، لاستخراج ما به من موضوعات ومسائل ومشكلات ، عبرت عن آراء أبي يوسف في الحياة الاقتصادية في العصر الذي كتب فيه كتابه ، ثم تنظيم ذلك كلسسه في تمهيد وثلاتهة فصول وخاتمة ، وتحت كهل ١٠٠ كتبت في كل مبحث مسافي تمهيد من رأى أبي يوسف في كل مسألة من المسائل ، ثم عقبت على ذلك بالنسسس الذي أورده أبو يوسف تأييدا لما ذكرت ٠

وقد استفدت من بعض مصادر التاريخ المعاصرة ، كما رجعت الى بعــــف كتب الفقــه الحنفــى لتوضيـح كثير من المصطلحات على ضوء انتماء القاضــــــى أبى يوســـف اليه ٠

وقد توخيت فى ذلك كله السهولة فى الأسلوب والبسط فى العبارة توضيحا لما قصدت ٠

وأخيرا ١٠ فهذا جهد متواضع ، لعلصي أكون قد وفقت ، فمصاكان صوابا فمن عبد الله ، وطن كان غير ذلك فهو تقصير منى ، واللصمن ورا، القصصد ، وهو حسبنا ونعم الوكيال ٠

ج _ تحليـــــل المصـــادر ٠٠

بنى هذا البحث على معلومات وردت فى عدد كبير من المصلدر والمراجع ، غير أن المصادر التالية كان لها الفضل فى تزويد البحث بأهروأغلب المعلومات •

إن أهم مصدر اعتمد عليه البحث اعتمادا يكاد أن يكون كليا هــو:-

كتـــاب الخراج لأبي يوســـف :-

فقد استقيت منه جـــل المعلومات ، وسوف يرد تعريفه فى محتوى الرسالة بايجــاز • ويعتبر هذا الكتاب على كل حال من أعظم الكتب الاسلامية التــــى تحدثت عن النظم الماليـــة من وجهة نظر شرعية •

أما كتاب " فقه الملوك ومفتاح الرتاج المرصد على خزانة كتاب الخراج " ٠٠

مولفه عبد العزيز الرحبى المتوفى سنة (١١٨٤هـ/ ١٧٧٠م) وهو كتاب يقع فى جزأين _ فهو شرح لكتاب الخراج لأبى يوسف بشكل مفصل • وقد حققه الدكتور أحمد عبيد الكبيسى • ونشره فى بغداد عام ١٩٧٣م • وقسد استفاد هذا البحث منه كثيرا •

كتــاب الخــراج:

ليحى بن آدم القرشيي المتوفى سنة (٢٠٣ه / ٨١٨م) ، فيشمل عليي موضوعات متعددة فى الزكاة ومصارفها ، والخراج ، والجزية ، والغنيمة ، والفيي وقد أفياد البحث منه فى الاستطرادات الحكميية •

كتــاب الأموال:

لأبى عبيد القاسم بن سلام ـ المتوفى سنة (٢٢٤ه / ٨٣٨م) ، ويعتبر من المصادر التى قدمت معلومات مهمة لبحثنا هـذا • وهو يتكون من أربعة أجــزاء تحدث فيه مؤلفه عن الناحية المالية فى الدولة الاسلامية ، والخراج وجبايته ، وأنــواع الأراضى ، والغنائم ، والفىء ، والصدقات •

وقد أفاد منه البحث في المقارنات ، وعند متابعة آراء الفقاء في الأحكام الخاصية بهذه الموضوعات •

كتـــاب فتــوح البلدان:

لأبى الحسن أحمد بن يحى البلاذرى الذى ولد فى أواخر القرن الثانى الهجرى وتوفى سنة (٢٧٩ه / ٨٩٢م) ، هو من الكتب القيمسة ٠

لقد تحدث البلاذرى فى كتابه هذا عن هجرة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم من مكة الى المدينة ، وعن غزواته مبتدئا بغزوة خيبر ، كما تحدث عن خلافة أبى بكر المصديق ، وعمر بن الخطاب ، وتحدث عن أرض الخراج ، وعن ضريبة الخراج ، وعن العراق وحدوده ، وقد أمدنا بمعلومات قيمة عن القطائع ، اضافة عن المعلومات المتصلة بأحكام الأراضى المفتوحـــة عنوة ، والاجراءات العملية التى مارسهــــا حكام الدولـــة الاسلّميــة عند الفتح ، والتى اعتمدت كابقة شرعيــــة يلزم بها ويقاس عليهـــا ،

أما كتـاب تاريخ الأمـم والملوك:

لأبى جعفر محمد بن جرير الطبرى ـ المتوفى سنة (٣١٠ه/ ٩٢٣ م)، وهـــو من الحوليات ، الذي يقدم المعلومات التاريخيــــة مرتبة على أساس السنيــــن

فقد تحدث عن بدء الخليقة حتى نهاية القرن الثالث الهجرى ، وهو كتاب يضــــم معلومات مهمة من الناحية السياسية ، وقد أفاد منه البحث معلومات قيمة عن حياة الخليفة هارون الرشيد الذي يعد عصره عصرا ذهبيا من الناحية الاقتصــــادية والعلمية ، ومن ناحية استتباب الأمن •

أخبار القفاة:

لمحمد بن خلف بن حيان بن صدقة بن زياد بن أبو بكر الضبى القاضي المعروف بوكيع ـ توفى (٣٠٦ه) وهو يعتبر من المصادر التى قدمت معلومات مهمة للبحث عن حياة القاضى أبو يوسف، وعن حياة القاضى عبيد الله بن الحسن العنبرى فالكتاب ليس مجموعة لأحكام القضاة الذين وصل الى المؤلف علمهم، وانما كتاب أدب ولغة ، وكتاب تاريخ وقصص ، وهو صورة للحياة السياسية للدولة الاسلامية فى ذليك العصر ، فقد كتب أخبار القضاة فى جميع الأمصار الاسلامية فى ثلاثة القيسرون من صدر الاسلام الى نهاية العصر العباسى الذهبى ، إن هذا الكتاب من أقدم الكتيب التى وصلت الينا ، والتى عرضت لأخبار القضاة ، فهو مصدر قيسيم ٠

" الوزراء والكتّـاب:

وقد ألفه أبو عبد الله محمد بن عبدوس الكوفى المعروف بالجهشيارى بلوفى (٣٣١ه / ٩٥٦م) الذى ترجم فيه للمشهورين من وزراء الدولة الاسلامية، ومسن طبقة الكتاب، سواء منهم من تولى الخراج أم غير ذلك من الوظائف ٠

والكتاب يقدم معلومات مهمة فى اختصاصه عن عهد دولة الخلفاء الراشديسن، ويواصل فى تقديم معلوماته حتى نهاية عهد المأمون، وهو يتحدث أيضًا عن النظلماد ٠٠٠ الادارية، وتولى الولاة والوزراء، وعن جباية الخراج، وهو يعد بحق من المصادر ٠٠٠

الأساسية فى دراسة التاريخ الاسلامى ، وقد أفاد البحث منه كثيرا فى أكمــــال الصورة التاريخيـــة التى ارتبط بها ٠

مفاتيــــح العلوم:

لأبى عبد الله محمد بن أحمد بن يوسف الخوارزمى ـ توفى (٩٩٧هـ/٩٩٩م) ـ فانه يعتبر بحق دائرة معارف مصغرة فى معنى المصطلحات المعجمة ، وقد أفادنــــى فى بحثى ، فى معنى المصطلحات الخراجية ، والمكاييل والمقاييس، والماء وديـــوان البريــــد وألفـــاظ المساح ٠

كتاب الأحكــام السلطانية:

معجـــم البلدان:

لشهاب الدين أبى عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموى الرومى البغدادى ــ توفى سنة (١٣٦٦ه / ١٣٣١م) ، وقد استفدت من كتابه فيما يتعلق بالعــــراق وحـــدوده ، وفى شرح أسماء الأمكنـــة والمدن والقبرى والأنهار التى وردت فى البحث .

ولابد من الاشارة أخيرا الى كتاب البدايسة والنهايسة:

سار فى تأليفه مثل الطبرى وابن الأثير ، فى ذكر الحوادث حسب السنيسين وقد اهتم بالتراجم ، يبدأ بذكر أهم الأحداث ، ثم يلى ذلك تراجم الوفيات ، وقسد أمدتنى بمعلومات مهمة عن حياة القاضى أبى يوسف ، وحياة الخليفة هارون الرشسيد ولذلك يعد الكتاب هن المصادر الأساسية فى دراسة التاريسخ الاسلامى ٠

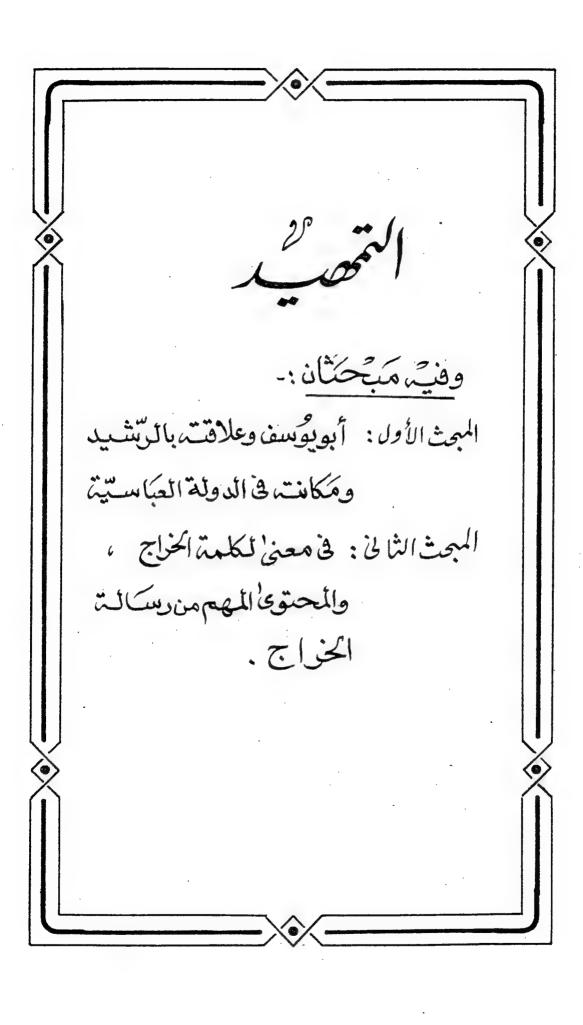
* ______

ميكرولف رير

دسعد في م المعامر المعامر الى القرص المرى المحسئولين في م المعرف المرك المرك

ولأساك هى لأى بريمانا شرة للعلى بى محبيب عراق المحافي بي محبيب مراق ولأستاذه وللعلى الهولتورمسال عي لأفرار مشكره ونقر بره ولاستاذه وله الجليك لهولتورمسال هي وللمشرف على ولرسالة ، وله هي ولوبالي وللسولاب في لأشاد بحثى ، في لارث وها حي و في طلاكم للمولاب في لأشاد بحثى ، مرد و هي وفي طلاكم للمولوب في لأشاد بحثى ، مرد و هي وفي طلاكم للمولوب في الشاد بحثى ، مرد و هي وفي طلاكم للمولوب في الشاد بحثى وفي طلاكم للمولوب في الشاد بحثى وفي طلاكم للمولوب في الشاد بحثى وفي طلاكم للمولوب في المشاد بحثى وفي طلاكم للمولوب في المشاد بي المولوب في المؤلوب في المولوب في المؤلوب ف

ولأفرص من الحراجية عن فير الجراء . الم



(المحركان وك

أبوبوسف وعلاقت، بالرسيد، ومكانته فالدولة العباسية.

وفية مطلبان :-

المطلب الأول: بنذة موجزة عن حياة قاضى

القضاة أبي يوسف.

المطلب الثانى: نبذة موجزة عن حياة أتخليفة

هارون الرسيد .

*1	•	,	_	_									<u>_</u>	_	ت	i	"
=	=	=	=	=	=	=	=	=	=	=	=	=	=	=	=	=	=

(أبو يوسيف وعلاقته بالرشيد ومكانته في الدولة الاسلاميسة)

+

" " المطلــــــب الاول " "

نبذة موجزة عن حياة قاضى القضاة أبي يوسف:

مولـــده ونشأته :-

القاضى أبو يوسف هو يعقوب بن ابراهيم بن حبيب بن خنيس بن سعد ابن حبته (1) _ أحد أصحاب رسول الله _ صلحي الله عليه وسلم .

ولــــد القاضـــ أبو يوســنة شـــلات عشرة ومائـة للهجرة .

- (۱) أبى الفداء الحافظ بن كثير الدمشقى ـ ت : ٧٧٥ه ـ تحقيق / أحمد أبو ملحم وآخرون ـ ـ البداية والنهاية : ج ١٠ / ص ١٨٦ ـ (ط ١ ـ بيروت ـ ١٩٨٥ م) الحافظ أبى بكر أحمد بسن على الخطيب ت ٣٦٦ هـ تاريخ بغداد ـ ج ١٤ / ص ٣٦٣ (دار الكتب العلمية ـ بيروت) محمد بن خلف بن حيان المعرف بوكيع ـ ت ٣٠٦ ـ اخبار القضاة ـ ج ٣ / ص ٢٥٥ (عالم الكتب ـ بيروت) يعقوب بن ابراهيم بن حبيب بن خنيس بن سعد بن حبته ـ ت : ١٨٠٩ تحقيق / أحمد ابراهيم البنا ـ كتاب الخراج ـ ص ١٤٧ (دار الاعتصام ـ القاهرة) يحقيق / أحمد ابراهيم البنا ـ كتاب الخراج ـ ص ١٤٠ (دار الاعتصام ـ القاهرة) •
- (۲) البجلى: _ بفتح الباء الموحدة والجيم _ هذه نسبة الى قبيلة بجيلة ، ٠٠٠ وقيل أن بجيلة اسم أمهم ، وهى من سعد العشيرة ، وأختها باهلة ، ولدتا قبيلتين عظيمتين نزلت الكوفة ، منها أبو عمرو جرير بن عبد الله البجلى صاحب رسول الله _ صلى الله عليه وسلم ٠ عز الدين بن الأثير الجزرى _ اللباب فى تهذيب الأنساب _ ج ١/١٢١ (دارصادر _ بيروت _ ١٤٠٠هـ ١٩٨٠م)٠

بالكوفية (١⁾ ، وهو عربي الأصل ·

نشأ وأقام فى الكوفة التى كانت من أهم المراكز العلمية فى ذلك العصر، حيث اتسعت في العلامية القرآنية والفقهية والحديث (٢)

وقد نشأ أبو يوسف فقيرا ، وتوفى أبوه وهو صغير ، واضطرته الحاجة الى العمل عند قصار ثياب ، وكان يمر على حلقة درس أبى حنيفة (٣) فيجلس فيها ، فلما علمت أمه بذلك أخذت ترافقه وتذهب به الى القصار حتى لا يجلس فى حلقة أبى حنيفة ، فلما غاب عن درس أبى حنيفة افتقده وسأل عنه ، فلما حضر الى الحلقة بعد ذلك سأله أبو حنيفة عن سبب تغيبه قال: المعاش ، فلما انصرف الناس عن الحلقة أعطاه صرة بها نقود وقال له : الزم الحلقة، واذا فرغت أعلمنى وكان يعطيه النقود دون أن يعلمه أبو يوسف بنفاذها ، (٤)

منزلته العلميسة:

وكان أقرب تلاميذه اليه ، كان يغشى مجالس العلما ، فى مختلف الاختصاصات ، فالصحى

⁽٢) أبو يوسف _ن ٠ م ٠ س _ ص / ١٤ ٠

⁽٣) هو الامام أبو حنيفة النعمان بن ثابت التيمى مولاهم الكوفى، فقيه العراق، وأحدالأئمة الأربعة توفى سنة ١٥٠ ه ، ابن كثير - البداية والنهاية - ج ١١٠/١٠ - ابن خلكان - وفيلسات الأعيان - ج ٥/ ص ٥٠٥ ، شهاب الدين أبى الفضل أحمد بن على بن حجر العسقلانى ت ٨٥٢ - تهذيب التهذيب - ج ١٠/ص ٤٤٩ - الطبعة الأولى - (مطبعة مجلس دائرة المعلسارف النظامية - حيدر آباد الدكن - ١٣٢٧ه) ٠

⁽٤) أبو يوسـف <u>٠ن٠٩٠س</u>ـ ص/ ١٤ ، ابن كثيـــر ـ المصدر السابق ـ ج ١٠/ ص

جانب مداومته على حضور مجلس الامام أبى حنيفة تشير المصادر الى أنه جلس كذلك الى حلقة محمد بن عبد الرحمن بن أبى ليلى (1) وكان الغالب عليه مذهب أبى حنيفة ومع ذلك فقد كان يخالفه في مسائل كثيرة ، وكان أبو حنيفة يشهد له بأنه أعلم الناس (٢) ، ويعتب مده في مسائل عده في مسائل عده في مسائل كثيرة ،

قال محمد بن الحسن : " مرض أبو يوسف فى زمن أبى حنيفة مرضا خيف عليه منه ، قال : فعاده أبو حنيفة ونحن معه ، فلما خرج من عنده وضع يديــــه على عتبة بابه وقال : ان يمت هذا الفتى فانه أعلم من عليها • وأومــــا السي الأرض " (٣)

وقال اللكنوى :" ٠٠٠ كان صاحب حديث حافظ ولزم أبا حنيفة وغلب عليه الرأى وولى قضاء بغداد فلم يزل بها حتى مات سنة ١٨٣ ه فى خلافة هلسارون الرشيد " ٠٤٠)

 ⁽۲) المكي ـ المناقب ـ ج١/ صص ١٠٨، ١٠٩ ، الخطيب البغدادي ٠ ن ٠ م ٠ س ـ ج ١٤ / ص ٢٤٦ ٠ المكي ـ المناقب ـ وفيات الأعيان ـ ج ٥/ ص ٤٢١ ٠ (٣) الخطيب البغدادي ـ م ٠ س ـ ج ١٤/ص٢٤٦٠ (٤) أبو يوسف ـ م ٠ س ـ ص / ١٥ (ط البنا) ٠ (٨) ن ٠ م ٠ س ٠ ج ١٤ / ص ٢٤٥ ٠

⁽o) الخطيب البغدادي - م · س - ج١٤ /ص ٢٤٢ · (٧) اللكنوي - الفوائد البهية - ص / ٢٢٥ ·

ويقول عمار بن مالك: " ماكان من أصحاب أبى حنيفة مثل أبى ليلى ، لولا أبوو يوسف ماذكر أبو حنيفة ولا محمد بن أبى ليلى ،ولكنه هو الذى نشر قولهما وبث علمهما . "(١)

روايته للحديث:

كان أبو يوسف يتصل بالمحدثين ويتلقى عنهم • قال ابن جرير الطبرى:
" كان أبو يوسف يعقوب بن ابراهيم القاضى فقيها عالما حافظا ، ذكر أنه كلسلان يعرف بحفظ الحديث ، وأنه كان يحضر المحدّث ، فيحفظ خمسين أو ستين حديثا ثم يقوم فيمليها على الناس وكان كثير الحديث • " (٢)

⁽۱) أبو يوسف _ ن ٠ م ٠ س _ ص / ١٥ ٠ الخطيب البغدادى _ م ٠ س _ ج ١٤/ص ٢٤٥٠٠

۲) محمد أبو زهرة _ أبو حنيفة _ ص/ ۱۹۲ •

⁽٣) وهو أعرف من أن يعرف ، امام دار الهجرة • ت بالمدينة سنة ١٧٩هـ ، انظر ابن خلكان • ٥ . وفيات الأعيان - ج ١٠/ص ٥٩ . وفيات الأعيان - ج ١٠/ص ١٩٥٩ ، ابن حجر - تهذيب التهذيب - ج ١٠/ص ٥٥ .

⁽³⁾ الليث بن سعد بن عبد الرحمن الفهمىأبو الحارث الامام المصرى أ قال ابن سعد: كان قد اشتغل بالفتوى فى زمانه وكان ثقة كثير الحديث محيحه وكان نبيلا سخيا الله ولد سنة ٩٤ه وتوفى سنة ١٧٥ه ابن حجر: تهذيب التهذيب _ ج ٨/ص ١٤٠٠

⁽٥) اللكنوى _ الفوائد البهية _ ص /٢٢٥، محمد أبو زهرة _ أبو حنيفة _ ص/ ١٩٨٠

۱۹۸ محمد أبو زهرة - ن ۰ م ۰ س - ص/ ۱۹۸ ٠

فقہــــه:

كان أبو يوسف من الفقها، البارزين الذين جمعوا فى فقههم بين الرأى والحديث وكان يخالف بعض آرا، أبى حنيفة اذا صح عنده ما يخالف ذلك من حديث ، ومن ذلك أن أبا حنيفة - رحمه الله - كان يكره المزارعـة (١) فى الأرض البيضا، والمساقاة (٢) فى الأرض البيضا، والمساقاة (٤) فى النخل والشجر ، ويقول عنهما أنهما اجارة فاسدة لجهالة الخارج .

ولكن أهل الحجاز أجازوا ذلك ولا يرون بأسا فى المساقاة فى النخل والشجر بالثلث والربع ويحتجون بما عامل به رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أهل خيبر فى الثمر والزرع • واستدل أبو يوسف بحذيث رسول الله - صلى الله عليه وسلسم عن ابن عمر عن النبى - صلى الله عليه وسلم - أنه عامل أهل خيبر بشطر ماخسرج من زرع وثمسر ... " (٣)

ورد أبو يوسف أيضًا على الخوارج (٤) لقولهم الباطل بأن القرى العربيسية بمنزلة القرى الأعجمية ، أى قاسوا القرى العشرية على القرى الخراجية • فقد وظفوا عليها الخراج ولم يفرقوا بين أرض وأرض ، لأن المقصود منها النماء ، وهذا بالطبع

⁽۱) المزارعة : وهي المعاملة على الأرض ببعض مايخرج منها <u>المصباح المنير</u> - مادة زرع - صرر ۲۸۲ ۰

⁽۲) المساقاة : وهو عقد بدفع الشجر الى من يصلحه بجزء من ثمره - الرتاج _ عبد العزيــــز بن محمد الرحبى - ت ١١٨٤ه (تحقيق أحمد عبيد الكبيسى) - فقه الملوك الرتاج المرصد على خزانة كتاب الخراج - ج ١ / ص ٥٩٦ (مطبعة الارشاد - بغداد - ١٩٧٣م) ٠

⁽٣) محيح البخارى - كتاب الاجارة أخرجه البخارى عن ابن عمر - ج ٣ / ص ١٢٣٠ (دار احياء التراث العربي - بيروت) ٠ التراث العربي - بيروت) ٠

⁽٤) الخوارج: جمع خارجی، وهم قوم مسلمون، خرجوا عن طاعة الامام علیّ وفی الله عنه ـ فی خلافته، ونبذوا طاعته، واستحلوا قتالـه، وحاربوه الرحبـــی ن ٠ م ٠ س _ - ج ١ / ص ٤٠٨ (ط الكبيســـی) ٠

قياس باطل لأنهم خالفوا حكم رسول الله له صلى الله عليه وسلم ، الذي جعلل أرض العرب أرض عشر ولم يغير ذلك أحد من الخلفاء الراشدين ومابعدهم وقلم أبو يوسف : فأما الخوارج : فأخطأوا المحجة ، وجعلوا قرى عربية بمنزلة قلم أعجمية ، ولم يأخذوا بما اجتمع عليه أصحاب رسول الله له صلى الله عليه وسلم وهم أحسن تأويلا وتوفيقا من الخوارج " (1)

وقد تنبأ أبو حنيفة لأبى يوسف بما سيفتح الله عليه ، قال لزوجه : "انما هى أيام قلائل وسيصير لأبى يوسف نبأ وذكر ، ولعل الله يفتح لكم أفضل ملونه وترجونه " . (٣) وكان يقول عنه أيضا : "أنه أعلم المحابة " . (٣)

مناظـــرة بين القاضى أبو يوسف والامام مالك :ـ

رحل أبو يوسف الى المدينة ولقى الامام مالك بن أنس ، وناظره أمام الخليفة هارون الرشيد فى مقدار الصاع وزكاة الخضروات ، قال ابن كثير : ولما تناظر هو ومالك بالمدينة بحضرة الرشيد فى مسألة الصاع وزكاة الخضروات احتج مالك بالميعلان المنقولة عن آباء أهل المدينة وأسلاقهم (٤) وبأنه لم يكن الخضروات يخصرح

البو يوسف - كتاب الخراج - ص / ١٢٨ ٠

⁽۲) ن ۰ م ۰ س _ ص/ ۱۱ ۰

⁽٣) ابن كثير ـ البداية والنهاية ـ ج ١٠ / ص ١٨٧ ٠ .

⁽³⁾ تحدث القاضى أبو يوسف ومالك حينما اجتمعا فى مسألة الصاع ، قال القاضى أبو يوسف : للامام مالك الصاع ثمانية أرطال ، فقال مالك : صاع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ خمسة أرطال وثلث بالبغدادى ، مما جعل مالك يحتج وأحضر جماعة معهم عدة أصواع وقالوا : ان آبائهم كانوا يخرجون بها صدقة الفطر ويدفعونها الى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فعايروها جميعا فكانت خمسة أرطال وثلثا ، فرجع أبو يوسف عن قوله الى ما أخبره أهل المدينة • المصباح المنير ـ ص/ ٥٣٧ • لكن فى كتب الفقه الحنفى أن ثمانية أرطال برطل أهل العراق تساوى خمسة أرطال وثلث==

فيها شيء من الزكاة زمن الخلفاء الراشدين · فقال أبو يوسف : لو رأى صاحبـــــى (أى أبو حنيفة) مارأيت لرجــع كما رجعت · وهذا انصاف منه · (١)

تولى أبو يوسف القصاء :

سكن أبو يوسف بغداد وتولى القضاء لثلاث من الخلفاء ـ المهدى والهادىثم هارون الرشيد • (٢) وقد أكدت المصادر بأنه تولى القضاء للمهدى سنة ست وستين ومائـة (٣) ، وهذا يدل على أن أبا يوسف استقضى لأول مرة "بعد وفاة القاضـــى أبى بكــر عبد الله بن أبى سـبرة القرّشـى " • (٤)

علاقة أبى يوسف بالرشيد:

لقد تعرض الخليفة هارون الرشيد لبعض المشاكل الاجتماعية التى أراد أن يعرف أحكامها فى شرع الله ، وكان الذى أفتاه فيها أبو يوسف ، ومن هنا عسرف الرشيد له مكانته العلميسة فقربه اليسه •

⁽⁼⁾ برطل أهل المدينة ، وزنة كل منها ألف وأربعون درهما - داماد أفندى - مجمع الأنهر - ج ١ / ص ٢٢٩ (دار احياء التراث العربي - بيروت)

⁽۱) ابن كثير ـ البدايـة والنهاية ـ ج ۱۰ / ص ۱۸۷ ٠

^{. (}۲) ابن خلکان ـ وفيات الأعيان ـ ج ٦ / ص ٣٧٩ ٠

⁽٣) ابن كثيــر ـ ن ٠ موس ـ ـ ج ١٠/ صص ١٥٢، ١٥٣ ، أبى الفـــــلاح
عبد الحي بن العمـاد الحنبلـــي (ت ١٠٨٩ هـ) ـ شــذرات الذهـــــب ـ
ج ١ / ص ٢٦١ (ط ٢ ـ بيروت ـ ١٣٩٩ ـ ١٩٧٩ م)الخطيب البغدادي ـ م٠س ـ ج ١٤/ص٢٠١٠

⁽٤) ابن العماد الحنبلي - ن · م · س - ج ۱ / ص ٢٥٦ · محمود مطلوب - أبو يوسف - ص / ۸۷ ·

وكان يستشيره في كثير من القضايا العامة والخاصة ، لقد واجهت الرشيد مشكلة اجتماعية معينة وطلب فيها الفتوى ، فقد حلف الرشيد يمينا بالطلق على زوجته زبيدة ألا تبيت ليلتها في بلد يدخل في ولايته ، فافتى أبو يوسف أن تبيت في المسجد فهو بيت الله وليس له ولاية عليه (١)، يقول الله تعالى : " وأنّ المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا " (٢)

ويبدو أنه قد نشأت بين الخليفة وأبو يوسف بعد ذلك علاقة وثيقــــة تدعمـت وتعـرزت مع الأيـــام •

ولايسة أبو يوسف القضاء في عهد هارون الرشيد :-

استمسر أبو يوسف في عهد هارون الرشيد في منصب القضاء ، وارتفع مقامه لدى الخليفة ، فهو أول من دعى بقاضى القضاة في الاسلام ، (٣) وبقى فيه مسدة طويلة استفاد منه كثيرا وهذا يدل على مرونته ٠

كان مذهب الدولة الرسمى مذهب الامام أبى حنيفة ، ولذلك فقد استفاد الفقه الحنفى من جهود أبى يوسف حيث اثراه بالفتاوى من المشاكل والحولاث التى وقعت بين الناس (٤) لأن القضاء فيه مواجهة للمشاكل ، فاطلاعه على الحياة العامة وشئون الدولة الماليسة أدى الى معرفته لطرق معالجة مشاكلها ، وبذلك أكسبه رأيا معتدلا في الأحكىام

⁽۱) الرحبي _ الرتاج _ج ۱ / ۲۵ ·

⁽٢) سورة الجن ، آيــة (١٨) •

⁽٣) الخطيب البغدادى - تاريخ بغداد - ج ١٤/ ص ٢٤٢ ، ابن خلكان - وفيات الأعيان - ج ٢٤/ ص ٢٤٢ ، ابن خلكان - وفيات الأعيان - ج ٢/ ص ٣٧٩ ، أبو يوسف - كتاب الخراج - ص / ١٦ -

^{- (}٤) محمد أبو زهرة - أبو حنيفة - ص / ١٩٨٠

المستنبطة من الأدلية الشرعية •

ورغبة من الخليفة هارون الرشيد في رفع الظلم عن الرعية ، فقد طلبب من القاضى أبو يوسف أن يضع له كتابا عن جباية الخراج والعشور والجزيب

وقد توسعت سلطات أبى يوسف ولم تقتصر على النظر فى الخصومات الجنائية بل تعدتها الى قضايا الوقف (١) والوصايا والمظالم والحسبة والاشراف على بيت المال وأموال اليتامى • (٢)

وكان يحضر فى مجلس حكمه العلماء، منهم أحمد بن حنبل فيتناظرون ويتباحثون وقد عرف عن أبى يوسف أنه منصفا فى الأحكام، قال أبو يوسف: " وليت هــــذا الحكم وأرجوالله أن لا يسألنى عن جور ولا ميل الى أحد ٠ " (٤)

⁽۱) الوقف : الأرض المحبوسة في سبيل الله على الجهات الخيرية مثل طلاب العليم والفقراء _ المصباح المنير _ ص/ ۱۰۳۸ ۰

⁽۲) محمود مطلوب ـ أبو يوسف ـ حياته وآثاره وآراؤه ـ ص / ۸۸

⁽٣) محمود مطلوب <u>ن ۰ م ۰ س</u> ـ ص/ ۸۸

⁽٤) ابن كثير _ البداية والنهاية _ ج ١٠/ ص ١٨٧٠

وكان من عدلـه أن يتتبع الحـق ليتمكن من ارجاعه الى ذويه ولا سيمـا فى بعض القضايا التى ليس لمدعيها بينّات كافيه و ففى يوم جاوه رجل وقال أن بستانه فى يد أمير المومنين الهادى وفه فذهب أبو يوسف الى أمير المومنين يطلب منه رد البستان وفادعى أن أباه المهدى اشتراه له وشهد الشهود بأنـه يطلب منه رد البرحال أن يحلّف أمير المومنين على أن شهوده شهدوا الحق وقال الهادى لأبى يوسف : ترى ذلك ؟ فقال : كان ابن أبى ليلى يـراه وقال الهادى لأبى يوسف نارد البستان عليـه وانّما احتال عليه أبو يوسف لعلمــه أن الهادى لا يحلـف وانها وانها احتال عليه أبو يوسف لعلمــه أن

ومما يدل على نزاهته مانقـل عنه من قوله قبيل وفاته : " اللهــــــــم انك تعلم انى لم أجر فى حكم حكمت به بين عبادك متعمــدا ، ولقــد اجتهــــدت فى الحكم بما يوافــق كتابك وسنة نبيك ، وكل ما أشكل على جعلت أبا حنيفة بينــى وبينك وكان عندى والله ممن يعرف أمرك ، ولا يخرج عن الحـق وهو يعلمه ، "(٢)

وقد تتلمذ على يسد أبو يوسف وروى عنه كثيرون من أشهرهسم: محمد بن الحسن الشيبانى ، والامام أحمد بن حنبل ، ويحى بن معين ، وأبو الوليد بشر بن الوليد الكندى القاضى ، وأبو اسحاق وابراهيم بن يوسف الباهلى الفقيسه، وأبو عثمان بن بحر الجاحظ " (٣)

⁽۱) ابن خلكان _ وفيات الأعيان _ ج ٦ / ص ٣٨٤ • الخطيب البغدادى _ن • م • س ـ ج١٤ / ص ٢٥٤ • ابن خلكان _ وفيات الأعيان _ ج ١٠ / ص ١٨٧ • وكيع _ أخبار القضاة _ ج ٣ / ص ٢٥٤ •

⁽٢) الخطيب البغدادى ـ تاريخ بغداد ـ ج ١٤ / ص ٢٥٤ ، ابن خلكان ـ وفيات الأعيان ـ وفيات الأعيان ـ وفيات الأعيان - ج ٥ / ص ٤٣٠ .

⁽٣) أبو يوسف _ كتاب الخراج _ ص / ١٧ •

مولفات أبن يوسف:

ألف أبو يوسف كتب كثيرة ووضع فيها آراءه كما نقسل آراء أبى حنيفة قال اللكنوى: " وكان أبو يوسف هو المقدم من أصحاب الامام وأول من وضع الكتسب على مذهب أبى حنيفة وأملى المسائل ونشرها ، وبث علم أبى حنيفة فى أقطلان والأرض وله الأمالي والنوادر " (1) والمراد بالأمالي كما قال حاجى خليفة: " أمالي الامام ٠٠٠ وهي في الفقه يقال أكثر من ثلثمائة مجلد " ، (٢) قال ابن النديم في الفهرس: " ولأبي يوسف من الكتب في الأصول والأمالي: كتاب الملة ،كتاب الملاة ،كتاب الركاة ، كتاب الميام ، كتاب الفرائض ، كتاب البيوع ، كتاب الحدود ، كتاب ١٠٠٠ الوكالة ، كتاب الوصايا ، كتاب الميد والنبائح ، كتاب الغصب والاستبراء ، كتاب اختلاف الأمصار ، كتاب الرد على مالك بن أنس ، رسالة في الخراج السي الرشيد ، كتاب الجوامع مع ألفه ليحي بن خالد يحتوى على أربعين كتابا ذكر فيه اختلاف الناس والرأى المأخوذ به ، ولأبي يوسف املاه رواه بشر بن الوليد القاضيي يحتوى على ستة وثلاثين كتابا مما فرعه أبو يوسف " ، (٢)

الكتب التي لم يذكرها ابن النديم في الفهرست :

كتاب الآثار ، اختلاف أبى حنيفة وابن أبى ليلى ، والرد على ـــــير الأوزاءــــى . (٤)

⁽۱) اللكنوى _ الفوائد البهية _ ص / ٢٢٥ • الخطيب البغدادي _م • س _ ج ١٤/صص ١٤٥٠٢٥٠٠

⁽۲) مصطفى بن عبد الله حاجى خليفة - كشف الظنون عن أمامى الكتب والفنوووو - ون - ج ۱ / ص ۱۹۲ (مكتبة المثنى - بيروت) •

⁽٣) محمد بن اسحاق بن محمد بن اسحاق ، أبو الفرج بن أبى يعقوب النديمت: ٣٨٤هـ،
- كتاب الفهرست - ج ١ / ص ٢٠٣ (المطبعة الرحمانية - القاهرة - ١٣٤٨هـ)،
محمد أبو زهرة - أبو حنيفة - صص/ ١٩٨ - ١٩٩ ٠

 ⁽٤) محمد أبو زهرة - المصدر السابق - ص/ ١٩٩٠

أهم مولفات أبي يوسف:

رسالة الخراج التي كتبها أبو يوسف لأمير المؤمنين هارون الرسيد و يطور أنه كتبل مي الفررة ما ١٧٠هـ ١٨ هـ، - وقد قدمت المهم من محتواها بايجياز في المبحث الثاني من التمهيد •

ولم يكن أبو يوسف أول من كتب فى الخراج فقد سبقه عبد الله بن المقفيع فى عهد الخليفة المنصور ، وعبيد الله بن حسن العنبرى (٢) ، وعبيد الله معاويـــة ابن يسار فى عهد الخليفة المهذى .(٣)

وقد قدمت محتوى ذلك في ملحق رقم (١) في آخسر البحث ٠

وفـــاته :

توفى القاضى أبو يوسف فى سنة اثنين وثمانين $m{q}$ ومائة لخمس خلون من ربيع الأول (\mathfrak{z})

⁽۱) أحمد زكى صفوت ـ جمهرة رسائل العرب في عصور العربية الزاهرة _ ج ٣ / ص ٣٠ (ط ۱ ، القاهـــرة ـ ١٩٣٧ م) ٠

⁽٢) وكيــــع ت : ٣٠٦ هـ أخبـــار القضاة - ج ٢ / ص ٩٧٠

⁽٣) محمد بن على بن طباطبا المعروف بابن الطقطقى - الفخرى فى الآداب السلطانية والدول الاسلاميــة - ص / ١٨٢ (دار بيروت للطباعة والنشر - بيروت - ١٤٠٠هـ ١٩٨٠م) •

⁽٤) وكيع - ن ٠ م ٠ س - ج ٣/ ص ، الخطيب البغدادى - تاريخ بغـــدا د ج ١١/ ص ٢٩١ ، ابن العماد - شذرات الذهب - ج ١ / ص ٢٩٨ ، ابن كثيـر - البداية والنهاية - ج ١٠/ ص ١٨٦ - الحافظ شمس الدين عبد الله ت: ٢٤٧ه، - كتاب دول الاسلام - ج ١ / ص ٩٠ (ط ١ ، حيدر أباد الدكن - ١٣٣٧هـ) ،

" " المطلب الثاني " "

نبينة موجيزة عن حيساة الخليفية هسارون الرشيد

ولد هارون الرشيد بن عبد الله المهدى محمد بن المنصور أبى جعفر عبد الله ابن محمد بن على بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب سنة خمس وأربعيــــن ومائــــة للهجرة . (١)

كان ذكيا فطنا فلما شب غزا فى حياة أبيه المهدى مرات كثيرة، وعقد الصلح بعد محاصرته القسطنطينية مع أوغ طق ملكة الروم عام ١٦٥ه على أن تدفع الجزية كل عام (٢) مما جعل المهدى يرشحه للخلافة بعد أخيه موسى الهادى (٣) تولى هارون الرشيد الخلافة سنة سبعين ومائة للهجرة ، وكان عمره المتعنى وعشرين وعشرين

وبعد تولى هارون الرشيد الخلافة ، أسند الى يحى بن خالد بنبرمـــك

⁽۱) ابن كثير _ البداية والنهاية _ ج ۱۰/ ص ۲۲۲، أبى جعفر محمد بن جرير الطبرى (۲۲) ابن كثير _ البداية والنهاية _ ج ۱۰ ص ۲۲۲، أبى جعفر محمد بن جرير الطبرى (۲۲۶ ـ ۳۱۰ ـ تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم _ تاريخ الأمم والملوك _ - ج ۸ ص ۲۳۰ (دار سويدان _ بيروت) ۰

⁽۲) ابن كثير - ن · م · س - ج ۱۰/ صص ۱۵۰، ۱۵۱ · كان مقدار الجزيـــــة سبعين ألف دينار كلسنة ·

⁽٣) <u>ن ٠ م ٠ س</u> ـ ج ١٠/ ص ١٥١ ٠٠ لقب المهدى ابنه هارون الرشيد ـ الطبرى - ن ٠ م ٠ س ج ٨ / ص ٢٣٠ ٠

⁽٤) ابن كثير ـ ن · م · س ـ ج · ١/ ص ١٦٤ ، الطبرى ـ ن · م · س ـ ج · ٨ ص ٢٣٠ ، الحافظ الذهبي ـ دول الاسلام ـ ج · ١/ ص ٨٨ ·

الذي كان يلازمه منذ كان وليا للعهد مقاليد الوزارة ٠ (١)

قال ابن طباطبا^(۲): " فنهض يحى بن خالد بأعباء الدولة أتم نهوض ، وسحد وسحدي الثغور وتدارك الخلال ، وجبى الأموال ، وعمل الأطراف وأظهر رونق الخلافة ، وتصدى المهمات المملكة " •

كان أمير المومنين هارون الرشيد من أشهر خلفاء الدولة العباسية وواسطـة عقدهم ، حكم في النصف الثاني من القرن الثاني الهجرى ، وبلغت الدولة في عهده أعلى درجات الرخاء والرقي (7) من الناحيتين الاقتصادية والتعليمية ، وهذا نتيجة استتبـاب الأمن والحالة السياسية المستقرة ، فقد كان بيت مال المسلمين يفيض بأموال الخـراج التي بلغت مواردها في كل سنة خمصمائة ألف χ وينظر من الفضة وعشرة آلاف دينار مـن الذهب (3) ، حتى قيل أن الرشيد كان يستلقى على ظهره وينظر الى السحابة الحاملـــة للمطر ويقول : " اذهبي الى حيث شئت يأتيني خراجك " . (٥)

⁽۱) الطبرى ـ تاريخ الأمم والملوك ـ ج ۸/ص ٢٣٣ ، أبى عبد الله محمد بن عبدوس الكوفــى المعروف بالجهشيارى ت : ٣٣١هـ ـ الوزراء والكتاب ـ ص/١٧٧ ـ ابن كثير ـ البداية والنهاية ـ ج ١١٠ص ١٦٥ ، أحمد بن عبد الله القلقشندى • (٢٥٦ـ٨١٠هـ) ـ تحقيـــق عبد الستار أحمد فراج ـ مآثـــر الاثافة في معالم الخلافــة ـ ج ١ / ص ١٩٤ (ط عالم الكتب ـ بيروت ـ ١٩٨٠م) •

⁽۲) ابن طباطبا _ الفخرى في الآداب السلطانية _ ص/١٩٨٠

⁽۳) محمد الخضرى _ تاريخ الأمم الاسلامية الدولة العباسية _ جـ / ص ١٠٢ (المكتبــــــة التجاريـــــة الكبرى _ مصـــــر _ ١٩٦٩م) •

⁽٤) انظر الملحق رقــــم (٢) ٠

⁽o) أحمد بن علىّ بن أحمد الفز ارى القلقشندى (٧٥٦ ـ ٨٢١ هـ) _ صبح الأعشى في صناعــة الانشـــا _ ج ٣ / ص ٢٧ ، وانظر حسن ابراهيم حـــن _ تاريخ الاســـلام السياســي _ العصر العباســـي الأول _ ج ٢ / ص ٣٠٢ (ط٧ _ مكتبــــــة

النهضـــة القاهـــرة ـ ١٩٦٤م) •

كان يتصدق من صلب ماله فى كل يوم بألف درهم ، واذا حج حج معه الفقها ، وأبناؤهـــم وكان اذا لم يحج أحج ثلاثمائة بالنفقة ، وكان يحب الشعر والشعرا ، ويميل الى أهـــــل الأدب والفقـــــه ، (1)

وبعد تولى هارون الرشيد الخلافة عام ١٧٠ه ، أمر بسهم ذى القربى أن يقسم بين بنسى هاشم على السواء • (٢)

وفي عام ١٧٢ه رفع الرشيد العشر عن أهل العراق الذي كان يوخذ منهم بعد النصف (٣) مما خفف عنهم وحسن أحوال المزارعين كثيرا •

علاقه الرشيد بالقاضي أبو يوسف:

وقد سبق أن أشرنا الى العلاقة الوثيقة التى قامت بين الخليفة هارون الرشيد والقاضى أبى يوسف، حيث حملت للخليفة بعض المشاكل الخاصة وطلب أن يفتيه فيها (٤)، وكيف أنه قد تعرف من خلال ذلك على مكانته العلمية والفقهية، فكان يكرمه ويبجله، ثم ولاه رياسة القضاء وسماه قاضى القضاة، فكان أول من تسمى بهذا الاسم، وقد طلب منه أن يكتب له رسالسة في الخراج ٠

سبب كتابة أبى يوسف رسالة الخاج:

انتشرت الانحرافات والظلم بين عمال الولايات في كل مكان ، وتذمرت الرعيــــــة

۰ ۲۳۶ م م س - ج ۸/ ۲۳۶ المصدر السابق - ج ۸/ ۱۲۵ ، الطبرى - ن م م س - ج ۸/ ۲۳۶ ، (۲)

⁽٤) تقدم ذكرها في نبدة عن حياة القاضي أبي يوسف ص/١٥٠

من سوء المعاملة ، ووصل هذا كله الى مسامع الخليفة هارون الرشيد ، فوجد أن تفشى بعص وراة وعال الحراج هذه الانحرافات نتيجة بعده كون العمل بالشريعة الاسلامية ، بدليل قول أبو يوسف في كتاب الخراج : " ٠٠٠ فانه قد بلغنى أنهم يقيمون أهل الخراج في الشمس ويضربونهم الضرب الشديد ويعلقون عليهم الجرار ، ويقيدونهم بما يمنعهم مسن الصلة ، وهذا عظيم عند الله ، شنيع في الاسلام . " (1)

وهذه الاتحرافات ليست وليدة عصر الخليفة هارون ، ولكن لها جذورها التاريخية ، وقد عرف خلفا الدولة العباسية هذه الاتحرافات واستنكروها ، ولكنهم لم يقدر لهم أن يزيلوها أو يقللوا منها ، مما ادى الى تفاقم تلك المساوى التي منها على سبيل المثال :

استيفاء هـدايا النيروز والمهرجـان : _(٢)

كانت الهدايا تقدم الى الساسانيين في عيدى النوروز والمهرجان ، وهي عادة قديمة عند الفرس ، وألغيت بمجى الاسلام • (٣) ولكنها أعيدت في عهد الدولسة

⁽۱) أبو يوسف _ كتاب الخراج _ ص / ۲۳۱ •

⁽۲) النيروز أو النوروز = وهو أول يوم من السنة الشمسة ومعناه يوم جديد • المصباح المنير ـ مادة نرز ـ ص/ ٩٢٥ • والمهرجان = عيد الفرس فصل يوافق أول الشتاء الجهشيارى ـ الوزراء والكتاب ـ ص/ ٩٢٠ كان الفرس يهدون ملوكهم وعمالهم الهدايا في هذين اليومين، اظهارا للمودة لهم والرغبة فيهم ، والمحافظة على عهدودهم الرحبي ـ الرتاج ـ ج 1/ ص ٥٨٣ •

⁽٣) فى عهد عثمان بن عفان ـ رضى الله عنه ـ سنة ٣٢ه صالح الأحنف بن قيس أهــل بلخ على أربعمائة ألف درهم ، وأناب عنه ابن عمه أسيد بن المنشمى فى أخــــذ ماصولحوا عليه ومعها هدايا المهرجان ، فقال : هذا ما صالحناكم عليه ؟ قالوا: ___

الأموية ، فقد طالب معاوية بن أبى سفيان أهل السواد أن يهدوا عامله على الخراج في النيروز والمهرجان ، قال الجهشيارى : " ٠٠٠ وطالب (أى معاوية) أهلل السواد أن يهدوا له في النيروز والمهرجان ، ففعلوا ، فبلغ ذلك عشرة آلاف ألف درهم في سنة " .(1)

وكان ولاة معاوية يصرون على أخذ هذه الهدايا ويعزلون من قصّر فسى جمعها ، وقد عزل عبد الله بن عامر قيس بن الهيثم عن خراسان عام ٤٣ هـ "لأن قيسا أبطأ بالخرراج والهدية " . (٢)

وقد استمرت جباية هذه الهدايا حتى عام ٩٩ه حين أبطلها الخليف الأموى الزاهد عصر بن عبد العزير ، كما أبطل ضرائب أخرى استحدثه الأمويون مثل ثمن الصحف (٣) ، وأجور الفيوج (٤)، وأجور البيوت ، وأجسور الضرابين ـ الذين يمكون النقود من الذهب والفض من والجمع بيسن

⁽⁼⁾ لا ، ولكن هذه هدايا نعطيها لمن ولينا نستعطفه بها ، فأخذها بتحصرج وعندما قدم الأحنف بن قيس عرض عليه الأمر ، فسألهم الأحنف فقالوا : لصممثل ماقيل لابن عمه ، فحملها الى الأميسر ابن عامسر فقال له : خذها لك ياأبا الأحنف فرفض ، فأخذها ابن عامر • نستنتج من هذه الواقعة أن والى بلسخ استهجين هذه الهدايا • وبذلك نرى أن هذه الهدايا استهجنها المسلمون • انظر الطبرى ـ تاريخ الأمم والملوك _ ج ٤ / صص ٣١٣ ، ٣١٤ •

⁽۱) الجهشياري - الوزراء والكتاب - ص / ۲۶ ٠

⁽٣) الصحف _ الدفاتر التي يكتب فيها الخراج _ الرحبي _الرتاج _ - ج ١ / ص ٥٨٤ ٠

⁽٤) الفيوج = جمع فيج قبل رسول السلطان يسعى على قدمه _ المصباح_ ص/ ٧٤٥ ٠

⁽o) أجور البيوت : أي لايؤخذ منهم أجرة بيوتهم المبنية في أرض الخراج ، لأن الخراج على الأرض لاعلى الدور • الرحبي - الرتاج ج ١ / ص ٥٨٥ •

الزكاة والخراج على من أسلم (١) ، وسبب ذلك أن العمال القائمين بجبايتها عمسال سوء ، كان جل همهم جمع المال ، ووجد فى هذا ظلما للرعية وغمطا لحقوقهم مما جعسل على المحمد بن عبد الرحمن(٢) مما جعسلك يرسل كتابا الى عبد الحميد بن عبد الرحمن(٢) بالكوفة يطلب منه ابطال هذه الضرائب ـ جاء فيه : " سلام عليك • أما بعد فان أهل الكوفة قد أصابهم بلا، ورسيدة وجور فى أحكام الله ، وسنن خبيشة سنتهما عليهم أعمال السوء ، وان قوام الدين العدل والاحسان فلايكونن شمى، أهم اليك من نفسك أن توطنها لطاعة الله • فلا تحملها قليلا من الاسسم على خبراب ، ولا تأخذ من الخبراب الا مايطيق ، ولا من العامر الا وظيفة الخراج، في رفق وتسكين لأهل الأرض • وأمرتك أن لا تأخذ فى الخراج الا وزن سبعسف فى رفق وتسكين لأهل الأرض • وأمرتك أن لا تأخذ فى الخراج الا وزن سبعسف ليس فيها تبسر (٤) ولا أجور الشرابين ـ الذين يمكون النقود من الذهب والفضة ـ ولا اذابة الفضة ، ولا هدية النيروز والمهرجان ، ولا ثمن الصحف ، ولا

⁽۱) ابن الأثير _ الممدر السابق _ ج ٤/ ص ٩٧ · جمع الحجاج بن يوسف الثقفـــــى الخراج والزكاة على من أسلم عام ٨١ه في عهد عبد الملك بن مروان ·

⁽۲) عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب العدوى ، استعمله عمر بن عبدالعزيز على الكوفه عام ۹۹ه • ثقة في الحديث روى عن أبيه وابن عباس وغيرهــــم توفى بحران في خلاقة هشام عام ۱۱۰ه • انظر ـ تهذيب التهذيب ـ ج ۱ / ص۱۱۹ الطبرى ـ تاريخ الأمم والملوك ـ ج ۱ / ۵۰۶ ، الزركلي ـ الاعلام ـ ج ۶ / ص ۰۵۸ •

⁽٣) تطریز = اصلاح مافیها من الارتفاع والانخفاض لوصول المهاء الیها والزراعـــــة فیها ٠ الرحبی ـ ن ٠ م ٠ س ـ ج ١ / ص ٥٧٨ ٠

⁽٤) تبر = وهو الذهب الخالص والفضة الخالصة غير مضروبين دنانير ودراهــــم الرحبي ـ المصدر السابق ـ ج ۱ / ص ٥٨٣ ٠

من أهل الأض • فاتبع فى ذلك أمرى ، فقد وليتك من ذلك ماولانى الله • ولا تعجل دونى بقطع ولا صلب حتى تراجعنى فيه • (١) وانظر من أراد من الذرية الحسم فعجل له مائة يتجهل بها والسلام عليكم • " (٢)

والراجح أن الهدايا والضرائب التعسفية قد أعيدت مرة أخرى بعد وفــــاة الخليفة عمر بن عبد العزيز • ففى عهد الخليفة هشام بن عبد الملك الــــذى تولى الخلافة عام ١٠٥ ه ، كان خالد بن عبد الله القسرى(٣) يتسلم من الدهاقين(٤) هدايا النيروز والمهرجان ، فيأخذ أكثرها ويرسل أقلها • قال أبو العباس المبرد : " • • • تجمع اليك أى خالد بن عبد الله القسرى الدهاقين هدايا النيروز والمهرجان ، حابسا لأكثره ، رافعا لأقله " (٥)

ولما جاعت الدولة العباسية انتشرت الهدايا في عهدهم ، فقد أشار ابــــن طباطبا الى أنه قد : " كتب بعض الشعراء الى خالد بن برمك (٦) في يوم نـــوروز

⁽۱) لاتقم حدا على سارق أو قاطع طريق حتى تستأمسرنى فيه • أبو عبيد ـ الأمسوالـ ص / ۰۵۷

⁽۲) أبو عبيد _ المصدر السابق _ ص/ ٥٧ ، الطبرى _ <u>تاريخ الأمم والملوك</u> _ ج ٦/ ص ٥٥٤ ، أبو يوسف _ <u>كتاب الخــــراج</u> _ صص / ١٨٦ ، ابن الأثيـــر _ الكامل في التاريخ _ ج ٤/ص ١٦٣ ٠

⁽٣) خالد بن عبد الله القسرى ٠٠٠ ولاه الوليد بن عبد الملك مكة عام ٨٩هـ، وولاه هشـام العراقعام ١٠٥هـثم عزله عنها عام ١٢٠هـ وولاهـا يوسف الثقفى ٠

أحمد زكى صفوت <u>- حمهرة رسائل العرب في عصور العربية الزاهرة - ج٢ / ص ٣٤٩ (ط</u> ٢ _ مكتبة مصطفى البابي الحلبي _ مصر _ ١٣٩١ه = ١٩٧١م) ٠

⁽٤) الدهاقين = جمع دهقان ـ بالكسر والصم ـ وتطلق على رئيس القرية ـ المصباح ـ ص ٣٠٩٠

⁽o) أحمد زكبى صفوت - ن · م · س - ج ٢/ ص ٣٤٩ ·

⁽٦) خالد بن برمك وزير أبى العباس السفاح الذى تولى الخلافة عام ١٣٢ه • ابن طباطباً ـ الفخرى في الآداب السلطانية ـ ص / ١٥٦ •

وقد أهدى الناس الى خالد هدايا فيها جامات من فضة وذهب :

ليت شعصرى أما لنا منك حظ مع يا هدايما الوزيم فى النوروز ماعلى خالد بن برمك فى الجمسو مع دنوال ينيمله بعزير ليت لم فقة من هدايمسا مع موى مابه الأميم مجيرى

فأصر له بجميع ماكان حاضرا بين يديه من الجامات والأوانى الفضية والذهبيــــة فبلغت مالا جليــلا "(١) مما يشير الى أنها كانت شائعة ومتداولـة ٠

زيــانة الخراج على أهـل النمـة:

فى عهد عبد الملك بن مروان (٢) زيد الخراج على أهل الذمة ، فقذ ذكـــر القاضى أبو يوسف الجزيـة التى وضعها عياض بن غنم (٣) الفهرى على أهل الجزيــرة فقال : " ووضع عياض بن غنم الفهرى على الجماجم بالجزيرة على كل جمجمة دينار ومدى (٤) قمح ، وقسطى زيت ، وقسطى (٥) خلل ، وجعلهم جميعا طبقة واحـــدة " ، ثم قال : " ولما تولى عبد الملك بن مروان ، بعث الضحاك بن عبد الرحمن الاشعرى فاستقل مايوخنذ منهم ، فأحصى الجماجم، وجعل الناس كلهم عمالا ، وحسب مايكسب

⁽۱)ابن طباطباً ۔ .ن ۰ م ۰ س ۔ صص/ ۱۵۷، ۱۵۸ ۰

⁽٢) خامس خلفاء بني أمية تولى عام ٦٥ ه ٠ ابن الأثير _ الكامل في التاريخ _ ج٣/ص٣٤٧٠٠

⁽٣) صحابى أسلم قبل الحديدة، كان صالحا فاضلا ، وكان يسمى زاد الركب ، لأنه كان يطعم الناس زاده ، فاذا نفذ نحر لهم جمله • أسد الغابة .. ج ٤ / ص ٢٢٧٠

⁽٤) المد : كيل، وهو ربع صاع - أبو يوسف _ الخراج _ ص / ٩٦٠

⁽٥) القسط : مكيال يسع نصف صاع _ أبو يوسف _ الخراج _ ص / ٩٦

⁽٦) تابعــى ثقـة تولــى دمشـق مرتيـن ، وتوفـى عام ١٠٥ه · ابن حجــــــر ـ تهذيب التهذيب ـ جـ ٤ / ص ٤٤٦ ·

العامل سنته كلها ، ثم طرح من ذلك نفقته فى طعامه وادمه (۱) وكسوته وحذائه ، وطلسرح أيام الأعياد فى السنة كلها ، فوجد أن الذى يحصل بعد ذلك فى السنة لكل واحسد اربعة دنانير ، فألزمهم ذلك جميعا ، وجعلها طبقة واحدة · "(۲)

وضع الجزية على من أسلم :-

وجد الحجاج أن الموالى بعد أن أسلموا هاجروا من القرى الى المدن، فأراد الحجاج منعهم من الهجرة ، ذلك أن الخراج الوارد لبيت المال قد قبل بسبب قلة الزراعيط الناجمة عن قلة الأيدى العاملة ، فأعاد عليهم الجزية مرة أخرى وجعلها لاتسقيط باسلامهم كما استعمل معهم الشدة وأعادهم الى قراهم (٣) وكان نتيجة ذلك اعيالان الحرب على الحجاج في حرب دير الجماجم عام ٨٢هـ • (٤)

قال ابن الأثير :" ٠٠٠ ان عمال الحجاج كتبوا اليه أن الخراج قد انكسر وأن أهل الذمة قد أسلموا ولحقوا بالأ مصار ، فكتب الى البصرة وغيرها أن منكان له أصل من قرية فليخرج اليها ، فأخرج الناس لتؤخصة منهم الجزيصصة

⁽۱) معنى أدمه : "بضمتين " وهو مايطيب الخبز ويصلحه ويلتذ به الآكــــل ، والادام : مايؤتدم به مائعا كان أو جامدا • المصباح ص/۱۲ ، الرحبى-ن • م • س ح ١/ص ٣٠٥ •

⁽٢) أبويوسف _ كتاب الخراج _ صص/٩٦ ، ٩٧ ٠

⁽٣) أبو الحسن البلاذري _ فتوح البلدان _ صص/ ٣٦٤ _ ٣٦٩ _ ابن الأثير _ الكامل ف____ي التاريخ _ ج ٤/ص ٩٧ ٠

⁽٤) حرب دير الجماجم وقعت عام ٨٢ه بين الحجاج وأهل البصرة والكوف وعبد الرحمن بن الأشعث الكندى وجيشه •

ابن الأثير - ن٠م٠س - ج٤ / ص ٨١٠

فجعلوا يبكون وينادون يامحمداه يامحمداه ، ولا يدرون أين يذهبون ، وجعل قـــرا، البصرة يبكون لما يرون ، فلما قـدم ابن الأشعث عقيب ذلك بايعوه علىحـــرب الحجـاج ، " (1)

ضريبـــة المكس : (٢)

استحدث أيضا في عهد الأمويين ضريبة المكس والدليل على أنها كانسست موجودة _ أن الخليفة عمر بن عبد العزيز منعها ، فقد روى أبو عبيد عنيعقوب ابن عبد الرحمن القارى عن أبيه قال : كتب عمر بن عبد العزير الى عدى بسن أرطساة : " أن ضع عن الناس الفسدية ، وضع عن الناس المائدة ، وضع عن الناس المكس وليس بالمكس ولكنه البخس الذى قال الله تعالى : " ولا تبخسوا الساس أثياءهم ولا تعثوا في الأرض مفسدين " (٣) فمن جاءك بصدقة فاقبلها منه، ومن لم يأتك بها فاللسه حسيبه " (٤) ، ثم روى أبو عبيد عن عقبة بن عامر أنه سمع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول : " لا يدخسل الجنة صاحب مكس ٠ (٥)

الكسسور الناتجية عن فروق العملسة:

ومن المساوى، التى أحدثت أيضا المطالبة بالكسسور الناتجة عن فسسروق العملة عند استيفاء الخراج ، فقد كانوا يتعاملون بنقود كسروية وقيصرية وهى عملة

⁽۱) ابن الأثيـــر _ ن ٠ م ٠ س _ ج ٤ / ص ٧٩ ٠

⁽۲) المكس: ضريبة توخذ من التجار فى الراصد • الخوارزمى مفاتيح العلوم ص • ٤٠ و والراصد وهو الذى يقعد على الطريق ينتظر الناس ليأخذ شيئا من أموالهم ظلما وعدوانا والمصباح المنير م ص / ۳۵۰ •

 ⁽٣) سورة هود _ آيــة (٨٥) • (٤) أبو عبيد بن سلام _ الأموال _ ص / ٦٣٣ •

⁽٥) أبو عبيد ـ ن ٠ م ٠ س ـ ص / ١٣٢ ٠

مختلفة في الوزن دراهم كبارا وصغارا ، والدرهم الكبير يسمى بالوافى والصغير مختلفة في الوزن دراهم كبارا وصغارا ، والدرهم الصغير ، فلما تولى زياد (۱) العسراق طالبهم بأداء الوافى ـ ودفع الكسور مابين الدرهم الكبير المسمى بالوافــي والصغير المسمى بالطبرى عن المدة الماضية ، الى أن جاء عبد الملك بن مـــروان ونظر بين الوزنين وجعل الدرهم سبعة أعشار المثقال ، وترك المثقال ولم يغيـــر من وزنــه ، شم جاء الحجاج بعده فأعاد المطالبة بالكسور السابقة ، حتى جاء الخليفة عصر بن عبد العزيــز وأسـقط المطالبة بها ، ثم أعادها من جـــاء بعده . (۲)

تعذيب الناس عند جبايسة الخسراج:

ومن المساوى، أيضا التى ورثت من عهدبنى أمية ، تعذيب عمال الخراج للناس عند جباية الخراج ، ومما يدل الخراج ، فقد كان الحجاج يلجأ الى تعذيب الناس عند جباية الخراج ، ومما يدل على ذلك حينما أراد الخليفة سليمان بن عبد الملك تولية يزيد بن المهلسب العراق وخراجها ، اعتذر عن قبول ذلك والتمس من الخليفة أن يختار غيره وقال:

" ان العراق قد أخربها الحجاج ، أنا اليوم رجاء أهل العراق ومتى قدمتها وأخذت الناس بالخراج وعذبتهم على ذلك صرت مثل الحجاج وأعدت عليهسسم السجون وماعافاهسم الله منه ٠٠٠٠ " (٣)

⁽٢) على بن حبيب البصرى الماوردي _ الأحكام السلطانية _ ص/ ٧٢ . (الطبعة الأولى ـ دارالفكرمصر

⁽٣) الطبرى <u>- تاريخ الأُمم والملوك -</u> ج ٦ / ص ٥٢٣ ٠ حوادث ٩٧ ٠ ابن الأثيـــر - الكامل في التاريخ - ج ٤ / ص ١٤٤ حوادث " ٩٧ " ٠

ومن الأمثلة على ذلك ، ما كان يقوم به أمية بن عبد الله الأموى والسلى خراسان عام ٧٤ه ، من قبل الخليفة عبد الملك بن مروان الذى كان يعامل الناس بشدة عند جباية الخراج ، حتى أن أناس من بنى تميم اجتمعوا فى المسجسد وذكروا ظلم أمية وشدته على الناس وقالوا : " سلط علينا الدهاقين فى الجباية".

وعندما تولى الخليفة عصر بن عبد العزيز نهى عمال الخراج عن التعذيب فقد كتب اليه عامله على البصرة عدى بن أرطاة : " أما بعد ، فان أناسا قبلنا لا يؤدون ماعليهم من الخراج حتى يمسهم شئ من العذاب " ، فكتب اليه عصر : " أما بعد ، فالعجب كل العجب من استئذانك اياى في عذاب البشر كأنى جنة لك من عذاب الله ، ، اذا أتاك كتابي هذا فمن أعطاك ماقبله عفوا والا فأحلفه ، فوالله لأن ألقى الله بجناياتهم أحبّاليّ من ألقاه بعذابهسم والسلم ، " (٣)

التقب___ل:

أن يقبض والى الخراج من الشخص المتقبل قدرا معلوما من المال ، وبذلك يستفيد الوالى بتعجيل الخراج الى بيت المال ، ويستفيد المتقبل الفرق بين ملك دفعه وما حصّله ، وهو فى الغالب زيادة عن المقدار المستحق من الخراج ، وهلت وظلم ٠

وقد أخذ بهذا النظام في العهد الأموى ، فقد تقبل فروخ أبا المثنى للخليفة هشام بن عبد الملك " بنهر الرمان " ، ثم جاء من بعده حسان النبطى وزاد فللمناف التقبيل على ماكان يدفعه أبا المثنى ألف ألف درهم وسلمت له الأرض (٤)

⁽۱) الطبرى _ ن ٠ م ٠ س _ ج ٧ / ص ۲۷۸ ٠ (۲) جنّة = أى وقاية ٠

⁽٣) أبو يوسف ـ كتاب الخراج ـ ص / ٢٤٧ ، ٢٤٨ •

⁽٤) ابن الأثير ـ الكامل في التاريخ ـ ح ٤/ ص ١٦٤٠

ثم انتشر هذا النظام في العصر العباسي ، كتب المنصور الى نوفسك ابن الفرات عامل الخراج على مصر عام ١٤١ ه أن يعرض على محمد بن الأشعست ضمان خراج مصر لكن ابن الأشعبث لم يقبل • (١)

الالجاء : (۳)

ونظام الالجساء هو أن يلجأ رجل أرضه الى أمير أو وزير يحتمى بسه ، فيكتب الأرض باسمه ويقوم الرجل بدفع خراجها الى من الجأ الأرض اليه ، وهسسو يفعل ذلك ليحمى أرضه من أن يدخلها الجباة فيظلموه ويعسفون فى تقديراتهم

فغى عصر بنى أميسة الجأ أناس ضياعا كثيرة الى مسلمة بن عبد الملك في منطقة البطائح ليحتموا به • (٤) وألجأ أهل قرية المراغة بأذربيحان أرضهم السسي مروان بن محمد • (٥) ثم انتشر هذا النظام في العصر العباسي ، قال الجهشياري : ان

⁽۱) المقريزي ـ الخطط والآثار ـ ج ۱ / ص ٣٠٦ ٠

⁽٢) أبو يوسف ـ كتاب الخراج ـ ص / ٢٢٥٠

⁽٣) الجأ = مادة لجأ ـ لجأ اليه كمنع وفرح • لاذ = كالتجأ • والجأه = اضطـــره وأمره الى الله = أسنده كما جاء في القاموس •

⁽٤) البلاذري ـ فتح البلدان ـ ص / ٣٠٢ ٠

⁽٥) ن ٠ م ٠ س _ ص / ٣٣٧

رجلا من أهل الأهواز جاء الى أبى أيوب الموريانى وزير المنصور يطلب منه أن يعيره اسمه ليحتمى به من ظلم العمال على أن يحمل له فى كل سنة مائة ألف درهــــم فقال له : وهبت لك اسمى ، وحال الحول وأحضر الرجل المال . (١)

وفى عهد الرشيد ذكسر البلاذرى: أن القاسم بن الرشيد حينما تولــــه جرجـــان وطبرستان وقزوين الجاً اليه أهل زنجان ضياعهم كى يحتموا بـــه من ظلم العمـــال (٢)

وبعد أن عرّفنا المساوى، التى جرى العمل بها فى الدواويين والسيستى لم تكن وليدة عصر الرشيد ، ولكنها استحدثت فى عصبور من سبقه من خلفا الأمويين والعباسيين ، وكان لها أثر سيى، على الرعية لما فيها من الظلم وسوء المعاملة ، لابد من الاشارة الى أن هذه المساوى، تتنافى مع الشريعة السمحاء المعروفة (ع)

وقد أحس هارون الرشيد بتذمر الرعية ، فأراد أن يعيد النظر في سسير العمل في الدواوين كي تسير بحكم الشريعة الاسلامية ، وكان ذلك السبب في كتابتة الى القاضى أبو يوسف يسأله عن أمور ومساوى، واقعة ، ويدور أكثرها على الخسراج وكانت هذه الأسئلة الزاما من الخليفة هارون بكتابة رسالة الخراج للخروج مسسس الأخطلالية والمساوى، التي أحاطت بالدولة ، فكانت اجابته تمثل التوجه نحسو تطبيق الشريعة الاسلامية في جميع المجالات ، وهو العلاج للقضاء على تلك المشاكل وذلك بالعمل بكتاب الله وسنة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وبآثار الصحابة مع مقترحات وآرا، أبو يوسف السديدة التي رآها مناسبة لعصره ،

⁽۱) الجهشياري _ الوزراء والكتاب _ ص / ۱۱۸ ٠

⁽۲) البلاذری _ ن ۰ م ۰ س _ ص / ۳۳۱ ۰

⁽٧) مرونتل: أى صلاحيك للتطبيع في كل زما ٧ و مام.

فمثلا من آرائه التشجيع على تعميم نظام المقاسمة الذى راعى فيه مصلحة الرعية والسلطان معا ، ورآه خيرا من خراج المساحة الذى كان معمولا بهعلى عهد عصر بن الخطاب - رضى الله عنه - حيث كانت الأرض فى عصر عمر عامرة وتأتسى بخراج وفير بلغ مائة ألف ألف درهم وعشرين ألف ألف درهم ٠ (١)

وبعد أن تبدلت الأحوال أصبح العامر من الأرض الزراعية غامرا ، وأهملت بعض القرى ، فقلت مساحة الأرض الصالحة للزراعة ، وتغيرت موارد الماء ، والقرب والبعد من الأسواق ، مما جعل استمرار تطبيق ذلك النظام يمثل عبئا ثقيل على كواهل الفلاحين والمزارعين وأصحاب الخراج ،

وقد تعرض البحث لذلك في المبحث الأول من الفصلل الأول ول وتحت عنوان - خصراج المقاسمة ٠

مكم ان عمل الرشيد هذا وحرصه على معرفة أحكام الشرع وأسئلته الكثيرة حول الأرض، وأهلها وحقوقهم وحقوق بيت المال ان دل على شي فانه يدل على أن الرشييد كان يتقيى الله في رعيته ، والعمل بشريعة الله في مقاليد أموره ، التي أدت الى رخاء الأملة حتى كثير الخراج ، وزاد المال ، وعمرت البلاد .

ان قوة الدولة الاسلامية في الخارج ونصرتها على أعدائها الذين يريدون بها السوء، واستتباب أمنها في الداخل هما أبرز سمة من سمات تقدم الدول لأنه يؤدي الى الاطمئنان والاستقرار والتقدم الحضاري المستمر في جميع المجالات

⁽۱) الماوردى ـ الأحكام السلطانية ـ ص / ١٥١ •

وقد عمل الرشيد على هذا الاستتباب بما قام به في الخارج والداخسل •

أمسا في الخسارج: -

فقد حارب الرشيد دولة الروم وانتصر على رنى ملكة الروم الملقبية. (١) بأوغيطة عام ١٦٥ ه في عهد أبيه المهدى ودفعت ماشرط من الجزية (١) كان الرشيد لا يتوانى عن ارسال الحملات للجهاد طول مدة حكمه، وقد فتح الله على يديه الحصيون •

ففى عام ١٨١ ه غزا الرشيد بلاد الروم وفتح حصن الصفصاف ٠ (٢)

تولى نقفور حكم بلاد الروم بعد عزل الملكة اوغيطة ، ثم نقيض العهد الذي عقدته أوغيطة مع هارون الرشيد عام ۱۸۷ه ، فجهز الرشيد جيشا ونزل بهرقلة (٣) وفتحها وغنم أموالا كثيرة ، وطلب منه نقفور الملح على خراج يؤديم كل سنة ، ولكن بمجرد رجوع الرشيد الى الرقية (٤) نقيض نقفوري الملح الملح الملح (٥) ، فرجع اليهم بالرغم من برودة الشتاء وحاربهم ، قال الطبري:

⁽۱) الطبرى ـ تاريخ الرسل والملوك ـ ج ۸/ص ۱۵۲ ، ابن كثير ـ البداية والنهاية ـ ج ۱۰ / ص ص / ۱۰۰ ، ۱۰۱ ۰

⁽۲) المقصاف: بالفتح، والسكون، وهو شجر الخلاف: كورة من ثغور المصيصة • ياقصوت - دري الكامل في التاريخ - ج ٥/ص ١٠٥ • ابن الأثير ـ الكامل في التاريخ - ج ٥/ص ١٠٥ •

⁽٣) <u>هرقلة :</u> بالكسر ثم بالفتح : مدينة ببلاد الروم بهرقلة بنت الروم بن اليغز بن ســام بن نوح عليه السلام ، ياقوت الحموى ـ ن ٠ م ٠ س ـ ج ٥/ ص ٣٩٨ ٠

⁽٥) الطبرى ـ ن ، م ، س ـ ج ٨/ ص ٣٠٧ ، ابن الأثير ـ ن ، م ، س ـ ج٥/ص١١٨ ،

- " فلم يبرح حتى رضى وبلغ ما أراد " . (١) قال أبو العتاهيــــة :-
- غدا هارون يرعد بالمنايـــا من ويبرق بالمنكرة القضاب ورايات يحل النصر فيهـاب من تمر كأنها قطع المحاب أمير المومنين ظفرت فاسلــم من وأبشر بالغنيمة والايـاب (٢)

وفي عام ١٩٠ه سار الرشيد لغزو الروم وفتح هرقلة ثم وصل الى الطوانية (٣) وطلب من نقفيور الطاعة ودفع الخراج والجزية عن رأس وليده ورأسيه وأهيل مملكتية ، في كل سنة خمسين ألف دينار ، وبعث نقفور يطلب من الرشيدية أن يهب لابنه جارية من بنات هرقلة ، كان قد خطبها لولده ، فزينت الجاريية وسلمت الى رسيول نقفيور ، وبعث معها الطيب والتمور والزبيب الذي طلبيه منه نقفيور ، واشيب والتمور والزبيب الذي طلبية منه نقفيور ، واشيب والتمور مدينية منه نقفيور ، واشيب والتمور الا يعمر مدينية هرقليدة وأن يحمل له في كل سنة ثلثمائة ألف دينار ، وبذلك تيسم للرشيد ما أراد ، (٤)

ولى الرشيد حميد بن معيوف سواحل بحر الشام الى مصر فبلغ قبـــــرص وسبى من أهلها أعدادا كبيرة • (٥)

⁽۱) الطبرى ـ ن٠م٠س ـ ج ۸ / ٣١٠٠

[·] ٣١٠ ن · م · س _ ج ٨ / ص ٢١٠ ·

⁽٣) طوانة : بضم أوله ، وبعد الألف نون : بلد بثغـــور المصيصة ٠٠٠ ياقوت الحموى ـ معجم البلدان ـ ج ٤ / ص ٤٥٠

⁽٥) ن٠م٠س ـ جـ۸/ص٢٢٠

وفى عام ١٩١ه فتح الرشيد هرقلة وخربها وسبى أهلها وبث فيها الجيوش (١) والسيسرايا بأرض الروم الى عين ذربى ، والكنيسة السوداء . (٢)

وفى عام ۱۹۲ه ولى الرشيد ثابت بن نضر بن مالك نيابة الثغور فدخل بــــــلاد الروم وفتح مطمورة (۳)، وكان الصلح فيها بين المسلمين والروم على يـــــــــــــد ثابت بن نصــــــر ٠ (٤)

وهذه بينات تشهد على قوة الدولة الاسلامية فى عهد هارون الرشـــــيد ضد أى دولة معاديــــة ٠

• 22222222222222222222222222

⁽۱) عین ذربی: ۰۰۰ وهو بلد بالثغر من نوا هی المصیصة ، قال ابن الفقیه: کان تجدید ذربی وعمارتها علی ید أبی سلیمان الترکی الخادم فی حدود سنة ۱۹۰ ، وکان قد ولی الثغیری من قبل الرشید ـ یاقوت الحموی ـ ن ۰ م ۰ س ـ ج ۶ / ص ۱۷۷ ۰

 ⁽۲) الكنيسة السوداء: ٠٠٠ بلد بشغر المصيصة ٠٠٠ سميت سوداء لأنهاء بنيت بحجارة ســـود بناها الروم قديما ، وبها حصن منيع أخرب ٠٠٠ ، ثم أمر الرشيد ببنائها ٠٠٠ وتحصينها وندب اليها المقاتلة • ياقوت الحموى ـ ن • م •س ـ ج ٤/ص ٤٨٥ ، ابن كثير ن • م • س ـ ج ٠ /ص ٢١٤٠
 (۳) مطمورة : بلد فى ثغور بلاد الروم بناحية طرسوس • ياقوت ن • م •س ـ ج ٥/ص ١٥١٠

⁽٤) ابن كثير ـ ن ٠ م ٠ س ـ ج ١٠/ ص ٢١٤ ٠

أعمال الرشيد الداخليية :-

كانت الدولة في عهد الخليفة هارون الرشيد في قمة مجدها وعظمتها من حيث الشروة التي كانت تأتى من ازدهار الزراعة التي المعكس أثرها على كثرة الخراج، الذي كان يحمل الى الرشيد في كل سنة خمسمائة ألف ألف درهم من الفضة وعشرة آلاف ألف دينار ذهب (١) وبالتالى أدى الى ازدهار الصناعة والتجارة ، الأمر الذي مكن الدولة من كثرة الاصلاحات فقام المختصون بشئون الارواء والمهندسين والمساحين باصلاح ماطم من الأنهار التي تسقى الأراضي الخراجية ، واصلاح السدودالتي تهدمت من الفيضانات بالاضافة الى تقوية ضفاف دجلة والفرات ، واقامة الحسور وحفر القنوات ، (٢)

وقد حفر يحى بن خالد وزير الرشيد نهر القاطول (7)، واستخرج نهرا أسماه أبا الجند بالعراق وأنفق عليه من بيت المال عشرين ألف ألف درهم (5)

وأدى هذا كله الى التوسع فى الأراضى الزراعية والى كثرة المحاصيل والبساتين، كما أدى الى كثرة العمران، فقد بنيت القصور الفخمة والمساجد والمدارس والمستشفيات، فقد شيد الرشيد مستشفى كبير لتعليم الطب وزوده بالمولفات العلمية ، (٥)

وأدى أيضًا الى الرخاء والاستقرار مما أثر كثيرا على الأوضاع الاقتصادية للمجتمع فازدهرت التجارة وتطورت الصناعة ، وراجت الأسواق ، فك التجارة وتطورت الصناعة ، وراجت الأسواق ، فك التجارة وتطورت الصناعة ،

⁽۱) حسن ابراهيم حسن - تاريخ الاسلام السياسي - ج ٢/ص ٢٨٠ وانظر الملحق رقم (٢) .

⁽۲) حسام الدين السامرائي - دراسات في الاقتصاد الزراعي للدولة العباسية في القرن الثالث الهجري مجلة البحث العلمي والتراث الاسلامي - ص/ ٣٦٣ (العدد الخامس - مركز البحث العلمي واحياء - - - - - - - - - - - - التراث - جامعة أم القري - ١٤٠٢ه) ٠

⁽٣) القاطول :اسم نهر كان مقطوعامن دجلة • وهو نهر كان موضع سامراء قبل أن تعمر • وكان الرشيد أول من حفر النهر وبنى على فوهته قصر أسماه أبا الجند لكثرة ماكان يسقى من أراضى وجعله لأرزاق جنده وهو يصب فى النهروان • ياقوت الحموى - معجم البلدان - ج ٤/ص ٢٩٧ •

⁽٤) الجهشياري _ الوزراء والكتاب _ ص/١٧٧ ٠

⁽٥) حسن ابراهيم حسن - ن ٠ م ٠ س - ج ٢/ص ٣٥٥ ٠

تملها برا وبحرا من خراسان وماوراعها ومن الهند والصين ومن الشام والجزيرة وكان الرشيد حريص على تأمين الطرق وسلامتها •

وتطورت أوضاع المجتمع في مراقي التقدم العلمي ، فقد شجع الرشيد العلم والأدب، وأغدق المال على طلاب ، فكانت بغداد قبلة لطلاب العلم من جميل البلدان الاسلامية ، فكانوا يدرسون العلوم الدينية والعربية على اختلاقها ، فكان فيها كبار المحدثين والفقها واللغويين والأدباء والنحاة ، (1) واهتم الرشيد أيضا بترجمة ماعثر عليه المسلمون من كتب اليونان ، فنشطت حركالترجمية ، (1)

وبذلك أصبحت بغداد أكبر مركز في الشرق للعلوم والتجارة • وهــــذه دلالـــــة على التقدم الحضاري في عهـد هـارون الرشـيد • •

⁽۱) محمد الخضرى ـ تاريخ الأمـم الاسلامية والدولة العباسية ـ صص / ١٣٤، ١٣٥٠ -

⁽٢) حسن ابراهيم حسن _ .ن ٠ ٩ ٠ س ج ٢ / ص ٣٤٦ ٠ -

المبحر (لاثافي)

فى معنى لكلمة الخراج، والمحتوى المهم من دسكة المخراج. وفيد مطلبان: -

المطلب الأول: تعريف " المخنى الج " والمراد بهذا اللفظ في رسالة الحزاج . المطلب الثانى: رسالة الحزاج والمهم من محتواها

بایجاز .

المبحـــث الثــانــى =======

" " المطلب الاول " "

• XXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXX

معنى الخسراج اللغسوى :--===========

الخراج يطلق على الغلية (١): ومنه قوله ـ صلى الله عليه وسليم وسليم الخيراج بالضمان " أى مايستحقه الانسان من غلة المال ، انما يكون اذا كان ضمانه عليه عند تلفيه (٢) ، ويطلق على الأجير (٣) : ومنه مايأخذه السيد مين أجرة العبيد ، وقوله تعالى : " فهيل نجعل لك خرجيا " (٤) أى أجير .

قال الزمخشرى : أى جعلا نخرجه من أموالنا (٥) ، ويطلق أيضا علــــــى الاتـاوة بمعنى الرشـوة ، (٦)

قال في المصباح: " الخراج والخرج مايحصل من غلة الأرض ، ولهذا أطلق على الجزية أي لأنها ماينتج من عمل الذمي " (٢).

⁽۲) مجد الدین أبی السعادات بن محمد بن محمد الجزری المعروف بابن الأثیر ـ ت ۱۰۱ه ـ النهایة فی غریب الحدیث ـ ج ۱/ صص ۲۸۲ ، ۲۸۷ ۰

⁽٣) الماوردي ن ٠ م ٠ س م ٢٨١ ١٠ ١٠ ١٠ التهانوي - كشاف اصطلاحات الغنون - ج ٢ / ص ٥٤٠٩٠

⁽٤) سورة الكهف _ آيـة (٩٤) ٠

⁽o) أبى القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشرى الخوارزمى (٤٦٧ ـ ٥٣٨) ـ الكشاف ـ ح٢ / ص ٤٩٩ (ط الأخيرة ـ مطبعة البابى الحلبي ـ القاهرة ـ ١٣٨٥ ـ ١٩٦٦م) ٠

⁽٦) القاموس المحيط - ج ١ / ص ١٨٤ ٠

⁽Y) المصباح المنير _ص / ٢٧٥ ·

وفى القاموس المحيط: " الخراج الاتاوة (1) ، جمعه : أخراج " (7) ما تأخذه الدولة من غلة الأرض أو جزية الذمى ، قال فى المغرب : " ثم سمسى ما يأخذه السلطان خراجا ، أدى فلان (خراج أرضه) وأدى أهل الذمة (خراج رووسهم) عندى الجزيدة " (7)

وفى شرح الزبيدى للقاموس : يقال خراج العبد لما يأخذه السيد مسسن غلته ، وخراج الأرض التى فتحت عنوة ، وخراج السرأس لما يوخذ من الذمى كل سنة أيضًا . (٤)

الخراج في اصطلاح الفقهاء : -

الخراج ما يوخف من الأرض التى فتحت عنوة وأقسر أهلها عليها، أو فتحت ملحسا وأقسر أهلها عليها، أو فتحت ملحسا وأقسر أهلها عليها كذلك ، الا أرض العرب (٥) ، ويستعمل فى الجزيسسة التى توخف من الذمى كلسنة ، ويقال خراج الرأس ، (٦)

وقد ذكر أبو يوسف في رسالة الخراج هذا المعنى حيث قال : " الفيين وقد ذكر أبو يوسف في رسالة الخراج هذا المعنى حيث قال : " الفيين وقد الخراج عندنا و يا أمير المومنين و " (٧) .

⁽۱) الاتاوة = أى الرشوة _ المصباح المنير _ ص / ٩٠

⁽٢) مادة خرج _ الفيروز أبادى _ القاموس المحيط _ ج ١ / ص ١٨٤٠

⁽٣) المطرزي <u>- المغرب </u>- ص / ١٤٢ ·

⁽٤) الزبيدى _ تاج العروس _ فصل الخاء باب الجيم _ ج ١٢/ ص ٢٨٠

⁽٥) داماد أفندى - مجمع الانهر - ج ١ / ص ٦٦٢ ٠

⁽٦) الحمكفي - الدر المنتقى بهامش مجمع الأنهر - ج ١ / ٦٦٩٠

⁽٧) أبو يوسف _ كتاب الخراج _ ص/ ٢٥٠

وهذا المعنى بعينه هو المراد بالخراج في عنوان رسالة أبي يوسسسف بدليل النص عليه في رسالته كما قدمناه : الفي هو الخراج ياأمير المومنين وان كان أبو يوسف ذكر معه موارد اسلامية أخرى ، فهو كما يقول أهل العلم عنصون لشي وزاد عليه ولايقال ان أبا يوسف أراد بالخراج في رسالته الأموال العامة كما يقول بعض الكاتبين (١) ، لأنه ليس بعد النص من صاحب الرسالة احتمال آخري و

⁽۱) ومما استدل به قول القاموس المحيط ، الخراج ، الاتاوة كالخراج ، وفسر الباحث محمد ضياء الدين الريس في كتابه الخراج والنظم المالية للدولية الاسلامية في صفحة ٨ ، ٩ - الاتاوة بالضريبة ، لكن ليس معناها الضريبية بل معناها الفريبية بل معناها الرشوة كما جاء في المصباح ص/٩ ، وغيره ، معناها الرسوة كما جاء في المصباح ص/٩ ، وغيره ، مرى الركو ررضعت الحوطي أرم المراد بلكمة الحراج في سالة الحراج للمراد بلكمة الحراج في سالة الحراج للمراد بلكمة المراج في سالة الحراج للمراد بلكمة المراج وغيرها ،

(رسالة الخراج والمهم من محتواها بایجاز)

رسالة الخراج عبارة عن مجموعة النصائح التى توجه بها أبو يوسف السي الخليفة هارون الرشيد ، شم الأجوبة عن الأسئلة التى توجه بها الخليفة اليه في المسائل المالية وبعض المسائل الاجتماعية ، هذه الأجوبة مدعمة بالأدلة مسن القسرآن الكريسم والحديث ، وآشار المحابة ، وباجتهاده فيما ورد من هسنده الأدلة ليصل الى الجواب الصحيح لكل سؤال مستهدفا المصلحة العامة ،

افتتح القاضى أبو يوسف رسالة الخراج بوصيت لأمير المومنيسسن أن يحسن معاملة رعيته ويتقى الله فيهم ، وبالدعاء له أن يوفقه الى كسل مافيه عدل بين الرعية ، ونصح له أن يعمل بما فى هذه الرسالة ، ثم ذكسر له أحاديث عن رسول الله عليه الله عليه وسلم عليه وسلم فى الجهاد فى سبيل الله وعلى ذكره والصلاة على نبيه ، وبين له أن طريق الجنة محفوف بالمكاره والأعمال المالحة الشاقة ، وأن النار محفوفة بالمفاسد والشهوات الى غير ذلك ،

ثم بدأ يجيبه عما سألـه عنه أميـر المؤمنيـن ، فذكـر له أحكامـــا هى حلول لمشكلات وقضايا ، عرضت لأميـر المؤمنين فى شئون الدولة المختلفـــة فبين كيف تقسـم الغنيمة ، وأن خمسها يصرف لليتامى والفقراء والمساكين وابــن السبيل ، وأربعة أخماسها تصرف للجند : للراجـل سهـم وللفارس سهمان أو ثلاثة على الخلاف بين الفقهاء٠

ثم أوضح له كيف يقسم ما لحق بها من : المعدن والركاز وما استخرج من البحر من الحلية والعنبر •

شم أجاب عن قسمة الفئ وهو الخراج ، وبين أن خراج الأرض المفتوحـــة عنوة يجبى ويوضع فى بيت المال المسلمين ليصرف على مصالحهـم ، مستدلا بآيات من سورة الحشـر (1) ، وذكر المحاورة التى حدثت بين أمير المومنين عمر بــن الخطـاب وبلال وأصحابه (٢) ، ممن كانوا يقولون بقسمة الأرضيـن على الجيش ، وأن عمر أقنعهـم بأن الأرض تبقـى للمسلمين ، ويصرف من خراجها في مصالحهم ،

ثم تكلم عن جباية الخراج والجزية ، ونهى عن التعسف فى حقوق أهل الذمة ، وأشار الى مايجب أن يتحلى به جباة الخراج من اللين والتعفف والتققه فى الدين ، ونهى عن التقبل فى نظام الخراج ، لأن فيه ظلم عظيم لأهل الخراج واقترح استبدال الخراج الموظف بنظام المقاسمة الذى وصفه بأنه أفضل وأصلول

شم تحدث عن العشور والصدقات ومصارفها ، ولم تقتصر الرسالة على الخراج فقيط بل تطيرق الى أمور أخرى كثيرة ، فقد تحدث فيهاعنأنواع الأرض الخراجية والعشرية والموات والاقطاع وتحدث أيضاعن شئون الرى والنواحى الاجتماعية كمعاملة أهل الذمة ولباسهم وبناء الكنائس ، والعقوبات على الجرائم ، وحكم المرتد عن الاسلام ، وقتسال أهل الشرك .

القاضى أبو يوسف المصلح لمالية الدولة :-

وعلى الجملة فان رسالة الخراج لم تكن رسالة فقهية فقط بل كانست

⁽۱) سورة الحشر _ آيـة من (۲ _ ۱۰) ٠

⁽۲) أصحابه هم : الصحابى عبد الرحمن بن عوف ، والصحابى الزبيسر بن العسسوام أبو يوسف ـ كتاب الخراج ـ ص ۱۲ •

رسالة اقتصادية واجتماعية أيضًا • وكان أكثر الرسالة منصبا على ماليــــة الدولة ومصادرها ، وضرورة ارسا • قواعد ذلك على ماوردت به الشريعــــة الاسلاميـة • وهى تكشف عن أن الفرائض الماليـة قد فصـلت بشكل دقيق ، ولا يستطيع معرفة دقائقها وتفاصيلها الا من كان له المام بها ، كيف تجبى وكيـــــف تصـرف فى مكانها الصحيــح •

وكثيرا ماكان يذكر رأيه ورأى غيره من الفقها، ، ويفاضل بين دليله ودليه ودليه غيره بالمناقشة النزيهة الهادفة ، كما في رأيه بتملك الأرض بالاحيا، الا اذا ترتب على ذلك ضرر ، فانه خالف فيه الامام أبا حنيفة الذي يشترط مصع الاحياء اذن الامصام اذن الامصام .

وقد خالف ماكان مطبقا فى السواد فى عهد الخليفة عمر بن الخطاب ورضى الله عنه وفي نظام جباية الخراج الموظف ، ذلك أن انتاج أرض الخراج في عصر هارون الرشيد ، يختلف عما كان عليه فى عهد الخليفة عمر بن الخطاب حين كان السواد عامرا ، فقد قلت الأرض المنتجة بمرور الزمن ، ولذلك أشار أبو يوسف على أمير المومنيين الرشيد بالعمل بنظام المقاسمة وهو قسمة الخارج من الأرض بين السلطان وأهل الخراج دون عسف أو ظلم • قال أبو يوسف : " فلم أجد شيئا أوفر على بيت المال • • • من مقاسمة عادلة خفيفة فيها للسلطان رضى ولأهل الخراج • وفضل • " (٢)

وقد اقترح أبو يوسف نسب المقاسمة على أن يعمل بها وهيى :١- الأراضي التي تسقى سيحا بمياه الأنهار والأمطار فعلى خمسين ٠

- ٢- الأراضى التي تسقى بالدوالي فعلى ثلاثـة أعشار
 - ٣- الأراضى التي بها النخل والشجر فعلى الثلث ٠

⁽۱) أبويوسف ـ ن٠م٠س ـ ص / ۱۳۲ ، ۱۳۸ ٠

⁽٢) أبو يوسف ـ ن ٠ م ٠ س ـ ص ١١٢ ٠

٤_ وغلات الصيف فعلسى الربع •

قال أبو يوسف: " رأيت ـ أبقى الله أمير المومنين ـ أن يقاســــــم من زرع الحنطة والشعير من أهل السواد جميعا على خمسين السيح منه ، وأما الدوالى فعلى خمس ونصف ، وأما النخل والكروم والرطاب والبساتين فعلى الثلث، وأما غلات الصيف فعلـى الربع ، " (1)

وقد بين أبو يوسف أن غرض أمير المومنين من الاشارة علي وقد بين أبو يوسف أن غرض أمير المومنين من الاشارة علي ميوارد بوضع هذه الرسالة هو رفع الظلم عن رعيته ، واصلاح أمرهم وتنظيم ميوارد الدولة المالية وممارفها ، قال أبو يوسف : " ان أمير المومنين و أيده الله و منابع له كتابا جامعا يعمل به في جباية الخراج ، والعشور والصدقات ، والجوالي ، وغير ذلك ، مما يجب عليمه النظر فيه والعمل بصد وانما أراد بذلك رفع الظلم عن رعيته والميلاح لأمرهم ، وفقه الله تعالى أميرسر المومنين وسدده وأعانه على ما تولى من ذلك ، " (٢)

لقد كان النظام الذى تسير عليه الدولة العباسية فى شئونها العامسة مأخوذا من مذهب الامام أبى حنيفة النعمان بن ثابت ، وهو المذهب الرسمى للدولة عير أن أمير المو منين هارون الرشيد أحس بحاجته الى استجلعف بعض الأمور التى شعر فيها بالغموض ، فتوجه الى القاضى أبو يوسف بأسئلة فى هذا الشأن ، فأجاب عنها بما يراه ، مع بيان رأى أبى حنيفة أحيانا .

وقد صاحب هذه الأجوبة الكثير من النصائح والوصايا كما قدمت ٠

⁽۱) ن٠م٠سـص / ۱۱۲۰

⁽۲) ن ۰ م ۰ س ـ ص / ۳۱ ۰

وسمى ما جمعـه من الأجوبـة والنصائح برسـالة الخـراج ، لأن أحكـــام الخـراج كانت هـى الغالبـة على مافـى الرسـالة ، فهـى تعتبــر وثيقـــة تاريخيـــة مهمـة تبيـن لنــا أحـوال الدولــة الماليــة في عهــد هــارون الرشـــيد ٠٠



الكالمة الأقتصادية للدولة العباسية كما عرضها أبويوسف.

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: موارد ومصرارف المال فالدولة المبحث الأسلامية.

المبحث الثانى: أصناف الأراض والحقوق المتعلقة بها. المبحث الثالث: النشاط الإقتصادى في المجتمع الإسلامي.

الغمـــل الا ول

الحالة الاقتصادية للدولية العباسية كما عرضها أبو يوسيف

ברכלכלכלכלכללכללכללללללל

تعرف الحالة الاقتصادية لدولة ، بالنظر فى ثروتها وامكاناتها المادية والبشرية ووسائل الانتاج فيها ، شم فى خطط توزيعها على مختلف مرافق الدولة والخدمات العاملة ، ومدى توازن الموارد والمصارف .

المبحث الا ول

ميت موارد ومصارف/المال في الدولــة الاسلاميـــة

أ ـ موارد/المال في الدولة الاسلاميـة :-

ان عصب الدولة هو المال ، ولذلك اهتم الخليفة هارون الرشيد بتنطيسم جباية موارد بيت المال ، كما أولى عناية كبيرة للوجوه التى تصرف فيها • وقد حرص على أن تكون الموارد والمصارف فى حدود أحكام الشريعة الاسلامية ، ولشدة حرصه على بسط العدل بين رعيته فى هذا الشأن ، طلب من قاضى قفاته أبى يوسف أن يكتب له كتابا جامعا لأحكام الموارد والمصارف ، وأن يوضح له حكم الاسلام فيها • ويبدو أن عددا كبيرا من الأسئلة كانت تراود ذهان الخليفة الرشايد وأنه كان يحرص على الحصول على اجابات وافية فى بيان أحكام جباياة الخارج بخاصة ، وغيره من الجبايات والمصارف بعاصة •

ذلك أن الحراج هو أعظم موارد الدولة شأنا ، وهو فى رسالة الخصصواج من اطلق اسم الجزء على الكصل ، لأنه أحد هذه الموارد التى ذكرها أبويوسف فى الرسالة ،

قال أبو يوسف : " ان أمير المؤمنين ـأيده الله ـ سألنى أن أضـــع له كتابا جامعا (١) ، يعمل به في جبايــة الخراج والعشور والصدقات والجوالي (٢) وغير ذلك مما يجب عليه النظر فيه ، والعمل به ، وانما أراد رفع الظلم عـــن

⁽۱) أى حاويا لأحكام كثيرة ٠

⁽٢) الجوالى = جمع جالية ، يقال : استعمل فلان على الجالية أى على جزية أى الذمة الذين أجلوه أى اخرجوا عن أوطانهم _ الرحبي _ الرتاج _ ج ١/ ص ٤١ .

الرعية والصلاح لأمرهم ، فوفق الله أمير المؤمنين وسدده ، وأعانه على ماتولى من ذلك ، وسلمه مما يخاف ويحذر • وطلب أن أبين له ما سألنى عنه مما يريد العمل به ، وأفسره وأشرحه • وقد فسرت ذلك وشرحته • اا (١)

وهكذا فقد نص أبو يوسف على الخراج والعشور والصدقات والجوالى ، كما أشار الى " غير ذلك مما يجب عليه النظر فيه " ٠

ان القصد من هذا المبحث ـ على أى حال ـ تقديم دراسة مفصلـــــة عن موارد بيت المال ، التى أوردها أبو يوسف فى كتاب الخراج ، وتقديــــم دراسـة موسعـة لحدود كل منها ٠

الخـــــراج :- ^(۲) ------

ولا ريب في أن أهم هذه الموارد منذ عهود الاسلام الأولى هو الخصراج لأنه الدعامة التي تعتمد عليها الدولة للصرف منها على المصالح العامة .

الترامات عنوه الرمات والخراج ضريعة مالية تجبيها الدولة على الأرض التى فتحت رصلحا وتركت والخراج ضريعة مالية تجبيها الدولة على الأرض التى فتحت الحشيد في يد أصحابها ، قال أبو يوسف : " وهو المراد بالفي آيات سورة الحشيد في قوله تعالى : " ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى ••• "(٣) الآيات د •

قال أبو يوسف : " وأما الفي - يا أمير المؤمنين - فهو الخراج عندنا

⁽۱) أبو يوسف _ كتاب الحراج _ ص / ٣١ ٠

⁽٢) تقدم تعريف الخراج في المطلب الأول من المبحث الثاني ص ٥٦/٠٠.

⁽٣) سورة الحشـــر ، الآيات (٢ ـ ١٠) ٠

أهل القرى فلله وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل كيلا يكسون دولة بين الأغنياء منكسم " (١) حتى فرغ من هولاء • ثم قسال :" للفقسراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوان المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوان الرحمن وينصرون الله ورسوله أولئك هسم الصادقون " • (٢) وذلك أن بلالا وعبد الرحمن ابن عوف والزبير بن العوام وغيرهم من الصحابة ـ رضى الله عنهم ـ طلبوا من أميسر المومنين عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ أن يقسم بينهم ما أفاء الله عليهم (٣) من الأرض في سبواد العبراق (٤) والشام بين جنود المسلمين الذين افتتحوهسسا مثل ماقسموا الكبراغ (٥) والمتاع والسلاح • فأبي أمير المومنين عمر بسسن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ واستدل بالآية الكريمة ، قال تعالى : " والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ، ولا تجعسسل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ، ربنا انك رووف رحيم • " (١) ثم بين المراد منها بقوله ان الله أشرك معكم المومنين الذين يأتون من بعدكم ، فلو قسم لم يبق لهم بقوله ان الله أشرك معكم المومنين الذين يأتون من بعدكم ، فلو قسم لم يبق لهم شيئا ولئن بقيت ليبلغن الراعي بصنعاء نصيبه من هذا الفي، ودمه(٧) في وجهه(٨)."

⁽۱) سورة الحشر ، آيـة (۲) .

⁽۲) سورة الحشر ، آیـة (۸) .

⁽٣) الرحبى ـ الرتاج ـ دِ ١ / ص ١٩١ •

⁽٤) سواد العراق = حده من حديثة الموصل الى عبادان طولا ومن العذيب بالقادسية الصدى حلوان عرضا فيكون طوله مائة وستين فرسخا ـ وعرضه ثمانين فرسخا ـ ياقوت الحموى ـ معجم البلدان ـ ج ٣ / ص ٢٧٢ ٠

والفرسخ ثلاثة أميال بالهاشمي - المصباح - ص / ٧١٧ ٠

⁽٥) الكراع = اسم لجميع الخيل ٠ (٦) سورة الحشر ، آيـة (١٠) ٠

⁽۷) دمه فی وجهه = أی لایصیبه فی وصول حقه الیه عناء ولاً مشقـة سفر _ الرحبـی _ _ الرتاج _ ج ۱ / ۱۹۲ ۰

⁽٨) أبو يوسف _ كتاب الخراج _ ص / ٦٧ ·

ومعنى ذلك أن الله لما أشرك مع المهاجرين والأنصار المسلمين الى يسوم القيامية ، فهم منه أن الأرض لا تقسم بل تبقى بأيدى من يستثمرونها وللمسلمين خراجها ينتفعون به في مصالحهم العامة ، (١)

الخــراج قســمان: -

خـراج موظف وخراج مقاسمة •

الخـــراج الموظف : -------------------

هو مقدار معين من النقود أو الحبوب أو منهما يوضع على مساحة مسن الأرض ، وهو الذي طبقه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ فســق أرض السواد ، وتورد المصادر المعتمدة معلومات مختلفة عن الصورة التي طبــق بها أمير المؤمنين عمر بن الخطاب خراج الوظيفة (٢) ، ومثل ذلك نجده عنــد أبى يوسـف ، حيث قـدم صورا متعددة ومتداخلة من الروايات الآتيـــة :-

قال أبو يوسف:عن عامر الشعبى قال: لما أراد عمر بن الخطاب أن يمسـح

⁽۱) ن٠م٠س ـ ص / ۲۲٠

قدم الدكتور السامرائى دراسة مفصلة واحصائية لتك المعلومات فى كتاب "الزراعة فى العسرائ الفيسرائب فى العسراق خلال القسرن الثسالث الهجسرى " عند تعرضه لموضوع الضسرائب الفصل الخامس ص ص / ٤٧ ـ ١٩١ • وانظسر الاحصائية الملحقسة بالبحث المذكور ص ص / ١٩٢ ـ ١٩٣ •

السواد أرسل الى حذيفة (١): أن ابعث الى بدهقان (٢) من جوخى(٣) ، وبعث الى عثمان (٤) بن حنيف: أن ابعث الى بدهقان من قبل العراق • فبعث اليه كل واحد منهما بواحد ومعه ترجمان (٥) من أهل الحيرة ، فلما قدموا على عمر قسال: كيف كنتم تودون الى الأعاجم فى أرضهم ؟ قالوا : سبعة وعشرون درهما • فقال عمر : لا أرضى بهذا منكم • ووضع على كل جريب (٦) عامر أو غامر يناله الماء قفيزا (٧) من حنطة ، أو قفيزا من شعير ودرهما فمسحما على ذلك " (٨)

ثم قال : وحدثنى سعيد بن أبى عروبة ، عن قتادة ، عن أبى مجلز ، قال:

⁽۱) حذيفة بن اليمان العبسى صاحب سر النبى - صلى الله عليه وسلم - وفى الصحيحين أن أبا الدرداء قال لعلقمة : أليس فيكم صاحب السر الذى لا يعلمه غيره يعنى حذيفة ت ١٦ه - شهاب الدين أبى الفضل أحمد بن على بن حجر العسقلانى ت ٢٥٨ - الاصابة في تمييز الصحابة - ج 1 / ص ٢١٩ - تهذيب التهذيب - ج 7 / ص ٢١٩ ٠

⁽٢) دهقان = بكسر الدال المهملة جمع دهاقين معرب يطلق على رئيس القرية ـ المصباحس/٣٠٩٠

⁽٣) جوخى = بالضم، والقصر، وقد يفتح: اسمنهر عليه كورة واسعة فى سواد بغداد ـ ياقوت الحموى ـ معجم البلدان ـ ج ٢ / ص ١٧٩٠

⁽٥) ترجمان = المفسـر للسان ٠

⁽٦) الجريب = الوادى ثم استعير للقطعة المتميزة من الأرض فقيل فيها جريب، والجريب طوله ستون ذراعا، وعرضه مثله، والذراع ست قبضات، والقبضة أربعة أصابع، قال: وعشر هذا الجريب يسمى قفيزا المصباح ص / ٤٩، المغرب ص / ٧٨٠

⁽٧) قفيزا = مكيال وهو ثمانية مكاكيك والجمع أقفزة ، والقفيز أيضًا من الأرض عشر جريب وهو القفيز الهاشمى، وهو الصاع من حنطة أو شعير ـ المصباح ص / ٢٨٧، الرحبي ـ الرتاج ـ ج 1 / ٢٨٢ .

⁽A) أبو يوسف <u>ن ٠ م ٠ س</u> ص / ٩٠ ، الرحبي <u>ن ٠ م ٠ س</u> ح ١ / ص ٢٦٩ ٠

بعث عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ عمّار بن ياسر (١) على الصلاة والحسرب وبعث عبد الله بن مسعود (٢) على القضاء وبيت المال ، وبعث عثمان بن حنيف على مساحة الأرضين ، ١٠٠٠ قال : فمسح عثمان الأرضين ، فجعل على جريب العنب عشرة وعلى جريب النخط ثمانية ، وعلى جريب القصب ستة ، وعلى جريب الحنطة أربعة وعلى جريب الشعير درهمين ، وعلى الرأس اثنى عشر ، وأربعة وعشرين ، وثمانيسة وأربعين ، وعطل من ذلك النساء والصبيان .

قال سعید : وخالفنی بعض أصحابی ، فقال : علی جریب النخل عشرة ، وعلی جریب العنب ثمانیــة " (۳)

ثم أورد أبو يوسف عن عمرو بن ميمون ، قال : " بعث عمر ، حذيف ي ابن اليمان على ماورا ، دجلة ، وبعث عثمان بن حنيف على مادون ذلك ، (أى غربيها من السواد) فأتياه ، فسألهما : كيف وضعتما على الأرض ؟ لعلكما كلفتما أه لل عملكما مالا يطيقون ، قال حذيفة : لقد تركت فضلا ، وقال عثمان : لقد تركت الضعف ، ولو شئت لأخذته ، فقال عمر عند ذلك ـ : أما ـ والله ـ لئن بقيت لأرامل أهل العراق لأدعه ن لا يفتقرن الى أمير بعدى ، " (٤)

⁽۱) عمّار بن ياسر صحابى جليل وأحد السابقين الى الاسلام والجهر به ، قتل فى صفين عام ۳۷هـ ابن حجر العسقلانى _ ن · م · س _ ٥٧٠٤ الرحبى _ ن · م · س _ ج١/١٧١٠

⁽۲) عبد الله بن مسعود من أكابر الصحابة فضلا وعلما كانيلازم رسول الله ـ صلـــى الله عليه وسلم ـ وحدث عنه الكثير ، وكان صاحب نعليه ، توفى بالمدينة عــام الله عليه وسلم ـ وحدث عنه الكثير ، وكان صاحب نعليه ، توفى بالمدينة عــام ٢٣ هـ ٠ ابن خجر العسقلاني ـ ن ٠ م ٠ س ـ ١٥٠٤ ، أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (١٨٠ ـ ٢٥٥ هـ) ـ تحقيق عبد السلام هارون ـ البيان والتبيين ـ ج ٢ / ص ٥٦ (ط ٤ بيروت) ٠

⁽٣) أبو يوسف ـ ن ٠ م ٠ س _ صص/ ٨٨، ٨٨ المرحبي -ن ٠ م ٠ س ـ ج ١ / ص ٢٧١ ٠

⁽٤) ن ٠ م ٠ س - ص / ٠٨٨، يحيى بن آدم ـ الخراج ـ ص / ٧٦، ٧٧٠

السرىءن وأورد أبو يوسف بعد ذلك رواية عامر الشعبى التى جاء فيها : " أن عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ فرض على الكرم عشرة عشرة ، وعلى الرطبة (١) خمسة خمسة ، وعلى كل أرض يبلغها الماء ـ عملت أو لم تعمل ـ درهما ومختوما • قال عامر : هو الحجاجى ، وهو الصاع (١) وعلى ماسقت السماء من النخل العشر ، وعلى ماسقى بالدلو ، نصف العشر ، وماكان من نخل عملت أرضه ـ فليس عليه شيء " • كما أنه ذكر رواية الحجاج بن أرطاة عن أبى عون من " أن عمر بن الخطاب مسح السواد مادون جبل حلوان (٣) فوضع على كل جريب عامر أو غامر يناله الماء بدلو أو بغيره زرع أو عظّل درهما وقفيزا واحدا • • • وألغى لهم النخل عونا لهم ومن الخضر من غلة الميف من كل جريب ثلاثة دراهم ، ومن جريب السمسم خمسة دراهم ، ومن الخضر من غلة الميف من كل جريب ثلاثة دراهم ، ومن جريب القطسن خمسة دراهم ، ومن الخضر من غلة الميف من كل جريب ثلاثة دراهم ، ومن جريب القطسن

قال الخطيب البغدادى: " أن عمر بن الخطاب بعث ابن حنيف فمسح السواد فوضع على كل جريب عامرا أو غامرا - حيث يناله الماء - قفيرا ودرهما • قال: وكيع : يعنى الحنطة والشعير - (يعنى قفيزا من الحنطة والشعير) ، ووضع على كل

⁽۱) الرطبة = وهو نبات يأكله الحيوان وكلما أكل منه نبت وهو المعروف بالبرسيم المصباح ـ ص / ٣٥٢، المغرب _ ص / ١٩٠، الرحبى ـ المصدر السابق ـ ج ١ / ص ٢٦٩ ٠

⁽۲) الصاع : سمى حجاجيا نسبة الى الحجاج بن يوسف الثقفى والى العراق لأنه قد فقـــد فأخرجه الحجاج وكان ثمانية أرطال والمد رطلين ـ أبو يوسف ـن ٠ م ٠ س ـ ص/٨٩، الرحبي ـ ن ٠ م ٠ س ـ ج ١ / ص ٢٧٩ ٠

⁽٣) حلوان: بالضم ثم السكون، وحلوان العراق، هي في آخر حدود السواد مما يلـــي الجبال من بغداد، ياقوت ـ معجم البلدان ـ ج ٢/ ص ٢٩٠ ٠

⁽٤) أبو يوسف ـ ن ٠ م ٠ س ـ ص / ٩١ ـ الرحبى ـ ن م ٠ س ـ ج ١ / ص ٢٨٦ ٠

جريب الكرم عشرة دراهم ، وعلى جريب الرطاب خمسة دراهــم " · (١) " وأن عمـــر بعث عثمان بن حنيف فمسح السواد ، فوجده ستة وثلاثين ألف ألف جريب فوضع على كل جريب درهمـا وقفيـــزا " (٢).

هكذا تعارضت الروايات في مقادير مايوضع على الأرض ، وقال أهل اعلم بالحديث أن أحسن مايجمع بينها أن هذا الاختلاف كان لاختلاف النواحي وتفاوت الريع تبعا لخصوبة الأرض ، فكان يوضع على بعضها أقل وعلى بعضها أكثر ، ولكرتب أشهر الروايات التي استقر عليه أهل الفقه الحنفي هي رواية السرى عن عامر الشعبي ٠

فالتفسير الممكن لهذه النصوص الكثيرة المختلفة هى القول بأن الوظائف التى رسمها كل من عثمان بن حنيف وحذيفة ، على أساس وحدة المساحة (وهسى الجريب) واقترحها عمر بن الخطاب ، بعد أن تأكد من طاقة الأرض لتحمل هذه المقاديسر ، وقدرة المزارعين على دفعها بيسسر ودون جهد ، لم تكن قد وضعت على نسق موحد ، بل هى متغيرة بتغير وضع الأرض وخصوبتها وطاقتها ، ومدى توفسر مياه الاروا، فيها ونوع مايزرع فيها من محاصيل ، وتتأثر كذلك بقربها وبعدها عن مراكز التسويق من جهة وبمعدلات الأسعار السائدة من جهة أخرى ،اضافة السسى تأثرها بالعوارض الأخرى المختلفة ،

والواقع أن هذا النمط من الحباية الخراجية قد استمر العمل به وتطور طــوال فترة صدر الاسلام ، واستمر كذلك حتى عصر المهــدى •

⁽۱) الخطيب البغدادي ـ تاريخ بغداد _ ج ۱ / صص ۱۰، ۱۱ ۰

⁽٢) ن٠م٠س ـ ج ١ / ص ١١٠

⁽٣) كما جاءفى شرح فتح القدير لكتاب الهداية ـ كمال الدين محمد بن عبد الواحد المعروف باين الهمام الحنفى ت: ٨٦١ ـ شرح فتح القدير ـ ج ٤/٢٦-٣٦٣ (دار صادر ـ بيروت) •

ويبدو أن ديوان الخراج كان يتولى عملية اعادة تقييم المنتجات الزراعيسة لوحدات المساحة في المناطق المختلفة ، تلك العملية التي استعيرت كلمة "الآيين" للتعبير عنها ، وهي كلمة فارسية تعني " قلسانون " الخراج الذي يجرى العملسل به ويتولى الديوان الجبايسة على أساسه ، وهي التي أشير اليها فيما بعد بمصطلح " العبسرة " (1) في المشرق الاسلامي في حين أنها عرفت باسم " السروك" في مصدر الاسلاميسة ، (٢)

وفى العقد الثاني من النصف الثاني من القصصون الشصانى الهجسرى اقترح الوزير عبيد الله معاوية بن يسار على الخليفة المهدى نظاما جديدا يتضمن نقل خراج المساحة الى نظام المقاسمة •

وقد ورد ذلك في كتابه الذي ألفه وقدمه الى المهدى متضمنا هــــــذا الاقتراح ٠

قال ابن طباطبا: " ٠٠٠٠ فلما مات المنصور وجلس المهدى على سريــر الخلاقــة فوّض اليــه (أى الى أبى عبيــد) تدبيـر المملكة وسلّــم اليه الدواويـن وكان مقدّما في صناعته فاخترع أمورا ، منها أنه نقـل الخراج الى المقاسمة ، وكان السلطان يأخــذ عن الغلات خراجـا مقررا ولا يقاسـم ، فلما ولى أبو عبيد الله الوزارة قرر أمـر المقاسمة ، وجعل الخراج على النخل والشجر ، واستمر الحال في ذلك الى يومنا ، وصنف كتابا في الخراج ذكر فيه أحكامه الشرعية ودقائقــه وقواعـده ، وهـو

⁽۱) العبرة = وهو أن يعتبر مشلا ارتفاع السنة التي أقل ريعا والسنة التربي هي أكثر ريعا ويجمعلن ويوخسن نصفهما ، فتلك العبرة بعد أن تعتبر الأسعبار وسائر العوارض • الخوارزمي مفاتيح العلوم من العربي • ١٤٠٠

⁽٢) السامرائي _ الزراعة في العــــراق _ صص / ١٦٥ - ١٦٧

أول من صنف كتابا في الخراج " . (١)

وقد حدد أبو عبيد الله نسب المقاسمة ، قال الماوردى : " ٠٠٠ يجعـل أرض الخراج مقاسمة بالنصف ان سقى سيحـا (٢) وفى الدوالى (٣) على الثلث ، وفــــى الدواليب (٤) على الربع ، ولا شىء عليهـم سواه ، وأن يعمل فى النخـل والكرم والشجر مساحـة خراج تقــدر بحسـب قربه من الأسـواق ٠٠٠٠ " . (٥)

ان الاشارات التاريخية عن تطبيق نظام المقاسمة فى الأرض الخراجية في السواد خلال عصر المهدى لم تتضح ، كما أنها لا تقدم تفصيلات عن ذلك ، ومما زاد فى صعوبة اعطاء صورة كاملة ، أن كتاب الخراج الذى ألغه أبو عبيد الله وزير المهدى لا يزال مفقودا ، ولم ترد فى ثنايا المصادر المنقول عنها الابعلى نصوص لا نعرف مدى دقتها ومن المشكوك فيه أن يكون قد طبق خلال الفتراح قاضى الأخيرة من عصر الخليفة محمد المهدى ، اذ لو حصل ذلك لما كان لاقتراح قاضى القضاة أبو يوسف بتطبيق نظام المقاسمة أى معنى معقول كما سيأتى .

خــراج المقاــــمة : ----

هو استيفاء بيت المال لجزء شائع مما أخرجته ، كالخمس والربيع ٠ قال أبو يوسف : " رأيت ـ أبقى الله أمير المؤمنين ـ أن يقاسم من زرع ـ الحنطة والشعير من أهل السواد جميعا على خمسين ، السيح منه ، وأما الدوالـــى

⁽١) ابن طباطبا - الغخرى في الأحكام السلطانية - ص / ١٨٢٠

⁽٢) سيحا = الماء الجارى • أي على مايسقى بالماء الجارى.

⁽٣) دوالي = مفردها دالية وهي الدلو الذي يستقى به من البئر _ المصباح _ ص/٢٠٦/

⁽٤) دواليب = جمع دولاب وهي المنجنون التي تديرها الدابة - فارسي معرب - المصباح - ص/٥٠٥٠

⁽٥) الماوردى _ الأحكام السلطانية _ ص / ١٥٢ ٠

فعلى خمسين ونصف ، وأما النخل والكروم والرطاب والبساتين فعلى الثلث ، وأما غلات الصيف فعلى الربع " . (١)

والنظام الذى كانت تسير عليه الدولة فى عهد أمير المؤمنين هارون الرشيد هو الخراج الموظف ، وكان هذا النظام فيه اجحاف بحقوق المزارعين وفى مثل هذه الحال ، يجوز للأعمة تغيير هذا الأسلوب الذى جرى العمل به ، اذا لم يجسدوا فيه مصلحة لأهل الخراج ، لأن الغرض هو تعمير بيت المال بحيث لا يكون فيه ظلم على أهل الزرع والثمر .

قال الماوردى : " والذى يوجب الحكم أن خراجها هو المضروب عليها أولا وتغير الى المقاسمة اذا كان لسبب حادث اقتضاه اجتهاد الأئمة " · (٢)

فقد نظر القاضى أبو يوسف فى خراج السواد والوجوه التى يجبى عليه الأحساء ولأجسل ذلك جمع أهل المعرفة بالخراج وغيرهم وناظرهم (٣) لاظهار الصواب فيه فوجد أن جماعة ممن ناظرهم قد زادت فى الخراج وهم ليسوا أهل الخراج، وأن مجموعة أخرى نقصت فى الخراج وهم أهله ، فلم يأخذ بكلا الرأيين واعتبر كلا منهمسا قد ابتعد عن الحق . (٤)

ناظر أبو يوسف أهل الخراج على الخراج الذى وظف فى عهد عمر بن الخطاب و رضى الله عنه على السواد وأرض الشام ، فكان محتمل والأرض له مطيقة ، وهذا ما قاله صاحبا رسول الله على الله عليه وسلم عثمان بن حنيف وحذيفة بن اليمان •

⁽۱) أبو يوسف ـ ن م م ص ـ ص ۱۱۲، الرحبي ـ الرتاج ـ ج ۱ /ص م ٣٤٨، ٣٤٩ ٠

⁽٢) الماوردي - الأحكام السلطانية - ص / ٥٢٠

⁽٣) ناظر من المناظرة : وهى النظر بالبصيرة من الجانبين فى النسبة بين الشيئين ، اظهـار اللصواب • الرحبى ـ الرتاج ـ ج ١/ ص ٣٣٦ ، ٣٣٧ •

⁽٤) الرحبي- ن٠ م · س -ج ١/ ص ٣٣٧ ·

قال أبويوسف: " فناظرتهم فيما كان وظف (١) عليهم في خلافسسة عمر بن الخطاب ـ في خراج الأرض ، واحتمال أرضهم اذ ذاك لتلك الوظيفة، حتى قال عمر لحنيفة وعثمان بن حنيف: لعلكما حملتما الأرض مالا تطيق ـ وكان عثمان عامله اذ ذاك على شط الفرات، وحنيفة عامله على ماورا ، دجلة من جوخي وماسقت ـ فقال عثمان: " حملت الأرض أمرا هي له مطيقة، وان شئت لأضعفت " ، وقال حنيفة : " وضعت عليها أمرا هي له محتملة ومافيها كثير فضل " ، وان أرضهم قد كانت تحتمل ذلك الخراج الذي وظف عليها ، اذا كانا صاحبا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أخبرا بذلك ، ولم يأتنا عن أحد من الناس فيهه اختلاف ما (٢)

غير أن أهل الخراج أوضحوا له حقيقة التطبور الناشئ عن نقص انتاج الأرض من جهسة ، وتذبذب الأسعار من جهسة أخرى لأسباب مختلفة ، وخلصوا الى تبيسان عدم قدرتهم على تحمل أعباء العودة الى ذلك التطبيق بسبب ما استجد من هدة الحقائق .

ان المناظرة التى أجراها أبو يوسف حول موضوع الخراج وماينبغى أن يكون عليه ، قد كشفت النقاب عن حقيقتين أساسيتين في هذا المحسال ٠

ضرورة مراعاة طاقة دافعى الخراج على أدائه ، وقدرتهم عليه واحتمال أرضهم للضريبة المفروضــــــة •

٠ (١) أى : قـــدّر عليهــم

والثانيــــة :-

مدى كفا رق الأرض وصلاحيتها للزراعة •

وهو بلا شك يشير الى تراجع فى القدرة وتناقص فى المساحات التى بقيت صالحة للزراعة ، وهو ماحدث خلال الفترة المحصورة بين فتح العراق وخلافية هارون الرشيد ك وهى تزيد على قرن ونصف من الزمان •

ولذلك فقد كانت حصيلة هذه المناقشات أن أهل الأرض الخراجية عرضوا وجهدة نظرهم وهى أن اعادة تطبيق ماجرى اقراره فى فترة الفتوحات من معدلات فى الجبايدة وعلى أساس المساحة الاجمالية ، ودون ملاحظة المتغيرات هو ظلم لهم لأن الغامر المعطل من الأرض أكثر من الذى كان عامرا فى عهد عمد بن الخطاب ، والعامد الذى يصلح للزراعدة قليل ، ولتأديدة الخراج لابد مدن الخطاب ، والعامد ، وهذا يحتاج لوقت وجهد ونفقة كثيرة .

قال أبو يوسف : " فناظرتهم فيما كان وظّف عليهم في خلافة عمصر ابن الخطصاب في خراج الأرض ، واحتمال أرضهم اذ ذاك لتلك الوظيفة ، فذكروا (1) أن العامر كان من الأرضين في ذلك الزمان كثيرا ، وأن المعطل منها كان يسيرا ، ووصفوا كثرة الغامر الذي لا يعمل ، وقلة العامر الذي يعمل مثل وقالوا : لو أخذنا بمثل هذا الخراج الذي كان (٢) حتى يلزم الغامر المعطل مثل مايلزم العامر المعتمل ، لم نقم بعمل ماهو الساعة عامر ولابحرثه ، لضعفنا عن أداء خراج مالا نعمله ، وقلة ذات أيدينا ، وأما ماتعطّل منذ مائة سنة وأكثر وأقل،

⁽۱) أى : ذكـر هؤلاء الذيـن جمعهـم أبو يوسـف وناظرهـم من أهـل العلم يالخــراج ٠

⁽٢) أى : أيــام عمر _ رضى الله عنه _ •

فلیس یمکن عمارته ولا استخراجه فی قریب • ولمن یعصّـر ذلك حاجة الی مونــة ونفقـة ، ولا یمکنه • فهذا عذرنا فی ترك عمارة ماقد تعطل " .(۱)

ومما علل به أبو يوسف اختيار نظام المقاسمة على الخراج الموظف:

أن الخراج الموظف فيه نقص على بيت المال وعلى أهل الخراج ، ذلك أن الطعام والدراهم وماينتج من الأرض قد يطرأ عليه الرخص ، فيضطر المزارعون الى نقصص مايدفعون من الخصوب من الخصوب من الخصوب من الخواج ويعجزون عن دفع مابه به الكفايمة لمصالح المسلمين ، ولا يقبل السلطان المال أن يحط عنهم من الخصوب ما الخراج ويعجزون عن دفع مابه به الكفايمة لمصالح المسلمين ، ولا يقبل السلطان المالية من الأراضى ، وحينت لايقنع السلطان بما قدد من الخراج ، ولا يترك لهما الناتج من الأراضى ، وحينت لايقنع السلطان بما قدد من الخراج ، ولا يترك لهما زيادة السعر ينتفعون بها بل يرفع عليهم الخراج بما يتفق مع غلاء السعر ،

والغلاء والرخص بيد الله لا يرتبط بكثرة الطعام ولابقلته ، وقد يرخصص الطعام مع قلته ، ويغلو معكثرته ، لكن اذا كان الخراج مبنيا على المقاسمصة كان عدلا لايختلف المقدار المأخوذ منهم بالغلاء والرخص ٠

قال أبو يوسف: " أما وظيفة الطعام فان كان رخيصا فاحشا ، لم يكتف السلطان بالذى وظّف عليهم ، ولم يطب نفسا بالحط عنهم ، ولم تقم بذلك الجنود ولم تشحن به الثغور • واما غلاء فاحشا لا يطيب السلطان نفسا بترك مايستفضل أهل الخراج من ذلك • والرخص والغلاء بيد الله لا يقومان على أمر واحد • وكذلك وظيفة الدراهم ، مع أشياء كثيرة تدخل فى ذلك ، تفسيرها يطول • وليس للرخص والغلاء حـد يعرف ولا يقيام عليه ، انما هو أمر من السماء لا يدرى كيف هـــو؟ ولا الرخص من كثرة ، ولا غلاوه من قلّته ، ولكن ذلك أمر الله وقضاوه • وقد يكون

⁽۱) أبويوســف ـ ن ٠ م ٠ س ـ ص ص / ١٠٩ ، ١١٠٠

الطعام كثيرا غاليا ، ويكون قليلا رخيصا : " (١)

وقد استدل أبو يوسف على أن الرخص والغلاء بيد الله ، وليس ناشئا عن كثرة الطعام وقلّته بما روى سفيان بن عيينة عن أيوب ، عن الحسن قال : غلا السعر على عهد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال الناس لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: "ان وسلم : ألا تسعّر لنا يارسول الله ؟ فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: "ان الله المسعّر ، وان الله هو القابض الباسط ، وانى ـ والله ـ ماأعطيكم شيئا ولا أضعكموه ، ولكن انما أنا خازن ، أضع هَـــذا الأمـر حيث أمرت ، وانــى لأرجو أن ألقى الله وليس أحد يطلبنى بمظلمة ظلمتها اياه ، في نفسس، ولادم ، ولا مــال • " (٢)

ثم تبين لأبى يوسف سيئة أخرى من رساوى، الخراج الموظف، وهـــى ظلم المزارعين بعضهم البعض، وخصوصا الأقويسا، منهم الذين يستحوذون على أجود الأراضى ذات المحصول الوفيسر، ويتركون للضعفا، باقى الأرض القليلة الانتاج والتى تحتاج فى زراعتها الى مشقة ونفقسة فى اصلاحها، ومع ذلك فانهم ملزمون بادا، خراج مماثل مما يورث الأحقاد والمنازعـــات، أضف الى ذلك جور العمـال وظلمهم وأساليبهم التعسفية فى الجباية، وهذا يكشف الأسباب الحقيقيــــة التى أدت الى تذمر أهل الخراج، مما عطل الأرض وقلل الانتاج وبالتالى عمـــل على قلـة الوارد من الخـــراج،

٠ ١١٠ / ٥٠ - س - ص / ١١٠ ٠

⁽۲) أخرجه الترصدى وأبو داود ، والدارمى فى البيوع ، وابن ماجه فى كتاب التجهدارات ـ باب من كسره أن يسعمر · وانظر مسند أحمد ـ ج ٢/صص ٢٣٧، ٣٧٢ ، ونيل الأوطار ـ ج ٥/ص ٢٤٨ ، بذل المجهود كتاب البيوع باب السعير ـ ج ١٥/ص ١٢٣ ، تحفة الأحوذي ـ أبواب البيوع ـ ج ٤/ص ٥٤٣ ،

الحوط المواحق المواحق

قال أبو يوسف: " وأما مايدخل على أهل الخراج فيما بينهم • فلابد لهاتين الوظيفتين (1) من مساحة أو طرازة (۲) ، وأى ذلك كان غلب عليه أهل القوة أهلل الفعف واستأثروا به ، وحملوا الخراج على غير أهله وعلى الانكسار ، • • • فلم أجد أوفر على بيت المال ، ولا أغنى لأهل الخراج من التظالم فيما بينهم وحمل بعضهم على بعض ، ولا أعفى (٣) لهم من عذاب ولاتهم وعمالهم ، من مقاسمة عادلة خفيفة ، فيها للسلطان رضى ، ولأهل الخراج من التظالم فيما بينهم وحمل بعضهم على بعض - راحة وفضل • " (٤)

⁽۱) المراد بالوظيفتين : أولا : وظيفة الطعام وهو الخراج الذي قدّر عليهم من زرع من حنطــة أو شعير • ثانيا : وظيفــة الدراهـم : وهو الخـراج الذي قــــد ر عليهــم بالدراهــم •

⁽۲) طرازه = وهى الموازنة بين الأرض الخصبة المغلسة والأرض السبخة الضعيف والمعنى : أنه لابد لاستخراج الضريبة العادلة المفروضة على الأرض طعاما كانت أو دراهم من أحد أمرين اما المساحة أو الطرازة - الرحبى - ن ٠ م ٠ س - ج١ /ص ٣٤٩ لكن أى الأمرين حصل وغلب الأقوياء الضعفاء واستأثروا بالأرض الخصيف وأعطوا المعنفاء الضعفاء الأرض الضعيفة مالا تطبق مسسن الخصوا المنعفاء الأرض الضعيفة من الظلم : يودى ذلك كله الى هرب أهلها الخصراج ، مع أنواع كثيرة من الظلم : يودى ذلك كله الى هرب أهلها .

⁽٣) أعفـــى = أى أسلم ـ الرحبــى ـ ن م م ص ـ ح ١ / ص ٣٤٧ .

⁽٤) أبو يوســـف - <u>ن · م س - ص</u> ص / ١١١ ، ١١٢ ، الرحبـــى <u>- ن · م · س</u> ج ١ / ص ص ص / ٣٤٥ ، ٣٤٦ ، ٣٤٧ ·

لقد اجتهد القاضى أبو يوسف ، وهو رجل الفقه المحنك ، فأشار عليهم بنظام المقاسمة ، وربما استفاد من جهود عبيد الله معاويدة بسيار في هذا الباب •

ونظام المقاسمة استيفا، نسبة من الانتاج الزراعى للأرض الخراجية تختلف باختلاف جبودة الأرض، ووسائل الارواء الزراعى المستعملة فيها ونوع المنتجبات الزراعية والجهد المبذول في ذلك •

رأى أبو يوسف أن يعامل أهل الخراج بالمقاسمة ، وأن يختلف نصيب بيت المسال فى أسلوب المقاسمة باختلاف نوع الزرع ، فان كان الزرع حبوب الدولة الخمسين غذائية كالقمح والشعير ، وكانت الأرض تسقى سيحا ، كان نصيب الدولة الخمسين من الخارج ، وان سقيت برفع الماء بالدوالي كان نصيبها خمسا ونصف ، أي ثلاث أعشار ، وان كان المزروع العنب والنخل والرطبة وهو المعروف بالبرسيم ، أوكان بساتين من فواكه أخرى فنصيب الدولة الثلث ، وان كان حبا من غلات الصيف فعلى الربع .

ورأى ألا يكون التقدير بالخرص أى تقدير أهل المعرفة للمحاصيل الزراعيمة بطريق التخمين ، بلببيع الخارج وقسمة ثمنه بين الدولة وأهل الخصراج أو يقوم بمعرفة الخبراء العدول وتقسم القيمة ، (١)

قال أبو يوسف : " رأيت _ أبقى الله أمير المؤمنين _ أن يقاسم مــــن زرع الحنطة والشعير من أهل السواد جميعا على خمسين السيح(٢) منه ، وأمـــا

⁽۱) الرحبى -الرتاج - ج ۱ / ص ۳٤۸.

⁽۲) سيحا = الماء الجارى و أى مايسقى بالماء الجارى كماء الأنهار والأودية والأمطار على خمسين _ المغرب _ ص / ۲٤۱ ، الرحبى _ ن و م و س _ ج ۱ / ص ۳٤۸ وقد تقدم تفسيرها ص / ۲۲ و

الدوالى (1) فعلى خمس ونصف ، وأما النخل والكروم والرطاب والبساتين فعلى الثلث ، وأما غلات الصيف فعلى الربع ، ولا يوخن بالخرص (٢) في شيء من ذلك ولا يحسرز عليهم شيء منه ويباع من التجار ، ثم تكون المقاسمات في أثمان ذلك ، أو يقوّم ذلك قيمة عادلة ، لا يكون فيها حمل على أهل الخراج ، ولا ضرر على السلطان ، ثـــم يوخن منهم مايلزمهم من ذلك ، أيّ ذلك كان أخفّ على أهل الخراج فعل ذلك بهم ، وأن كان البيم ، وأجيبوا اليم ، وأن كانت القسمة أخفّ عليهم فعل ذلك بهم ، وأن كان البيم وقسمة الثمن بينهم وبين السلطان أخفّ فعل ذلك بهم " . (٤)

وهكذا فان أبا يوسف - رحمه الله - رأى التخفيف على الزراع مـــن ثلاثـــة أوحـــه :-

الأول :-

أن يكون نصيب الدولة من الخراج قسما مما يخرج من الأرض ، ومقدارا معلوما من الخارج قلل أو كثر ٠

الثانى :- . =========

تحديد حصة بيت المال ليصبح متراوحا في نسبته بين الخمسين والربعع أي بين خمسين الخارج والربع •

الثاك : -

أن تكون هذه القسمة للثمن بعد بيع المحصول أو للقيمة بعد تقويمـــــه

⁽۱)الدوالي : تقدم تفسير الدوالي ص / ٧٣٠

⁽٢) الخرص= أن يقدر ماعلى النخل من الرطب تمرا • وماعلى الكروم من عنب زبيبا ليعرف مقدار ثمره • أبو يوسف ـ ن • م • س ـ ص / ١١١ •

⁽٣) الحرز = أى لا يمنعون من التصرف في الثمار ببيعها • ن • م • س ـ ص / ١١٣ •

⁽٤) أبو ريوسف _ ن م م م ص ص ص ١١٢، ١١٣، الرحبي _ ن م م م ص ج ١/ص ٣٤٨ _ ٥٣٠٠

من قبل الخبراء ، وألا تكون بطريق الخرص ، وهو تقدير الخارج فى زروعه وأشجاره قب الخبراء ، وألا تكون بطريق الخرص ، وهو ضرر بالفلاحيين كما قبل الحصاد ، فأن ذلك عرضة للزيادة فى المقاديس ، وهو ضرر بالفلاحيين كما هنو عرضة للنقص .

الزكـــاة (١)

الزكاة جزء من أموال معينة الذهب والفضة والمال المعد للتجــــارة والماشية السائمة ، أى التى ترعى فى كلاً مباح للعامة ، والزروع عند اشتداد الحــب فيها ، والثمار عند قرب نضجها ، يدفعه المسلم الغنى للمصارف التى بينها الله تعالى فى القرآن الكريم ، قال تعالى : " انما الصدقات للفقراء والمساكيسن والعامليسن عليها والمولفة قلوبهم وفى الرقاب والغارمين وفى سبيل اللــــه وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم " (٢) ويدفعها المسلم ان بلـــــغ ماله نصابا وحال عليه الحـول ، وهــــــذه الزكــــاة لقضـــا، حاجـــة المحتاجيـــــــن ،

قال أبو يوسف : " ولا تؤخذ الصدقة من الغنم والابل والبقر حتى ويحول عليها الحول ، فاذا حال الحول أخذ منها " . (٣)

وقد سأل أمير المؤمنين هارون الرشيد قاضيه أبو يوسف عما يجب فيـــه الزكاة من الابـل والبقـر والغنم والخيل ٠٠

قال أبو يوسف : " وسألت ـ ياأمير المؤمنين ـ عما يجب فيه الصدقـــة من الابـل والبقر والغنم والخيل ، وكيف ينبغى أن يعامل من وجب عليه شيء مــــن الصدقــة في كل صنف من هذه الأصنـاف ؟ ٠

⁽٢) سورة التوبسة ، آيسة (٦٠) ٠

⁽٣) أبو يوسـف _ كتاب الخراج _ ص / ١٧١ ·

فمر - ياأمير المومنين - العاملين عليها بأخذ الحق واعطائها ممن وجب عليه وليه والعمل في ذلك بما سنّه محمد - صلى الله عليه وسلم - تسميم الخلفاء من بعده •

واعلم أنه :" من سسنّ سنة حسنة كان له أجرها ومثل أجر من عمل بها من غير أن ينتقص من أجورهم شيئا ٠ ومن سسنّ سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من غير أن ينتقص من أوزارهم شيئا " .(٢)

هكـــذا روى لنا عن نبى الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأنا أسأل الله أن يجعلك ممن اســتن بفعله ، ورضى عمله ، وأعظم له ثوابه ، وأن يعينك على مـاولاك ويحفــظلك ما استرعـــاك ٠

وقد ذكرت ذلك مابلغنا أنه أوجب في كل صنف من هذه الأصناف ملي الصدقات ، وعليه أدركت فقها: • " (٣)

ثم ساق الحديث الذي فيه نصاب الابسل والبقسر ، ومقاديسر الواجسسب فيها والبقسر والغنم ، اذا كانت سائمة غيسر فيهسا والعنم ، اذا كانت سائمة غيسر عاملة ، والعاملة التي يستخدمها مالكها في أعماله لأنها حينئذ من حاجته التسي

قال أبو يوسف : " أما الابـل والبقـر العوامل فليس فيها صدقـة ، لـــم يأخـذ منهـا صعاد شيئا وهو قول على " (م)

⁽١) المقصود : أخذ الحق ممن وجب عليه ، واعطاؤه من وجب له ٠

⁽۲) أخرجه مسلم في كتاب الزكاة ، باب الحث على الصدقة ولو بشق تمرة أو بكلمة ، وانها حجاب من النار ـ ج ۲/ صص ۸۲، ۸۷ ۰

⁽٣) أبو يوسف ـ كتاب الخراج ـ ص / ١٦٨ ٠

⁽٤) باب ماجاء في زكاة الابل والغنم _ جامع الترمذي بشرح تحفة الأحوذي _ ج ٢ / ص ٣٠٠

⁽٥) أبو عبيد - الأموال - صص / ٤٦٧ - ٤٧٠ .

والقاعدة أنه يوخمذ الوسط من هذه الأنواع ، فلا يأخذ الجابى أحسنهما ولا مابه عيب (1)

قال أبو يوسف : " وليس لصاحب الصدقة أن يتخير الغنم فيأخذ خيارها ولا يأخذ من شرارها ولا من دونها ، ولكن يأخذ من وسطها على السنة وماجـــا، فيهـا . " (٢)

زكــاة الزروع والثمـــار :-------

تجب الزكاة في الزروع عند اشتداد الحب ، والثمار عند قرب نضجه عند الله عند التعالى :" يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ماكسبتم ومما أخرجنا لكمم من الأرض "٠(٣)

يختلف الواجب فى الزروع والثمار بقلة نفقات الزرع وكثرتها ، فتقلل نفقته ان سقى بالمطر أو بماء النهر بغير آلة أو بماء العين ففيه العشر وما كثركنفقته بأن سقى بآلة رافعة ففيه نصف العشر ٠ (٤)

قسال أبو يوسف: " وأما القطائع فما كان منها سيحا فعلى العشر ، وما

⁽۱) أبو يوسف _ كتاب الخراج _ ص / ۱۷۱ ، الرحبي-الرتاج _ ج ۱ / ص ٥١٧ ٠

⁽٢) أبو يوسف ـ <u>ن ٠ م ٠ س ـ ص / ١٧١</u> ، الرحبى <u>ـ ن ٠ م ٠ س ـ ج ١ / ٥١٧</u> ، علــى السنة وما جـا ، فيهـا كم أى وفق ماهو مذكور فى كتب الصدقــة عن رســول اللـه ـ صلى اللــه عليـه وسلم ـ وأبى بكــر ، وعمر ـ رضى الله عنهمــا ـ ٠

⁽٣) سورة البقرة ، آيـة (٢٦٧) ٠

⁽٤) أحمد فهمى أبو سنة _ محاضرات في معالم السياسة في الشرعية المالية _ ص / ٢٤٠

سقى بالدلو (۱) أو الغرب (۲) والسانية (۳) ، فعلى نصف العشر ، لمؤنة الداليــــة والغـرب والساقية ، وانما العشر والمدقة فى الثمار والحرث من أرض العشـــر، فما جانت به الآثـار والسنة العشر من ذلك على ماسقى سيحـا ، ونصف العشــر على ماسقى بالغرب والداليـة والسائية ، فهذا المجمع عليه من قـول من أدركنـــا من علمائنا ، وجانت به الآثــار ، "(٤)

قال أبو حنيفة : تجب الزكاة فى كل مانبت على الأرض مما يقصد بالاستغلال كالحبوب والثمار والخضر سواء كانت غذاء للانسان أم الحيوان أم كلمانت فاكها فاكها قاكها والخضار والخضار سواء كانت غذاء المنان أم الحيوان أم كالمانت فاكها والخضار والخضار سواء كانت غذاء المنان أم الحيوان أم كالمانتغلال والخضار والخضار سواء كانت غذاء المنان أم الحيوان أم كالمانتغلال والخضار والخضار سواء كانت غذاء المنان أم الحيوان أم كالمانتغلال والخضار والخضار سواء كانت غذاء المنان أم الحيوان أم كانت غذاء المنان أم كانت غذاء المنان أم كانت غذاء المنان أم كانت أم كانت غذاء المنان أم كانت غذاء المنان أم كانت أم كا

وقال أبو يوسف ومحمد (٦) : "تجب الزكاة في كل ماله ثمرة باقية كالقمح والقطــــن ، فلا تجب في الخضروات ٠"

روى الترمذى عن موسى بن طلحة عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ:"
ليس في الخضروات صدقة ٠ " (٧)

⁽۱) الدلو: من جلد الفأن يستقى به _ الرحبى _ ن ٠ م ٠ س ـ ج ۱ / ص ٣٥٨ ٠

⁽٢) الغرب : الدلو العظيمة _وتكون من جلد الثور _ ن ٠ م ٠ س _ ج ١ / ص ٣٥٨ ٠

⁽٣) السانية : الناقـة التي يستقى عليمـا - ن ٠ م ٠ س ٠

 ⁽٤) أبو يوسف _ ن ٠ م ٠ س _ ص / ١١٥ • الرحبي _ ن ٠ م ٠ س _ ج ١ / صح ٨٥٨ ، ٣٥٩ •

⁽o) أحمد فهمى أبو سنة <u>. ن ٠ م ٠ س _ ص / ٢٤ - </u>

⁽٦) محمد بن الحسن الشيبانى: منشأه بالكوفة فسمع من أبى حنيفة ومسعر والثورى وعمر ابن ذر ومالك بن مغول ، وكتب عن مالك بن أنس الأوزاعى وأبى يوسف، ولاه الرشيد قضاء الرقة توفى عام ١٨٩ه ، ابن كثير ـ البداية والنهاية ـ ج ١٠/ ص ٢١٠ ٠

⁽٧) أُخْرِجِه الترمذي في باب ماجاء في زكاة الخضروات _ تحفة الأحوذي _ ج ٢/ ص ١٢٠

قال أبو يوسف : " ولست أرى العشر الا على مايبقى فى أيدى الناس ، وليس علّى الخضر التى لابقاء لها ، ولا على الأعلاف ، ولا على الحطب عشر · "(1)

وهكذا نجد أن أبا يوسف قد قسم المنتجات الى قسمين بحسب قدرةالمنتجات على المحافظة على طبيعتها لفترة طويلة ، ولذلك فهو يرى أن الذى لا يبقى مشل البطيخ والخيار والقرع والقثاء والباذنجان والبقول والجزر ليس فيه عشر ، " (٢)

أما الذي يبقى مما يكال بالقفيز ، ويوزن بالأرطال مثل الحنطة والشعير والذرة والسمسم والأرز (٣) • كما أن ثمار النخل والكرم عند قرب نضجها واستطابة أكلها ففيها العشر • (٤)

نصـــاب الزروع والثمـــار : -===============================

يرى أبو يوسف أنه اذا أخرجت الأرض من الزروع والثمار مابلغ وزنه خمسة أوسق أو أكثر ، ففيه العشر اذا كانت تسقى سيحا، أو تسقيها السماء، واذا كان في أرض تسقى بغرب أو دالية أو سانية ففيه نصف العشر وان نقص الانتاج عن خمسة أوسق فليس فيها شئ و

قال أبو حنيفة : يجب فيه العشر أو نصفه فيما أخرجت أرض العشرو قليله وكثيره ٥٠٠)

قال أبو يوسف: " فاذا أخرجت الأرض من ذلك خمسة أوسق أو أكثـــر ففيه العشـر اذا كان فيـــى أرض تسـقى سيحـا أو تسقيها السماء، واذا كان فــــى

⁽۱)أبو يوسف _ ن ٠ م ٠ س _ص / ١١٥٠

⁽۲) ن م م س ـ س / ۱۱۵ ۰ (۱۵) الماوردي ـ الأحكام السلطانية ـ ص/۱۰۲۰

⁽٣) أبو يوسف ـ ن م ٠ س ـ ص / ١١٥ ٠ (٥) أبو يوسف ـ ن ٠ م ٠ س ـ ص ص/١١٦، ١١٧٠

أرض تسقى بغسرب أو دالية أو سانية ففيه نصف العشر و واذا نقص عن خمسسة أوسق لم يكسن فيه شيء " (١) ثم قال : " وكان أبو حنيفة يقول : في كسسل ما أخرجت الأرض من قليل أو كثير العشر وسقى سيحا ، ونصف العشر اذا سقسى بغرب أو دالية أو سانية " (٢)

الذهب والفضة هما أكثر الأموال دورانا بين الناس ، لأنهما الوسيلية للحصول على حاجات الحياة ، فتجب فيهما الزكاة اذا بلغا نصابا ، وحال عليهما الحول معا سواء أكانا مضروبيين نقودا أو مصنوعين كالسوار والسيف أو كانا تبرا وهو مادتهما الأولية قبل الضرب والصناعة ، ونصاب الذهب عشرون مثقيلا

قال أبو يوسف : " واذا مسرّ عليه بمائتى درهم مضروبة وعشرين مثقالا تبرا أو مائتى درهم تبرا وعشرين مثقالا مضروبة - أخذ من ذلك ربع العشر من المسلم ،٠٠٠، ثم لا يوخلذ منها شيء الى مثل ذلك الوقت من الحول ، وان مر بها غير مرة "(٣)

المراد بالتجارة البيع والشراء لأجل الربح ، فاذا اتجر الاسان فصد عرض كالحيوان والدور والثياب • وذلك بأن تقوم أموال التجارة أملها وربحها ، فاذا بلغت نصابا أو أكثر وحال عليها الحول وجب فيها ربع العشر •

⁽۱) أبو يوسف ـ ن ٠ م ٠ س ـ ص / ١١٦ ، الرحبي ـ الرتاج ـ ج ١ / ص ٣٦٢ ٠

⁽۲) ن · م · س _ ص / ۱۱۲ ، ن · م · س _ ج ۱ / ص ۲۲۸ ·

⁽٣) ن ٠ م ٠ س ـ ص / ٢٧٢ ٠

زكــــاة العـــل :---------------

ويرى أبو يوسف بأن عسل النحل كالزروع والثمار ، يجب فيه العشر اذا كانت بيوت النحل في أرض العشر ، لا ان كانت في أرض خراجية أو في الجبال والمفاوز أو الكهوف فلا خراج عليها ولا عشر . (٤) لأنه بمنزلة الثمار في الجبال والأودية .

قال أبو يوسف: " عن عمرو بن شعيب قال: كتب أمير الطائف الـــى عمر بن الخطاب: أن أصحاب النحل لا يودون الينا ما كانوا يودون الى النبـــى - صلى الله عليه وسلم - ويسألون مع ذلك أن نحمى لهــم أوديتهــم، فاكتب الىّ برأيك في ذلك .

ابلك فكتب اليه عمر : ان أدّوا برماكانوا يودون الى النبى - صلى الله عليه وسلم - فاحم لهمأوديتهم، وان لم يودوا اليك ماكانوا يودون اليه فلا تحم لهـــــم،

⁽١) أبو يوسف - ن٠م٠س - ص / ٢٧١٠

⁽۲) ن٠م٠س-ص/۲۲۲ ٠

⁽٣) ن٠مس ـ ص / ٢٧٢٠

⁽٤) ن٠م٠س-ص/١٥٣

قــال: وكانوا يودون الـى النبـى ـ صلى اللـه عليه وسـلم ـ صن كـل عشــر قـــه " . (۱)

الجزيــــــة

وهى ضريبة توخذ من الذمى عن نفسه ، وتسمى خراج الرأس (١) ، وهسنه الضريبة توخذ بمقتضى عقد الذمة المبرم بين الذميين وامام المسلمين ، ويتضمن ذلك اقرارهم على الاقامة بين المسلمين ، والنزول على أحكام الاسلام فى المعاملات والعقوبات ، وألا يحاربوا المسلمين ولا يعينوا عليهم ولا يطعنوا فليسم ، (٢)

أماالسبب في مشروعية الجزية أمسران: -

الأول: - حقن دماء الذميين وعدم استرقاقهم وحماية أموالهم وانتفاعهم بالمرافق العامة للدولة •

والثانى :
بدل نصرتهم لدار الاسلام فان الأصل أنه يجب عليهم الجهاد بأنفسهم وأموالهم دفاعا عن الدولة كالمسلمين ، لكنه يسقط عنهم للخميدوف من عونهم للأعيدالا لأنهم معهم على دين واحد • (٣)

والدليل على أنها بدل نصرتهم ماجاء فى كتاب الخراج ، قال أبو يوسف عن مكحول الشامى أن أبا عبيدة أمير الشام بلغه أن الروم جمعوا للمسلميسن جمعا لم ير مثله ، فاشتد ذلك عليه وعلى المسلمين ، فكتب الىكل وال خلفه فى المدن التى صالح أهلها يأمرهم أن يردوا عليهم ماجبى منهم من الجزيهة والخراج

⁽١) أحمد فهمى أبو سنة _ محاضرات في معالم السياسة الشرعية المالية _ ص/٥٠ ٠

⁽٢) المصدر السابق _ ص/ ٥٠ ٠

⁽٣) ن٠م٠س ـ ص ص / ٥٥، ٥١٠

وكتب اليهــم أن يقولوا : انما رددنا عليكم أموالكم لأنه قد بلغنا ماجمع لنا مــن الجمــوع ، وانكم قد اشترطتم علينا أن نمنعكــم ، وانا لا نقدر على ذلك ، وقـــد رددنا عليكم ما أخذنا منكم ، ونحن لكم على الشرط ، وما كانبيننا وبينكــــم ان نصرنا الله عليهــم ، فلما رأى أهـل الذمــة وفاء المسلمين لهــم ، وحسن السيرة فيهــم ، صاروا أشـداء علىعدوهــم ، (1)

والجزية واجبة على الرجال دون النساء والصبيان والعجزة وتوخصيد من كل واحد حسب يساره وقال أبو يوسف : " والجزية واجبة على جميع أهل الذمة ، ممن في السواد وغيرهم ، من أهل الحيرة وسائر البلدان ، مصادي اليهود والنصاري والمجوس (٢) والصابئين (٣) والسامرة (٤) ، ماخلا نصاري بنى تغلب وأهل نجران (ه) خاصة ، وانما تجب الجزية على الرجال منهسسم

⁽۲)المجوس: أمة من الناس، وهي كلمة فارسية، وتمّجس صار من المجوس، كما يقال تنصّر وتهوّد ـ اذا صار من النصاري أو من اليهود، ومجسّه أبواه جعلاه مجوسيا ٠ ـ مادة مجس ـ المصباح المنير ـ ص / ۸۷۰ ٠

⁽٣) الصابئين : طائفة من الكفار يقال أنها تعبد الكواكب في الباطن وتنسب الصين النصرانية في الظاهر ، وهم الصابئة والصابئون ، ويدّعون أنهم على دين صابى بن شيث ابن آدم • مادة صبى ـ المصباح صص /٥٠٨ ، ٥٠٩ •

⁽٤) السامرة : فرقـة من اليهـود ، وتخالف اليهـود في أكثـر الأحكام ، ومنهـــم السامريّ" الذي صنع العجل وعبده ، قيل نسبة الى قبيلة من بنى اسرائيـــل يقال لهـا سامر ، وقيل كان علجا منافقا من كرمان ، مادة سمر ، المصـاح ص / ٤٤ .

⁽o) بنو تغلب صالحهم عمر بن الخطاب على ضعف زكاة المسلمين بدل الجزية ، أمـــا نصارى نجران فقد صالحهم رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ على الفي حلة كـل ==

دون النساء والصبيان ، على الموسر ثمانية وأربعون درهما ، وعلى الوسط أربعسة وعشرون درهما ، وعلى المحتاج الحرّاث العامل بيده اثنا عشر درهما ، يوخنننند منهم في كل سنة _ " (1)

وتوخذ من أهل الذمة الأموال التي أحلها الله تعالى سواء أكانت متاعها أو نقدا ، ويجوز أن توخذ من ثمن خمر الذميين وخنزيرهم ، على أن تقصوم بمعرفة الذميين ويوخذ ثمنها ٠

قال أبو يوسف: " • • • وان جاء وا بعرض : قبل منهم ، مثل الدواب ، والمتاع وغير ذلك • ويوخن منهم بالقيمة ، ولا يوخن منهم ـ فى الجزيــــة ميتة ولا خنزير ولا خمر • فقد كان عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ ينهــى عن أخذ ذلك منهم فى جزيتهم ، وقال : ولوها أربابها فليبيعوها ، وخـــذوا منهم أثمانها • هـذا : اذا كان هذا أرفق بأهل الجزية • " (٢)

وقد أشار أبو يوسف الى أن على بن أبى طالب - رضى الله عنه - كسان يأخذ من أهل الذمة الابر والمسلل (٣) ، وتحسب من خراج رووسهم • (٤)

⁽۱) أبو يوسف ـ ن ٠ م ٠ س ـ ص / ٢٥٣ ، الرحبى ـ ن ٠ م ٠ س ـ ج ٢ / ص ٩٥ ـ ٩٧ ٠

⁽۲) ن٠م٠س ـ ص / ۲۰۳ ، ن٠م٠س ـ ج ۲/ ص ص ۹۷ ، ۹۸ ٠

⁽٣) المسال : أي ابر غليظة ضخمة ٠ ن٠م٠س-ج٢/ص٩٨٠

⁽٤) ن٠م٠س_ص/ ۲٥٣ ، ن٠م٠س - جـ ٢ / ٩٨٠

أما نصارى بنى تغلب فعليهم الزكاة مضعفة ، فقد صالحهم عمر بن الخطاب - رضى الله عنه _ على ذلك ، على أن تسقط الجزية عن رووسهم •

قال الفقها، : تؤخذ الصدقة المضعّفة من الرجال والنساء البالغين العقلاء فى الماشية والذهب والفضة وأموال التجارة وعشر الخارج من الأرض ، فكل نصرانى من بنى تغلب له غنم سائمة بلغت الأربعين فغيها شاتان الى عشرين ومائة، واذا زادت شاة فغيها أربع من الغنم ، وكذلك من البقر والابل . (٣) واتفق واختلفوا كذلك على أن الصيان والمجانين تؤخذ منهم ضعف العشر من خارج أراضيهم واختلفوا فى زكاة الماشية . (٤) .

أما نصارى نجران فقد صالحهم رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ علـــى ألفـى حلة نجرانيـة · (٥) ·

⁽۱) تقدّم تفسير بنىتغلب ص/ ۹۱

⁽۲) تقدم تفسیر نجران ص / ۹۱ ۰

⁽٣) أبو يوسف ن٠م٠س - صص/ ٢٤٩ ، الرحبي - ن٠م٠س - ج٢/ ص٨٥٠

⁽٤) سنتكلم بتوسع عن هذا الموضوع في المبحث الثاني من الفصل الثالث ن · م · س _ ص / ٢٥٠ ، ن · م · س _ ج ٢ / ص ٨٧ ·

⁽o) <u>ن ٠ م ٠ س - ص / ١٥٨</u> • يقدم أهل نجران هذه الحلل فى شهرين معينيين من السنة فى رجب ألف حلة ، وفى صفر ألف حلة ، قيمة كل حلة أوقية من الفضــــة • وهى أربعون درهما ، والحلة ثوبان ازار وردا • <u>ن ٠ م • س - ج ١ / ص ٢٧٧</u> •

العشــــور

العشور فريضة مالية على أموال التجارة التي يمر بها أصحابها في دار الاسلام صادرة أو واردة ، سواء أكان المار مسلما أو ذميا أو حربيا مستأمنا •

فعندما يمرون على العاشر (۱) فانه يأخذ من المسلم زكاة التجارة وهو ربع العشر ، وهى زكاة أمواله ، ولهذا لا تتكرر أى اذا أخذ من مرة لا توخذ مرة أخرى حتى يحول الحول ، ويأخذ من الذمى نصف العشر ، لأنه فى حاجة الى الحماية أكثر من المسلم (۲) ، أما الحربى المستأمن فياخذ منه العشر (۳) ، لأنه فى حاجة أشد الى الحماية لكثرة طمع اللصوص فى أمواله ، (٤)

لما اتسع الفتخ الاسلامى وقويت شوكة الدولة ، وكثر التداول التجارى واحتاجت التجارة الى حماية من الدولة ، واحتاجت الدولة الى المال لكفاية مصالحها جزاء على الحماية والتمتع بالأمن والعدل الشائع في دار الاسلام والانتفاع بالتجارة فيها ، كان لابد من ضريبة العشور حيث يستوى في ذلك الرجل والمرأة ، كما في حال الزكاة ،

وقد سأل أمير المومنين هارون الرشيد أبا يوسف عن العشور: فقال:

⁽۱) العاشر: هو من نصبه الامام أو نائبه لأخذ الزكاة من أموال المسلمين، وسمى عاشرا لأخذه العشر من مال الحربى، ونصف العشر من مال الذمى، وربع العشر من مال المسلم • الرحبى الرتاج ج ٢ / ص ١٦١ •

⁽٢) دامادا أفنديّ ـ مجمع الأنهر ـ ج ١ / ص ٢٠٩٠

اذا أخذ العشر من الحربى المستأمن لا توخذ منه مرة أخرى حتى يحول الحول ، لكن اذا عداد ودخل دار الحرب سقطت عنه أحكام الاسلام ، واذا عاد مرة الى دار الاسلام ومر عليه العاشر سيوخذ منه العشر • الرحبى - ن • م • س - ج ٢ / ص ١٦٥ •

⁽٤) دامادا أفندي ـ ن٠م٠س ج١ / ص ٢٠٩٠

عرفت ضريبة العشور في عهد عمر بن الخطاب _ رضى الله عنه _ باجتهاد من___ه ووافقه عليها الصحابة •

قال أبو يوسف: " ان عمر بن الخطاب وضع العشور فلا بأس بأخذها اذا لـــم يتعــد فيها على الناس ، ويوخذوا بأكثـر مما يجب عليهم " (١)

ونقل أبو يوسف عن عمرو بن شعيب :«أن أهل منسج (٢) _ قوم من أهــل الحرب وراء البحر _ كتبوا الى عمر بن الخطاب _ رضى الله عنه _ : " دعنا ندخــل أرضك تجارا وتعشرنا • قال : فشاور عمر أصحاب رسول الله _ صلى الله عليه وسلم فى ذلك ، فأشاروا عليه به ، فكان أول من عشــر من أهـل الحرب " (٣)

قال أبو يوسف : " ٠٠٠٠ وأمرتهم أن يضيفوا الأموال بعضها السي بعض بالقيمة ، ثم يوخذ من المسلمين ربع العشر ، ومن أهل الذمة نصف العشر ، ومن أهل الحرب العشر ، من كل ما صر به على العاشر للتجارة أى ادا بلغ مائتى درهم فصاعدا أخذ منهم العشر وان كان قيمة ذلك أقبل مساما مائتين لم يوخذ منها شيء ، وكذلك اذا بلغت القيمة عشرين مثقالا أخذ منها العشر ، وان كانت قيمة ذلك أقل لم يوخذ منها شيء ، وان اختلف عليسه بذلك مرات ، كل مرة لا يساوى مائتى درهم لم يوخذ منه شيء ، " (٤)

ومعنى ذلك أن الشرط في الأخذ أن تكون قيمة جميع الأموال التي يمتلكها

⁽۱) أبو يوسف _ ن م م س _ ص / ٢٧٤ ، الرحبي _ ن م م س _ ج ٢ ص ١٧١ ٠

⁽۲) منبج: بلد قديم واسع ، بينه وبين الفرات ثلاثة فراسخ ، والى حلب عشرت فراسخ • ياقوت الحموى ـ معجم البلدان ـ ج ٥ / ص ٢٠٥ •

⁽۳) أبو يوسف ـ ن ٠ م ٠ س ـ ص / ۲۷٦ ، الرحبي ـ ن ٠ م ٠ س ـ ج ٢ / صص ١٧١ ، ١٧٧ .

⁽٤) <u>ن ٠ م ٠ س</u> ـ صص / ۲۲۱ ، ۲۷۲ ، ۲۷۲ ، <u>ن ٠ م ٠ س ـ</u> ج ۲ / ص ص ۱٦١ ـ ١٦٤ ٠

التاجر عند مروره على العاشر تبلغ نصابا من ذهب أو فضة ، وان لم يبلغ جميـــع ماله النصاب أعفــى من العشـر حتى وان قطـع الحدود فى دفعات متعددة بأموالــ. تقـل قيمتهـا عن النصـاب فى كل دفعــــــة .

نقل أبو يوسف عن أنس بن مالك قوله : ربعثنى عمر بن الخطاب - رضيى الله عنه - على العشور ، وكتب لى عهدا أن آخذ من المسلمين مما اختلفوا به لتجاراتهم ربع العشر ، ومن أهل الذمة نصف العشر ، ومن أهل الحرب العشر " (1)

هـذا الذى ذكرنا ادا لم يعلم ما يأخذه أهل الحرب من المسلمين، فان علم ما يأخذونه من المسلمين حين يمرون عليهم أخذ مثله قليلا كان أو كثيرا • أمــــا أهل الذمة وأهـل الحرب ، اذا مروا على العاشـر بتجارة من خمر أو خنزيــــر فانها تقوم ، ويوخـذ من أهل الذمة نصف العشر ومن أهل الحرب العشر • ويعشـر الذمى التغلبى والنجراني فهـم كسائر أهل الذمة من أهل الكتاب في أخذ نصف العشر منهم • ولا تضعف عليهـم الزكاة •

قال أبو يوسف : " واذا مراهل الذمة على العاشر بخمر أو خنازيـــر قوم الخمر على أهل الذمة ، ثم يوخذ منهم نصف العشر وكذلك أهل الحرب اذا مروا بالخنازيـر والخمر ، فان ذلك يقوم عليهـــم ثم يوخذ منهم العشر . " (٢)

شم قال: " ويعشر الذمى التغلبي والذمى من أهرل نجران، هرم

⁽۱) رواه أبو عبيد في الأموال باسناده الى أنس بن سيرين ـ أنظـر الأثــــر (۱) ما ١٧٥ ـ ص م ١٧٥ . الرحبـي ـ ن٠م٠سـ ج ٢ / ص ص ١٧٤ ، ١٧٥ ٠

⁽٢) أبو يوسف _ ن ٠ م ٠ س _ ص / ٢٧٣ ، ن ٠ م ٠ س _ ج ٢ / ص ص ١٦٧ ، ١٦٨ - (٢)

كسائر أهل الذمة من أهل الكتاب في أخذ نصف العشر منهم • والمشركون ون أوالمذِّ والمشركون والمشركون والمذِّ والمشركون وا

⁽۱) ن٠م٠س ـ ص / ۲۲۳ ، ن٠م٠س ـ ج ۲ / ص ۱٦٩٠٠

الغنائم ما توخد من أموال الكفار بالقوة والقهر ، مثل المتاع والخيال والسلاح ٠ (١) • قال تعالى : " يسألونك عن الأنفال قل الأنفالات للسبه والرسول "(٢) الآية ، وقوله : "واعلمواأنماغنمتم من شيء فان السه خمسه وللرسيول " (٣) الآية ، الآيتان نزلتا في حكم الغنائم ٠

وقد سأل أمير المومنين هارون الرشيد أبا يوسف عن قسمة الغنائــــم فأجابه أبو يوسـف : " أما ما سألت عنه _ياأمير المؤمنين ـ من قسمة الغنائـــم اذا أصيبت من العصدو ، وكيف تقسم ؟ فان الله قد أنزل بيان ذلك في كتابهم فقال فيما أنزل على رسوله - صلى الله عليه وسلم : (واعلموا أنما غنمتم من شيئ فان لله خمسه وللرسول ولذي القربي واليتامي والمساكين وابن السبيل ان كنتــــم آمنتم بالله ، وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان والله على كــــل شیء قدیــــر ۱۱ (۶)

وهذا يعنى الحكم فيما يأخذه جند المسلمين من عساكر أهل الشرك مسن سلاح ومتاع وخيل ، فان في ذلك الأربعة أخماس بين الجند ، فالغنيمة تقسيم خمسة أخماس ، فأربعه أخماسها تقسم على الجند للفارس ثلاثة أسهم وللراجل

⁽۱) الرحبي ـ ن٠م٠س ـ ج ۱ / ص ص ١٤٣ ـ ١٤٦٠

⁽٢) سورة الأنفال ، آيــة (١) ٠

⁽٣) سورة الأنف___ال ، آيـة (٤١) ٠

⁽٤) سبورة الأنفال، آيلة (٤١) •

أما الخمس فانه كان يقسم على خمسة أسهم كما هو ظاهر الآيسة سهم لله ولرسوله وسهم لذوى قربى رسول الله _ صلى الله عليه وسلم _ وثلاثه أسهم لليتامى والمساكين وابن السبيل ، ثم سقط سهم رسول الله _ صلى الله عليه وسلم _ بموته ، وسقط سهم أغنيا وي القربى وغير الأغنيا ومنهم اندمجوا في الأمناف الثلاثة باجماع الخلفاء الراشدين •

ولهذا قال العلماء الخمس الآن يقسم على ثلاثة أسهم اليتامى والمساكين وأبناء السبيل ، ويقدم ذوى القربى من كل صنف ، (١)

قال أبو يوسف: " فأصا الخمس الذي يخرج من الغنيمسة فان الكلبي محمد بن السائب حدثنى عن أبى صالح ، عن عبد الله بن عباس: أن الخمس كان في عهد رسول الله عليه وسلم عليه وسلم على خمسة أسهم: لله وللرسول ملى الله عليه وسلم عليه والذي القربي سهم ، ولليتامي والمساكين وابن السبيل ثلاثة أسهم ، وسقط سهم ثلاثة أسهم ، وسقط سهم الرسول وسهم ذي القربي ، وقسم على الثلاثة الباقين ، ثم قسمه على بلسن أبي طالب على ماقسمه عليه أبو بكر وعمر وعثمان ، " (٣)

⁽۱) دامادا أفندى ـ مجمع الأنهـ ر ـ ج ۱ / ص ۱۶۸ ۰

⁽۲) نقل ابن حبان عن أحمد أنه سئل عن تفسير الكلبي فقال كذاب لا يحل النظر النظر

⁽٣) أبو يوسف _ ن ٠ م ٠ س ـ ص/ ١٠٠

المعـــــادن

ما يوجد من المعادن كالذهب والفضة والحديد والنحاس والرصاص فيه عند منه سواء وجد في العشر أو في أرض الخراج ٠

قال أبو يوسف : " كل مايوجد في المعادن من الذهب والفضة والنحاس والحديد والرصاص فان في ذلك الخمس في أرض العرب كان أو في أرض العجم ٠ " (١)

الركـــاز :-

الكنز المدفون في الأرض وعليه علامة الجاهلية كالمنم والصليب وصورة الله عن القدماء ، فان فيه الخمس ، وأله يسمى ماوجد في الأرض من المعادن خلق من القدماء ، والدفن فيها ركازا عند الحنفية (٣) وأبي يوسف ، وفيهما الخمس ، وأربعة أخماسها لمن وجدها (٤) ، لقوله صلى الله عليه وسلمها وفي الركاز الخمس " (٥) .

قال أبو يوسف: " فأسا الركاز فهو الذهب والفضة الذي خلقه الله في الأرض يوم خلقت ، ففيه أيضا الخمس و ومن أصاب كنزا عاديــــا (٦) في ملك أحد ، فيه ذهب أو فضة أو جوهر أو ثياب ، فان في ذلك الخمس وأربعة

⁽۱) أبو يوسف ـ ن ٠ م ٠ س ـ ص / ٦٣ ، الرحبي ـ ن ٠ م ٠ س ـ ج ١ / صص ١٧٦ ، ١٧٧ ٠

[·] ٢٥ م ٠ س ـ ص / ١٤ ، ٥٥ ٠

⁽٣) أبو عبيد _ الأموال _ ص / ٤٢١ · دامادا أفندى _ مجمع الأنهـر _ ج ١ / ص ٢١٢ ·

⁽٤) أبويوسف ـ ن ٠ م ٠ م ١٨٢ ، ١٨١ الرحبى ـ ن ٠ م ٠ س ـ ج ١ / ص ١٨١ ، ١٨٢ ٠

⁽٥) أبو عبيد ـن ٠ م ٠ س ـ ص / ٤٢١ ٠

٠ عادیـا : أى قدیمـا ٠

أخماســه للذى أصابه ، وهو بمنزلـة الغنيمـة يصيبها القــوم فتخمس ، ومابقـــى فلهــــم " . (١)

واستشهد أبو يوسف بحديث رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن عبـد الله بن سعيد بن أبى سعيد المقبرى عن حدّه قال فى حديث طويـلومنه : ٠٠٠٠٠٠ وفى الركاز الخمس ٠ فقيـل : ماالركاز يارسول الله ؟ قال : الذهب والفضـــة الذى خلقـه الله فى الأرض يوم خلـقت " ٠ (٢)

مايســـتخرج من البحـــــر :-

مايستخرج من البحسر كالعنبسر والحليسة كاللولو ٠٠

قال أبو يوسف: " فيهما الخمس لأنه رأى صحابيين جليلين ـ عمر بن الخطاب وعبد الله بن عباس ، وقال أبو حنيفة ومحمد بن أبى ليلى: لاشــــى، فيهما لأنهما قاساهما على السمك ، والسمك اذا خرج من البحر لاشى، فيه ٠" قال أبو يوســف: لكن رأى المحابـــة مقـــدم على القيـــاس قال أبو يوسف: " وسألت ـ يا أمير المومنين ـ عما يستخرج من البحر: فأن فيما يستخرج منه من حلية ، وعنبر ١٠ الخمس ٠ فأما في غيرهما فلا شـــى، فيــه ٠ وقد كان أبو حنيفة ، وابن أبى ليلى يقولان: ليس ف ذلك شـى، لأنه بمنزلة السمك ٠ وأما أنا : فأرى في ذلك الخمس، وأربعة أخماسه لمن أخرجــه، لأنا قد روينا فيـه حديثا عن عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ ووافقه عليــه عبد الله بن عباس ـ رضى الله عنه ـ وانتبعنا الأثـر ، ولم نر خلافه ٠ "(٣)

واستدل أبو يوسف بالأثسر عن عبد الله بن عباس : " أنَّعمر بن الخطـــاب

⁽۱) أبو يوسف <u>-ن٠م٠س</u>-صص/ ٦٤، ٦٥، الرحبى-<u>ن٠م٠س-</u> ج ١ / ص ص ١٨١ـ ١٨٢٠

⁽٢) أبو عبيد ـن ٠ م ٠ س ـ ص ص / ٤٣٠ ، ٤٣١ ٠

 ⁽۳) أبو يوسف _ ن ٠ م ٠ س _ ص / ١٥١ ، ن ٠ م ٠ س _ ـ ج ١ / ص ص ١٧٢ ، ١٧٢٠

قال : وقد علق عبد الله بن عباس على ذلك بقوله : وذلك رأى ٤ أى اجتهاده موافقا في ذلك اجتهاد عمر بن الخطاب في ذلك الحكم متبعال الأثمار " . (٢)

⁽۱) أبو يوسف _ ن ٠ م ٠ س _ ص / ١٥١ ، الرحبى _ ن ٠ م ٠ س _ ج ١ / ص ١٧٨ ٠

⁽٢) ن ٠ م ٠ س ـ ج ١ / ص ١٧٩ ٠

المصارف الاسلامية

المصارف الاسلامية لما يجبى من الموارد: الغرض منها اقامة مصالــــح الدولـة، من اعزاز للدين والدفاع عن أهله وقضاء حاجات المعوزيــن من الفقـــرداء والمساكين والمدينين والأرقـــاء والولاة والقضاة والقيـام بواجب نشر العلم والعدل واقامــة المرافــق التى تفتقــر اليهـا الدولـة، كبناء المستشفيات، وتعبيــــد الطرق واقامــة السدود والقناطـر وشــق الأنهـار والقنوات الى كثير ٠٠٠٠ (1)

وقد نص القرآن الكريسم على ما تزداد أهميته من هذه المصسسالح تنبيها على وجوب رعايتها وعدم التفريط فيها ، وذلك في مصرف الزكساة في سورة التوبية (٢) ، ومصرف الغنيمة في سورة الأنفسال (٣) ، ومصرف الفيء في سورة الأنفسال (٣) ، ومصرف الفيء في سورة الحشسر(٤) وكلمة الفيء لفظ جامع لكل ماأخذ من الكفار بلا قتسال كالخراج والجزية والعشور وخمس الركاز بنوعيه المعدن والكنز الجاهلي ومصرف الكل ماعدا الزكاة هو المصالح العامة للدولة ، أما مصارف الزكاة فهي الثمانيسة التي ستأتي في سورة التوبية ، على ألا يجوز أن تختلطه الأموال التي تجمسسع من هذه الموارد •

⁽۱) أحمد فهمى أبو سنة ـ محاضرات في معالم السياسة الشرعية المالية ـ ص / ٧٣ ٠

⁽٢) قال تعالى: " انما الصدقات للفقراء ٠٠ " الآية _ سورة التوبة آية (٦٠) ٠

⁽٣) قال تعالى: "واعلموا أنما غنمتم من شيء قان لله خمسة وللرسول " سورة الأنفـــال آيـــة (٤١) •

⁽٤) قال تعالى: "ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل كى لا يكون دولة بين الأغنياء منكم " الآية ، سورة الحشـــــر الآيــة (٧) .

قال أبو يوسف : " ولا ينبغى أن يجمع مال الخراج الى مال الصدقـــات والعشـور ، لأن الخراج فى لجميع المسلمين ، والصدقات لمن سمى الله ـعـــزوجل ـ فى كتابه " ، (١)

مصارف الزكساة :-

قلنا أن الزكاة هى جزء من المال فرضه الله تعالى فى الأنعام السائمة والذهب والفضة ومال التجارة والزروع والثمار ، ومصارفهاهى الأصناف الثمانية التى ذكرها الله تعالى فى سورة التوبة: " انما المحقات للغقراء والمساكين والعاملين عليها والمولفة قلوبهم وفى الرقاب والغارمين وفى سبيل الله وابن السبيل فريضهم من الله " • (٢)

أما الفقير : هو الذي يملك مالا أقل من النصاب ، وعنده مايكفيه ، ولا يسأل الناس ، والفقرا، والمساكيين : هو الذي لا مال له ويسأل الناس ، والفقرا، والمساكيين منف واحد عند أبى يوسف ، وعند أبى حنيفة صنفان ، (٣)

واستدل أبو يوسف بحديث رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن رافع بـن خديج : أن العامل في الصدقة كالمجاهد في سبيل اللله ، قال ـ صلى الله عليـــــه وســـلم : " العامل على الصدقة بالحق كالغازي في سبيل الله " (٤)

⁽١)أبو يوسف ـ ن ٠ م ٠ س ـ ص / ١٧٦ ، الرحبي ـ ن ٠ م ٠ س ـ ج ١ / ص ٥٣٨ ٠

⁽٢) سورة التوبـة، آيـة (٦٠) ٠

⁽٤) تحفة الأحوذي ـ باب الزكاة ماجاء في العامل على الصدقة بالحق ـ ج ٣/ ص ٣٠٧٠

والمولفة قلوبهم: ثلاثة أصناف: - صنف كفار كان يعطيهم النبي ـ صلى الله عليه وسلم ترغيبا لهم في الاسلام • وصنف مسلمون ضعاف الايمان ، فكانوا يعطيون تثبيتا لهم على الاسلام • وصنف كانوا يعطون لدفع شرهم وأذاهم عن المسلميـــن فقال القاضى أبو يوسف وغيره من الحنفية ، لا يعطون الآن ، لأنه لا حاجة للاسلام (1) اليهـم ، وقال الامام أحمد هـم باقون الى اليوم ·

وفى الرقاب : صنفان ـ الأول اعطاء الزكاة للمكاتبين ـ أى العبيد الذين تعاقـــدوا مع سادتهم على مال ليحرروهم به ، والصنف الثاني الذين لهم أقارب عبيد فيعطـــون من الزكاة لاعانتهم على شرائهم وتحريرهم •

فى اصلاح طرق المسلمين وتعبيدها ، وبناء الجسور ، على أن يخرج هذا بعــــد أن تصرف أرزاق العاملين على الصدقة منها • وهذا اجتهاد من القاضى أبويوسف لأن نفعسه سيعم المسلمين باستقرار الأمن ، ورواج التجارة في جميع أرجاء الدولة الاسلامية٠

ورأيه الذي يفهم من كتب المذهب الحنفي أنهم الغزاة لاعلاء كلمة الله والدفاع عن الأوطبان ، اذا كانوا**ر**يعانون من بيت المال وهم فقراء $^{(7)}$ ، وهـــــــــذا $^{(7)}$ الوصف ينطبق الآن على المتطوعين في حرب اسلامية •

وأبنا ، السبيل:هم المسافرون الذين لايجدون مايوصلهم الى مقاصدهم وان كان لهم مال في بلادهم ٠ وتعطى الزكاة للفقراء والمساكين الموجودين في بلد دافع الزكاة ، لأنهـــــم أحق بها ، ولا ينقلها المزكى الى بلد آخر الا لأناس أحوج من أهل بلــــده، أو الى أقاربه •

أما بقية الأصناف فليس يلازم أن يكون من بلد المزكى ، ويجوز دفــــع

gration and the second of the second

⁽١) أبو محمد موفق الدين عبد الله بن قدامة المقدسي ـ الكافي في فقه الامام أحمد بن حنبل ـ تحقيق زهير الشاويش - ح ١ /ص ٣٣٣ - ٣٣٤ • (ط٣ ـ المكتب الاسلامي - بيروت - ١٤٠٢ه - ١٩٨٢م)٠

⁽۲) الرحبي - ن٠م٠س- ج ١ / ص ٤٤٥٠ أبويوم ف - ن جي رك - حي /VV).

الزكاة الى صنف واحد ان كان في ذلك مصلحة •

واستدل أبو يوسف بالأثـر عن عمر بن الخطاب _ رضى الله عنه _ " أنــه أتى بصدقـة فأعطاهـا كلهـا في أهل بيت واحد " • (١)

وقال أيضًا ابن عباس: " لا بأس أن تعطى الصدقة في صنف واحد" (٢)

قال أبو يوسف: " فاذا اجتمعت الصدقات من الابــل والغنم والبقر ، جمع الىذلك مايوخــذ من المسلمين من العشور - عشور الأموال - ومايمــر" بــه علـــــى العاشــر من متاع وغيره • لأن موضع ذلك كله موضع الصدقــة - فقسّم ذلك أجمع لمن سمىالله في كتابه ، فان الله تعالى قال (في كتابه) فيما أنزل على نبيــــه - ملى الله عليه وسلم : - " انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليهـــا والمولفــة قلوبهـم ، وفي الرقـاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل" (٣) فالمولفــة قلوبهــم قذ ذهبوا ، والعاملون عليهــا يعطيهم مايكفيهم، وان كان أقــــل من الشمن أو أكثر يعطىالوالى منهـا مايسعه ويسع عماله في غير سرف ولا تقتير • وقسمت بقية الصدقة بينهم ، فللفقراء والمساكين سهـم ، وللغارمين - الذيـــــــن وقسمت بقية الصدقة بينهم ، فللفقراء والمساكين سهـم ، وللغارمين - الذيــــــن يحملون به ويعانون ، وفي الرقاب سهــم ، وفي الرجـليكون له الولد المملوك ، أو الأخت ، أو الأخت ، أو ام ابنه ، أو زوجة ، أو جد ، أو جـــــــدة أو عـــــ ، أو عـــة ، أو خال ، أو خالة ، أو ما أشبه ذلك ، فيعـان هذا في شراء هــذا،

⁽۱) أبويوسف ـ ن٠م٠س ـ ص / ۱۷۷ ، الرحبي ـ ن٠م٠س ـ ج ١ / ص ٥٤٦٠

⁽۲) ن٠م٠س ـ ص / ۱۲۷ ، ن٠م٠س ـ ج ۱ / ۱۵۲ ٠

⁽٣) سورة التوبة ، آيـة (٦٠) ٠

⁽٤) المنقطع بهم: أي في سفرهم ولا يجدون مايبل غهم الى مقصدهم -ن٠م٠س - ح ١ / ص ٥٤٢٠٠

ويعان منه المكاتبون • وسهم في اصلاح طرق المسلمين ، وهذا يخرج بعد أرزاق العاملين عليهـــا •

ويقسم سهم الفقراء والمساكين من صدقة ما حول كل مدينة في أهله الامام ولا يخرج منها فيتصدق به على أهل مدينة أخرى • فأما غيره فيضع به الامام ما أحب من هذه الوجوه التي سماها الله في كتابه ، وان صيّرها في صنف واحد مما سمى الله أجراز ذلك • " (۱) وقر أدن الزكاة وطيع المحارية على المحارية المحارية

يصرف خمس الغنائم لليتامى والمساكين وابن السبيل ويدخل فيه ذوى القربى ان كانوا من أحد الأصناف الثلاثة ، ولا حق لأغنيائهم ، هذا عند أبى يوسيف وباقى الحنفيسية .

وقد استدل أبو يوسف بالأثر عن الكلبى محمد السائب فى تقسيم

أما موارد الخراج والجزيــة والعشــور وخمس الركــاز والمعادن التـــولة تدخــل بيت مــال المسلمين فتعتبـر مصارف عامة • فتدفـع منهـا والقضـاة والعمـال فيما عدا عمال الصدقات الذين يأخذون أجورهــم منهــا •

وقد سأل أمير المومنين هارون الرشيد القاضى أبو يوسف : من أى وجــه يأخـذ القضاة والولاة والعمال أرزاقهم ؟ قال أبو يوسف : يأخذ القضاة والولاة والعمال أرزاقهم من بيت مال المسلمين ، من جباية الخراج من الأرضين والجزية لأنهم فــى عمل المسلمين فيجرى عليهم من بيت مالهم ، ولا تجرى عليهم من مال الصدقـــة

⁽۱) . ن٠م٠ س ـ صص / ١٧٦ ، ١٧٧ ، . • ن٠م٠ س ـ جـ١/ صص ٥٣٦ - ٥٤٧

۲۰ می مورد الغنائم ۰ ص / ۹۹ - تقدم هذا الأثر فی مورد الغنائم ۰ ص / ۹۹ - (۲)

شيئا ، الا والى الصدقة فانه تجرى عليسه منها ، كما قال الله عسر وجل:

" والعامليسن عليها " (١) ، واذا أردت أن تزيد أو تنقص فى رزق القضاة والولاة ، فهذا يرجع لك ، وكل ماتراه صالحا فافعله ولا توجلسه (٢) ، وما أعظم فى باب الادارة الاسراع فى اعطاء الحقوق الى ذويها لقضاء حاجاتهم •

ومما يدفع ضمن المصارف العامة أعطيات الجند وأسرهم • وكذلك أعطيات رجال الشرطة ، وما يصرف على شحن الثغور بالجنود ، والعدد التى تحمى حدود الدولة الاسلامية ، (٣)

وقد قال أمير المومنين عمر بن الخطاب _ رضى الله عنه _ عندما اختلف بعض المحابة فى قسمة أرض السواد : " وقد رأيت أن أحبس الأرضين بعلوجها فيكون فيئا للمسلمين وأن أضع عليهم فيها الخراج وفى رقابهم الجزية يودونها فيكون فيئا للمسلمين للمقاتلة والذرية ولمن يأتى بعدهم • أرأيتم هذه الثغور ؟ لابدّ لها من رجسال يلزمونها ، أرأيتم هذه المدن العظام _ الشام والجزيرة والكوفة والبصرة ومصر ؟ لابدّ لها من أن تشحن بالجيوش ، وادرار العطاء عليهم ، فمن أين يعطى هسولا الذا قسمت الأرضيسن والعلوج ؟ فقالسوا جميعا : الرأى رأيك ، فنعم ماقلت ومسارأيت " (٥) • ووافقوه على ذلك •

⁽۱) سورة التوبـة ، آيــة (۱۰) ٠

⁽٢) أبو يوسف ـن ٠ م ٠ س ـ ص / ٣٦٣ ، ٣٦٣ ، الرحبي ـ ن ٠ م ٠ س ج ٢ / صص ٤١٤ ، ٤١٥ ٠

⁽٣) أحمد شلبى موسوعة النظم والحضارة الاسلامية السياسة والاقتصاد فى التفكير الاسلامى موسوعة النظم والحضارة الاسلامية السياسة والاقتصاد فى التفكير الاسلامى مدينة المسلمية السياسة والاقتصاد فى التفكير الاسلامي الاسلامية السياسة والاقتصاد فى التفكير الاسلامية السياسة والاقتصاد فى التفكير الاسلامية المسلمية المس

⁽٤) علوج : جمع علج بالكسر : هو الرجل من كفار العجم • المصباح ـ ص/ ٦٥٠ ، الرحبيي ن ٠ م ٠ س ـ ج ١ / ص ١٩٦ •

وأما حفر الأنهار والقنوات وتطهيرها واصلاح الأراضى ، فعلى ولى الأمسر وطلبوا الانفاق عليها من بيت مال المسلمين ، فان جاء أهل الخراج الى ولى الأمسر وطلبها منه اصلاح الأنهار وتطهيرها لتصير الأرض الغامرة عامرة ، فعليه اجابة طلبهما ويجمع أهل الخبرة بالزراعة ليستشاروا ، فاذا وجدوا أن فى ذلك خير وأنه لمصلحة زيادة الخراج أقروا على ذلك وبوشر بالتنفيذ فورا ، لتحقيق أكبر قدر ممكن مسن المصلحة العامة لصالح الدولية الاسلامية ،

قال أبو يوسف: " فاذا اجتمعوا على أن فىذلك صلاحا وزيادة فىالخراج أمرت بحفر تلك الأنهار ، وجعلت النفقة من بيت المال ، ولا تجعل النفقة على أهل البلد ، فانهم ان يعمروا خير من أن يخربوا • " (1)

وتشمل مصارف بيت المال أيضا الانفاق على المسجونين (٢) وموتاهـــم ان لم يكن لهــم مورد يأكلون منه ، وقد سأل أمير المومنين القاضى أبا يوســـف عن المذنبين الذين وضعوا في السجن ، هل ينفق عليهــم مايقيم أودهم ويستـــر أبدانهــم ، واذا كانت النفقــة واجبة فهـل هي من الزكاة أو من بيت مال المسلمين ؟ فأجابه بأنه يجب الانفــاق على من ليس له مال يكفيه ، ولك أن تنفقعليهم من بيت

⁽⁼⁼⁾ الله عليهم من الغنائم ، فأبى عمر وقال : " قد أشرك الله الذين يأتون من بعدهم فى هذا الفى ، فلو قسم لم يبق لهم شى ، قالوا : تقف ما أفا ، الله علينا بأسيافنا على قوم لم يحضروا ولم يشهدوا ، فقال لهم عمر : هذا رأى ، قالو: فاستشر ، فاستشار عشرة من الأنصار ، فقالوا : الرأى رأيك ، فنعم ماقلت ومارأيت ، ان لم تشمدن هذه الثغور وهذه المدن بالرجال ، ويجرى عليهم مايتقوون به رجع أهل الكفر الى مدنهم أبو يوسف _ ن · م · س _ صص/ ١٢ _ ٧٠ .

⁽۱) ن٠م٠س ـ ص / ۲۳۲ ، الرحبي ـ ن٠م٠س ـ ـ ج ۲ / صص ٢٤، ٢٥٠

۲۷٤ / ص - س - ص / ۲۷۶ ٠

المال أو من الزكاة ، ولكن أبو يوسف يرى أن من الأفضل الانفاق عليهم من بيت المال ، لأن مال الزكاة مستحقوه هم الأصناف الثمانية التى نص عليها القرآن الكريسم، ويشمل ذلك الانفاق على أسرى المشركين ، وقد كان الخلفاء ينفقون على أهل السجون من طعام وكساء صيفا وشتاء ، وأول من فعل ذلك على بن أبى طالب ـ رضى اللسه عنه ـ ثم معاويسة بالشام ،

قال أبو يوسف : " وأما ماسألت عنه ـ يا أمير المومنين ـ من أمر أهل الدعارة والفسق والتلصص اذا أخذوا في شيء من الجنايات وحبسوا : هل يجرى عليهم مايقوتهم في الحبس ؟ والذي يجرى عليهم من الصدقة أو غير الصدقة وماينبني أن يعمل به فيهمم ؟ ٠٠٠

فلابد لمن كان فى مثل حالهم ـ اذا لم يكن له شئ يأكل منه ، ولا مال ولا وجد شيئا يقيم به بدنه ـ أن يجرى عليهم من الصدقة أو من بيت المسال من أيّ الوجهين فعلت فذلك موّسع عليك ، وأحب اليّ أن يجرى عليهم من بيست المال، يجرى على كل واحد منهم مايقوته فانه لا يحل ولا يسع الا ذلك ،

والأسير من أسراء المشركين لابد من أن يطعم ويحسن اليه حتى يحكم فيه ، فكيف برجل مسلم قد اخطأ أو أذنب يموت جوعا ؟! وانما حمله علم ماصاراليه القضاء والجهل ، ولم تزل الخلفاء يأمير المومنين ـ تجرى على أهل السجون ما يقوتهم من طعامهم وأدمهم وكسوتهم الشتاء والصيف ، وأول من فعل ذلك على بن أبى طالب بالعراق ، ثم فعله معاوية بن أبى سفيان بالشام ، ثم فعلل ذلك الخلفاء من بعده ،" (١)

⁽۱) أبو يوسف <u>- ن٠م٠س</u>-ص/ ٢٩٩ ، الرحبي <u>- ن٠م٠س</u> ج ٢ / صص ٢٣٨ - ٢٤٠٠

" " المبحث الثــاني " "

أمناف الا راضي والحقوق المتعلقة بها ٠٠

......

أصناف الأراضى : -

ان الأراضى فى الدولة الاسلامية تنقسم الى خمسة أمناف هـى:الأرض الخراجية ، والأرض العشرية ، والأرض المـوات ، وأرافــــى
الاقطـاع ، وأرض مملوكــــة للدولـة ٠

أولا: الأرض الخراجيــــة:-

(۱) مافتــح عنـــوة :

وهى الأراضى التى استولى عليها المسلمون عنوة ولم يقسمها الامام بينهم ، ومن ذلك أرض سواد العراق حينما فتح فى عهد أمير المومنيسن عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ لم يقسمها بين الفاتحين بل أبقاها فى أيسدى أهلها يدفعون عنها الخراج كل عام ٠

قال أبو يوسف : " وأيما أرض افتتح الامام عنوة فقسمها بين الذين افتتحوها ان رأى ذلك أفضل فهو فى سعة من ذلك وهى أرض عشر ، وان لم ير قسمتها ورأى الصلاح فى اقرارها فى أيدى أهلها كما فعل أمير المومنين عمر بسسن الخطاب فى السواد ، فلمه ذلك ، وهى أرض خراج ، وليس له أن يأخذها بعد ذلك منهم ، وهى ملك لهميتوارثونها ويتبايعونها ، ويضع عليهم الخسسراج ولا يكلفوا من ذلك مالا يطيقون • "(1)

(٢) الأرض التي صولح عليها أهلها :-

تصبح أرضا خراجية ، وأهلها أهل ذمة ، وينزل أصحابها علي حكم الامام في تأدية الخراج والجزية ٠

والحقوق المتعلقة بهذه الأراضى الخراجية ثابتة مادامت صالحة للزراعة سواء زرعها من هى تحت يده أو عطلهــــا ٠

ثانيــا : الأرض العشــرية :-------

قسم القاضى أبو يوسف الأرض العشرية الى ثلاثسة أنواع ، وهسو

⁽۱) ان ورود عبارة ينزلوا ـ تعنى أنهم محاصــرون بالقـوة ، واشتراط الامام عليهم واضـح فى النزول على الحكــم والقــم ، وشرط ثالث ملحـــق وواضح معطوف على الأول " وعلى أن يودوا الخراج " وصورة الحكم أن يقــول لهـم الامــام : صالحتكــم على أن تنزلوا طائعــين آمنيـــن على أنفحــم وأموالكــم ، وعلى أنأضـرب عليكم الجــزية والخــراج بمقتضــى حكمــى فى مقدارهمــا ، وكيفيــة قــمتهـا عليكـم . الرحبى ـ ن م م س ـ ج 1 / ص ٣٣١ .

⁽٢) أبو يوسف ٠ ن ٠ م ٠ س ص ص / ١٣٥ ، الرحبي - ن ٠ م ٠ س - ج ١ / ص ٤٣١ ٠

رأى الجمهور ١٠)

(١) أرض العـــرب : -

وهى من عدن جنوبا الى قرى الشام شمالا ، وهى مشارفها ، ومن حصدود العراق شرقا الى العنيب بجوار الكوفصة الى شاطى، البحر الأحمول الله غربا ، فتشمل اليمن ونجصد وتهامة والحجاز ، وكانت عشرية ، لأن رسول الله عليصه وسلم - والخلفا، الراشدين لم يأخصدوا منها الا العشر (٢) لأن مشركى العرب لا يقبل منهم الا الاسلام أو القتصل .

قال أبويوسف: "قد بلغنا أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم افتتح فتوحا في أرض العصرب، فوضع عليها العشر، ولم يجعل شهم منها خراجا، وذلك قول أصحابنا في تلك الأرضيان، ألا ترى أن مكة والحرم لا يكسون فيها الخراج، فأجروا الأرض العربية كلها هذا المجرى، وأجسرى الطائف والبحرين كذلك، (٣)

(٢) الأرض التي أسلم أهلها :-

هى أرض عشر كما فعل رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بالمدينة المنروة ، فيعصمون باسلامهم أراضيهم وأنفسهم ، من الذل •

⁽۱) رأى الجمهور : أى مالك والشافعي وأحمدد ٠

⁽۲) دامادا أفنـــدی ـ مجمع الأنهــر ـ ج ۱ / صص ۱۲، ۱۲۱۰

⁽٣) أبو يوسف - ن٠م٠س - صص / ١٢٧ ، ١٢٨ ٠

قال أبو يوسيف : " وسألت يا أمييير المؤمنيين عن قيوم من أهيل الحرب أسلموا على أنفسهم وأرضهم ماالحكم في ذلك ؟ "

فأجاب أبو يوسف : بأن دما هــــم حــرام ، وأرضهم لهـم ،حــيث أنها بمنزلـــة ، فقد أسلم أهلهــا مع رسول الله ـ صلى اللـــه عليـــه وسلم ـ فهــى أرض عشـــر . " (٢)

قال رسول الله _ صلى الله عليه وسلم :" ان القوم اذا أسلموا أحرزوا دماءهم وأموالهــــم " (٢)

وقال أبو عبيد : " كل أرض أسلم عليها أهلها فهم مالكون لرقابها"

فهسى أرض عشسسر • قال أبو يوسف : " وأيما أرض افتتح الامام عنوة فقسمهسسا بين الذين افتتحسوها ، ان رأى ذلك أفضل فهو في سعة من ذلك وهي أرض عشسسر " . (٤)

الأرض الموات هى البعيدة عن العامير وليس بها أثير للمياء أو الييزرع وقد سأل أمير المومنين هارون الرشيد القاضى أبو يوسف عن هذه الأرض •

[·] ١٣٥ / ص ـ س<u>· ه · ن</u> (١)

⁽٢) أبو داود _ السنن _ باب اقطاع الأرضين _ ج ٤ / ص ٢٦٢٠

⁽٣) أبو عبيد _ الأموال _ ص / ١٤١ •

⁽٤) أبويوسف ـ . ن ٠ م ٠ س ـ ص ص / ١٣٦ ، الرحبي ـ ن ٠ م ٠ س ـ ج ١ / ص ص ٣٢ ، ٣٣١ .

قال أبو يوسف: " وسألت يا أمير المومنين عن الأرضين التى افتتحـــت عنوة ، أو صولح عليها أهلهـا فى بعض قراها أرض كثيرة لا يرى عليها أثـــر زراعـة ولا بنا، لأحـد ، ماالصــلح فيهـا (١)

وقد أجاب أبو يوسف على ذلك بقوله: " فاذا لم يكن فى هذه الأرضين أشر بناء ولا زرع ، ولم تكن فناء لأهلل القرية ، ولا مسرحا ولا موضع مقبرة ، ولا محتطبهم ولا موضع مرعى دوابهم وأغنامهما وأغنامها وليست بملك لأحد ، ولا فى يسد أحسد لا فهلى موات ، فمن أحيا منها شيئا فهلوله ، ولك أن تقطع من ذلك من أحبب ورأيت ، وتواجله ، وتعمل فيه بما ترى أنه صلح ، وكل من أحبب أرضا مواتا فهلى له ، (٢)

أى قال: اذا لم يكن فى هذه الأرض أثر للزرع أو للغرس أو للبنساء وليست مملوكة لأحسد ، وليس بها منافع عامة متعلقة بالقرية من فنساء واسع لقضاء ممالحهم وليست موضعا معد لتجمع مواشيهم وأغنامهم أو محتطبهم وليست مكانا معدا لدفن الموتى ، فهسى أرض موات ٠

فمن أحيـــا هذه الأرض فهـى ملك لـــه ، ولك يا أميــر المومنين أن تقطع أو تواجــر من تشاء ، وأن تعمل ماترى فيه صلاح لهذه الأمة · (٣)

يتعلق بالموات ثلاثــــة حقـــوق :-

الحــــق الأول : ____ أن للناس احياكه، فمن أحيا أرض موات ملكها عند الجمهور أذن

⁽۱) <u>ن٠م٠س عي / ۱۳۷</u> ، <u>ن٠م٠س ج</u> ١ / ص ص ٢٣٤ - ٢٣٤ ٠

⁽٣) ن٠م٠س ـ ص / ١٣٨ ، ن٠م٠س ـ ج ١ / صص ٤٣٢ ، ٤٣٣ ٠

الامام بالاحيــا، أو لـم يأذن ٠

أما أبو حنيفة فيقول : من أحيا أرضا مواتا بدون أذن ولي الأمر لا يملكها وللامام أن يأخذها من يده ، ويفعل بها مايراه من اقطاع أو اجسارة ٠

وسئل أبو يوسف عن دليل ماقاله أبو حنيفة ، فان حديث رسول الله عليه وسلم - يقول : "من أحيا أرضا مواتا فهى الله عليه وسلم - يقول : "من أحيا أرضا مواتا فهى الله فلم يشترط الاذن •

فقال أبو يوسف : ان حجته فى ذلك منع الضرر الذى قد يقع " أرأيت رجلين أراد كل واحد منهما أن يختار موضعا واحدا ، وكل واحد منهما يمنع صاحبه أيهما أحق به ؟ ٠

يقول أبو يوسف : لذلك جعل أبو حنيفة اذن الامام هنا فصلا بين الناس، اذا أذن الامام لأحسد في احيائها كان جائزا ، واذا منع أحدا كان هذا المنسع جائسزا ،

أما أبو يوسف فيسرى أن من أحيا أرضا ميتة فهسى له ، اذا لم يكسن هناك ضرر على أحسد ، ولا خصومة ، مثل دعوى ملك أو احيا، ، فان اذن رسول الله عليه وسلم ـ بقوله :" من أحيا أرضا مواتا فهسىله " شرع بساق الى يوم القيسامة . " (٢)

الحــــق الثانــى : -============

أن لمن شاء تحجير الأرض الموات وهو وضع علامات من حجارة أو خشب على الأرض التى يريد احياؤها فان فعل ثبتت له أولوية الحق في احياؤها

⁽۱) تحفة الأحوذي - باب ماذكر في احياء الأرض الموات - ج ٤/ صص ٦٣١، ٦٣٢ .

⁽٢) أبو يوسف _ ن ٠ م ٠ س _ ص / ١٣٨٠

فى مدى ثلاث سنين من تحجيرها ملكها ، وان لم يحيها فى هذه المدة أخدت منه لأن فى هذا تعطيلا للأرض عن زراعتها أو البناء عليها · فليس لمحتجرحة بعد ثلاث سنين ·

قال أبو يوسف: " الحديث عن سعيد بن المسيب ، قال عمر بن الخطاب ورضى الله عنه ـ: " من أحيا أرضا ميتة فهى له (١) ، وليس لمحتجر حصق بعد ثلاث سنين " وذلك أن رجالا كانوا يحتجرون من الأرضي من الأرضي الله يعملون " (٢)

الحـــق الثـالث: -

أن للامصلم اقطاعها لمن شاء ، والاقطاع كالتحجير في أنه يفيد أولويكية الإحياء في ثلاث سنين ، فان لم يحيها في هذه المدة أخذت منسك لئلا يعطلها عن الانتفاع بها ، ويأتى هذا في الاقطاع (٣) ، وللامام أن يقطع كل موات وكل ماليس لأحد فيه ملك وليس في يد أحدد .

قال أبو يوسف: " وللامسام أن يقطع كل موات وكل ماكان ليس لأحسد فيسه ملك وليس في يسد أحسد ويعمسل في ذلك بالذي يرى أنه خير للمسلميسن وأعسسم نفعا " (٤)

أن وقد سبق الاحياء والاقطاع فيهها تعمير للأرض الخالية بزراعتها

⁽۱) <u>أخرج البخارى</u> هذا القدر عن عمر ، انظر كتاب المزارعة ، باب من أحيــــا أرضا مواتا ـج ۲ / ص ۱۳۹ ۰

⁽۲) ابن حجر العسقلاني ـ الدراية _ ج ۲/ ص ٢٤٢ ، يحيبن آدم ـ الخراج _ ص ص/٩٢، ٩٣ عن طريق الزهري عن ســالم بن عبد اللـــه ، وانظــر أبويوسف _ ن ٠ م ٠ س ـ ج 1/ ص ٤٤٣ ٠

⁽٣) انظر موضوع أرض القطائع ٠ ص/١٢١(٤) ن٠م٠س ـ ص/ ١٤١٠

أو بغرس الأشجار فيها • والزراعة والغرس هما المورد الأول للغذاء الذي عليه حياة الانسان والحيوان فضلا عما في الشجر من الخشب الذي يحتاجون اليه في بيوتهم وآلات زراعاتهمم •

مايجب في الأرض الموات اذا ملكت بالاحيباء:-

هذه الأرض اذا سقيت بماءالمطر أو البئر أو العين أو الأنهار العشريسة ففيها عشر الخارج أو نصفه ، وان سقيت بماء الأنهار الخراجية كانت فيها الخصراج ٠

وفى حديث سعيد بن أبى عروبة عن سمرة بن جندب قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - " من أحاط حائطا على الأرض فهى له " . (١)

ولكن الأرض هنا محتاجـــة الى بيان المراد بها ٠

قال أبويوسف: " معنى هذا الحديث عندنا محمول على الأرض المسوات التى لاحق لأحد فيها ، فمن أحياها فهى ملك له ، يزرعها ويزارعها ويواجرها ويكرى فيها الأنهار ويعمرها بما فيه مطحتها ، فان كانت فى أرض العشر أدى عنها الغشر ، وان كانت فى أرض الخراج أدى عنها الخراج ، ، فان احتفرلها لهنا أو استنبط فيها قناة كانت أرض عشر . " (٢).

فما قرب من أرض العشر يكون عشريا ويوخذ منه ما يوخذ من أرض العشر وما قرب من أرض الشيئ وما قرب من أرض الخراج فهو خراجي ويوخذ منه الخراج ، لأن ماقرب من الشيئ يعطيى حكمه ، وهذا التفسير اذا كان المالك مسلميا ، وان كان كافييير

⁽۱) ن٠م٠س_ ص / ١٤٠ ، يحى بن آدم _ الخصواج _ ص / ٩٢

⁽٢) <u>ن٠٩٠س</u> ـ رقم ١٦١ ـ ص/ ١٤٠ ، الرحبــــى ـ <u>ن٠٩٠س</u>ـ ج ١ / ص ١٤٥٠٠

لا يوخــــــذ منه الا الخــراج لأن العشــر فيه نوع عبـادة وهى لا تصـح مـــن الكافــــر ، هذا رأى أبى يوسف ، أما محمد فقد اعتبر الماء الذى تسقى بـه الأرض المحيـاة فتكون خراجيـة أو عشرية بحسـبه لأن بـه يحصـل نماوهــا ٠

حكم الأرض التي بــاد أطهـا :-

كل أرض ملكت ثم باد أهلها ولم يعرف لها مالك ولا لأحد فيها دعوى فمن أحياها ببناء أو زرع أو غيرهما ملكها وأدى عنها العشر أو الخراج على مامالل

لأن القول بعدم صحة احيائها فيه تعطيل لها عن النماء ، وتعطيل الأرض عن النماء اضاعة للمال واغلاق لباب الرزق عن الناس ·

يقول أبو يوسف: " وأيما قوم من أهل الخراج بادوا فلم يبق منهم أحد وبقيت أر ضهم معطلة ، ولا يعرف أنها في يد أحد ، ولا أن أحدا يدعـــــي فيها دعوى ، فأخذها رجل فحرثها وعمل وغرس فيها وأدى عنها الخـــراج أو العشر فهــيله " (٣)

حكم احياء الأرضالمغمورة بالمـــاء :-==========

اذا كانت الأرض المغمورة بالماء متصلة بأرض انسان في جزيرة ، فجساء آخسسر وحمنها من الماء وجففها وزرع فيها ، ولم يضر ذلك العمل بأحسد كان ذلك احياء لها وملكها المحصّن لها ٠ كذلك اذا حصنها من الماء وقطسع

⁽۱) الرحبي _ن٠م٠س _ ج ١١ص ٤٤٦٠

⁽٢) انظر مايجب في الأرض الموات اذا ملكت بالاحياء _ ص / ١١٨٠

⁽٣) أبويوسف _ ن٠م٠س _ صص/١٤١، ١٤١، الرحبي _ ن٠م٠س _ ج١/صص ٤٤٦، ٤٤٧٠

مافيها من القصب والشجر و زرع فيها يكون احياء بطريق الأولى ، لأن هــــذا العمل احياء في عــرف الناس • أما ان أضـر هذا العمل بالعامة فلا يعتبر احياء فلا يترتب عليه حكمه أى لا يملكها •

قال أبو يوسف: " وسألت ـ يا أمير المومنين ـ عن الجزائر التى تكـــون فى دجلـة ينضب عنها الماء ، فجاء رجـل ـ وهى فى حديدة أرض له ـ (١) فحّمنها له ـ فحصنها من الماء ، وزرع فيها ، فاذا نضب الماء عن جزيرة فى دجلة والفرات فجاء رجـل ملاصـق تلك الجزيرة بأرض له فحصنها من الماء وزرع فيها ولا يحدث فيهـا واذا كان يضـر بأحد منع ذلك ، ولم يترك يحصنها ولا يزرعها ولا يحدث فيهـا حدثـا الا باذن الامـــام " . (٢)

ثم قال : " ولو أن رجلا أتى من البطيحة (٣) مما ليس فيه ملك لأحــد غلب عليه الماء ، فضرب المسنيات (٤) واستخرجه وأحياه ، وقطع مافيه من القصب فانها بمنزلة الأرض الميتة ٠

وكذلك كل ما عالج فى أجمة (٥) أو من بحر أو من برّ ، بعد أن لا يكون فيه ملك لانسان ، استخرجه وعمّـره ، فهـو له ، وهو بمنزلة الموات ، ١١(٦)

⁽۱) حديدة : وهي تحد أرضا له أي تجاورها ٠ الرحبي - ن٠م٠س - ج١١ ص ٦١٩٠

[·] ۱۹۹ / ص ـ س · ۱۹۹ ،

⁽٣) البطيحة : مابين واسط البصرة • وهو ما ، مستنقع لا يرى طرفاه من سعته ، وهو مغيض ما ، دجلة والفرات • انظر لسان العرب ـ مادة بطح •

⁽٤) المسنيات: حمع مسناة • وهى ضغيرة تبنى للسيل لترد الما • • سميت مسناة لأن فيها مفاتح للما • بقدر مايحتاج اليه • أبويوسف ـ ن • م • س ـ ص / ٢٠٠ •

⁽٥) أجمة : الشجر الملتف ـ المصباح ـ ص / ١٢

⁽٦) أبويوسف - ن ٠ م ٠ س - ص / ٢٠٠ ، الرحبي - ن ٠ م ٠ س - ج ١ / صص ٦١٩ ، ٦٢٠ ٠

رابعــا : أرض القطــائع :- ^(١)

حكم الاقطاع والغرش منه: -

أما مايعطيه الامام من أرض الموات حكمه : أنه لا يملكه من أخذه ، بل يكون أولى باحياء ٠ . فان أحياه قبل مضى ثلاث سنين ملكه بالاحياء ٠

وحكم ما يعطيه من الأرض العامرة: أى التى فيها زراعة أو بنا، أن الآخذ له يملكه بمجرد الاقطاع ، و لميرًا ما كاله ذلك في أرصه الصوافي وهى المي كالت كالترك اكسرى أولم وتل عن الحرب أولحوم بدار ع فللإما كاله يقطع منل . *
قال أبو يوسف : حدثنا هشام بن عروة عن أبيه قال : " أقطع رسول الله ـ على الله عليه وسلم ـ الزبير أرضا فيها نخل من أموال بنى النفير ، وذكر أنها أرض يقال لها الجرف ، ٠٠٠ " ، (٣)

لما أقطع الرسول - صلى الله عليه وسلم - الزبير أرضا فيها نخل، فقد أقطعه أرضا عامرة ، فدل هذا على اقطعه الأرض العامرة .

والنسرض من اقطياع الأرض بعامية هو نفع المسلميين(٤)

- (۱) مادة الاقطاع: أن يقطع السلطان رجلا أرضا فتصير له رقبتها وتسمى تلك الأرضون قطائع واحدتها قطيعة والخوارزمى مفاتيح العلوم ص / ٠٤٠ اقطاع ومعناه في البلاد الاسلامية: ١ـ منح الأرض التي لا مالك لها في مقابل الخراج أو العشور وحمنح علم الأرض في مقابل اعطاء شيء أو ضمانه لبيت المال دائرة المعارف الاسلامية النسخة العربية ح ج ٤ / ص ١٢٣٠
 - (٢) الرحبي _ الرت___اج _ ج ١/ ص ٢٥٧ ٠
 - (٣) أبو يوسف ـ ن ٠ م ٠ س ـ صص/١٣١، ١٣٢، والجرف : موضع على ثلاثة أميال من المدينـــة ٠ يحى بن آدم ـ الخــــراج ـ ص/٢٣، البلاذرى ـ فتوح البلدان ـ ص/٣٤٠

وتأليف من تحصل به القوة على أعداء الاسلام ، والغرض من اقطاع الأرض المسوات هو التشجيع على زراعتها واحيائها بالبناء أو الزرع ، والغرض من اقطاع الأرض العامرة المكافأة على القيام بمصلحة من مصالح الدولة أو العون على المعيشة .

قال أبو يوسف : " ولا أرى أن يترك أرضا لا ملك لأحد فيها ، ولا عمارة حتى يقطعها الامام ، فان ذلك أعمر للبلاد ، وأكثر للخراج " .(١)

وهذا أصل اقتصادى عظيم لمورد من موارد الحياة وهو الزراعة والتشجير ٠

روى أبو يوسف فى اقطاع الموات ، قال : " أقطع رسول الله ـ صلـــــى الله عليه وسلم ـ بلالا المزنى (7) مابين البحر والصخر (7) فلما كان زمن عمر بــن الخطاب قال له : انك لا تستطيع أن تعمل هذا ، فطيب (3) له أن يقطعها ماخللا المعادن فانه استثناها " . (6)

والنص يدل على أن الغرض من الاقطاع نفع المسلمين في زراعة الأرض أو البناء عليها ، فلما عجز عن تحقيق هذا الغرض أباح له أن يعطيها لغيره ممن يقدر على الانتفاع بها ،

⁽¹⁾ أبو يوسف ـ المصدر السابق ـ ص / ١٣١٠

⁽٣) الصخر : يعنى الجبال مما يلى المدينة _ الرحبي ـ ن ٠ م ٠ س ـ ج ١ / ص ٢٢٤٠

⁽٤) فطيب له : أى أباح عمر بن الخطاب لبلال أن يقطعها للناس ماعدا المعادن • ن • م • س

⁽o) أبو يوسف _ ن ٠ م ٠ س _ ص ص / ١٣٢ ، ١٣٣ ، يحيى بن آدم _ الخراج _ ص / ٨٩ ، _ _____ أبو عبيد _ الأموال _ ص / ٣٤٨ ، البلاذري _ فتوح البلاذري _ صص/ ٢٦ ، ٢٢ ٠

ليس لأحمد أن يحجر الأرض فوق ثلاث سنيسن:-

لایجوز لأحـد أن یحجّــر الأرض ثلاث سنین من غیر احیا، ، فان فعـــل ذلك نزعت منه ، كما روی أبو یوسف عن عمر بن الخطاب قال ب من حدیث طویل ۰۰۰ من كانت له أرض ثم تركها ثلاث سنین لا یعمرها ، فعمرها قوم آخـرون فهـــم أحق بهـا ٠ " (1)

ليس لولى الأمر أن يقطع الأرض التي سبق اقطاعها :-

وبما أن اقطاع أرض الموات يجعل من أقطعت له أولى باحيائها انكانت الأرض مواتا أو يملّكه اياها ان كانت عامرة ١٠ فليس لأحد أن يخرجها من يده ولا من يد وارثه أو المشترى منه ٠ ومن فعل ذلك كان غاصبا ٠ كما روى ذلك عن الحجاج بن يوسف أنه أخذ الأرض من يد من أقطعها لهم الخلفاء الراشدون وأعطاها الآخريسن ٠ (٢) فعلى ولى الأمر رد الأرض المغصوبة ٠

وعندما تولى الخليفة عمر بن عبد العزيز رد القطائع الى أهلها • وكسان أول من بدأ بنفسه ، لأنه أقطع أرض فدك وليس له الحق فيها ، وكانت أرض فدك بيد رسول الله ـ ملى الله عليه وسلم ـ فكان يضعها حيث أراه الله ـ ثم وليها أبو بكر وعمر ـ رضى الله عنهما ـ فعملا بها كذلك ، ثم أقطعها مروان ـ وصارت الى عمسر ابن عبد العزيز ، ثم أعادها مرة أخرى الى ماكانت عليه فى عهد رسول الله ـ ملى الله عليه وسلم • (٣)

⁽۱) أبو يوسف ـ ن ٠ م ٠ س ِ ـ ص / ١٣١

⁽۲) الرحبي ـ ن٠م٠س ـ صص / ۳۹۸، ۳۹۸٠

⁽٣) ابن الأثيــر ـ الكامل ـ جـ ٤ / ص ١٦٤ ٠

قال أبو يوسف: " وكل من أقطعه الولاة المهديون أرضا من أرض السواد وأرض العرب والجبال ، من الأصناف التى ذكرنا أن للامام أن يقطع منها - فلا يحل لمن يأتى بعدهم من الخلفاء أن يرد ذلك ولا يخرجه من يد من هو فى يده ، وأرث أو مشتر وأما من أخذ من الولاة من يد واحد أرضا وأقطعها آخر ، فهذا بمنزلة الغاصب غصب واحدا وأعطى آخر .

فلا يحل للامام ولايسعه أن يقطع أحدا من المسلمين حقّ مسلم ، ولا معاهد ولا يخرج عن يده من ذلك شيئا الا بحق يجب له عليه ، فيأخذه بذلك الذي وجب له عليه ، فيقطعه من أحب من الناس ، فذلك جائز له " · (١)

ثمقال: " والأرض عندى بمنزلة المال ، وللامام أن يجيز ذلك من بيست المال من كان له غناء فى الاسلام ، ومن يقوى به على العدو ، ويعمل فى ذلك بالسذى يرى أنه خير للمسلمين وأصلح لأمرهم • وكذلك الأرضون يقطع الامام منها مسسن أحب من الأمناف التى سميت ولا أرى أن يترك أرضا لا ملك لأحد فيها ولا عمارة تتى يقطعها الامام ، فان ذلك أعصر للبلاد وأكثر للخراج • " (٢)

ثم قال أبو يوسف : " وقد أقطع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وتألف على الاسلام أقواما ـ وأقطع الخلفاء من بعده ـ من رأوا أن في اقطاعه صلاحا ٠ "(٣)

ليس للامام أن يقطع أرضا مملوكة لأحد ولا لأحد فيها عمارة:-

⁽۲) <u>ن ، م ، س</u> - صص/ ۱۳۰ ، ۱۳۱ ، (۳) م <u>، س - ص ، م ، ن</u>

فالنص يدل على أمرين : أن تكون الأرض خالية من ملك الغير وعمارته ، وبيان الحق الذى يوخذ منها أهو العشر أم الخراج •

قال أبو يوسف: " وما كان من أرض العراق والحجاز واليمن والطائف وأرض العرب وغيرها ١٠ غامرة ، ليس لأحد ، ولا في يد أحد ولا ملك أحد ، ولا وراثة ، ولا عليها أثر عمارة ، فأقطعها الامام رجلا فعمرها ، فان كانت في أرض الخسراج أدى عنها الذي أقطعها الخراج ١٠٠ وان كانت من أرض العشر أدى عنها السذى أقطعها العشر ١٠٠ وأرض الحجاز والمدينة ومكة واليمن وأرض العرب كلها أرض العشر " (1)

⁽۱) ن٠م٠س _ ص / ١٢٩٠

الحمسى^(۱)وحكمسه

الحمى مكان في أرض موات به كلاً ، يعينه ولى الأمر يقيم عليه عامللا ويتخذه مرعى لخيل الجهاد وماشية الصدقة وفقراء المسلمين •

وقد حمى أمير المومنين عمر بن الخطاب _ رضى الله عنه _ أرضا بالربذة على أربعة أميال من المدينة وأقام عليها عاملا اسمه هنى وأوصاه أن يحسن معاملة الناس ، وأن يتقى دعوة المظلوم ، وأن يأذن بالرعى للفقراء أى أصحاب الابال والغنم القليلة ، وأن يمنع عنه ماشية الأغنياء كعثمان بن عفان، وعبد الرحمن بن عسوف _ رضى الله عنهما _ فان الأغنياء لهم نخل وزرع يرجعون اليه كعثمان وعبال الرحمن ، وأما الفقراء فان لم يرعوا ماشيتهم من الحمى وهلكت ماشيتهم يطالبوننى بضمانها والتعويض عنها ، وكلاً الحمى وماؤه أهون على من ذهب بيت الماسال وفضته ، لأن مصالح المسلمين أحوج اليهما .

ثم أقسم أمير المومنين عمر بن الخطاب بأن المدينة وماوالاها ملك لأهلها لأنهم أحرزوها بالسيف ، وقاتلوا عليها فى الجاهلية ، ثم أسلموا عليها ، ولسولا مصلحة المسلمين العظمى فى رعاية ماشية الجهاد ، والمدقة وحاجة الفقراء، ماحميت منها شيئا ، ولا أبقيت الأرض لهم ينتفعون بها ويرعون كللها .

⁽۱) لا حمى الا لله ورسوله، قبل كان الشريف فى الجاهلية اذا نزل أرضا فى حيـــه استعوى كلبـا فحمى مدى عواء الكلب لا يشركه فيه غيره، وهو يشارك القـوم فى مايرعون فيه ، فنهى النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن ذلك وأضاف الحمــى الى الله ورسوله، أى الا مايحمى للخيل التى ترصد للجهاد والابل التى يحمـــل عليها فى سبيل الله وابل الزكاة وغيرها ، كما حمى عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ النقيع لنعم الصدقة والخيل المعدة فى سبيل الله ، ابن الأير ـ النهاية فى غريب الحديث والأثـر ـ ج 1 / صص / ۲۲۲ ، ۲۲۲ ،

وهذا الحمى اذا أنشأه ولى الأمر يصبح منفعة عامة ، لا يحل لأحصد أن يتملكه ، ولا أن يعتدى عليه كالطرق والمنتزهات •

وقد استدل القاضى أبو يوسف بالأثـر عن زيد بن أسلم ، عن أبيه ، قـال : رأيت عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ استعمل مولى له يدعى : هنيا على الحمى ، فقال له : " ويحك ياهنـى : أضمم جناحك عن الناس ، واتق دعوة المظلوم فان دعوته مجابة ، أدخـل ربّ (١) الصريمـة (٢) ، ورب الغنيمة (٣) ، ودعنى من نعم (٤) ابن عفـان وابن عوف ان هلكت ماشيتهما رجعــــا بالمدينة الى نخـل وزرع ، وان هذا المسكين ان هلكت ماشيته جاءنى يصيــح : يا أمير المومنين ، والماء والكـلاً أهون على من أن أغرم له ذهبا ، أو ورقـا ،

ووالله ، ووالله انها لبلاهم ، قاتلوا عليها في الجاهلية ، وأسلم واعليها في الجاهلية ، وأسلم عليه عليها في الاسلام ، ولولا هذه النعم الذي أحمل عليه في سبيل الله ، ملاهم عليه الناس من بلاهم علينا " ، (٥)

⁽۱) رب : أي صاحب ٠

⁽۲) الصريمة : تصغير الصرمة ـ بكسر الصاد المهملة ـ وهى القطعة القليلة من الابل قيل مابين العشرين الى الثلاثين أو الخمسين ، أو مابين العشرة الى الأربعيــــن، أو مابين عشرة الى بضع عشر ـ المصباح ـ ص / ٥١٨ ٠

⁽۳) ورب الغنيمة : بالتصغير ٤ يعنى أدخل الى المرعى الابل والغنم القليلة ليرعاها فيه ٠ الرحبى ـ ن٠م٠س ـ ج١/ص ١٩٢ ، المصباح ـ ص/ ١٩٨٠

⁽٤) نعم: وهى الابل والشاه، وانما خص بالذكر نعم عثمان بن عفان ونعم عبد الرحمـــن ابن عوف ـ ن ۰ م ۰ س ـ

⁽o) الرحبى - ن ٠ م ٠ س - ج ١ / ١٩٦، ١٩٨، ١٩٩، ١٩٩، الشوكانى - نيل الأوطـــار-رواه البخارى - ج ٥ / ص ص ٣٤٧، ٣٤٧٠

حـــــرم المدينـــــــة

رأى القاضى أبو يوسف أن مقدار الحرم فى حق الشجر والكسلاً اثنى عشر ميلا محيطة بالمدينة ، ومقدار حرم الصيد أربعة أميال (۱) محيطة بها من كسسل جانب ، واستدل أبو يوسف بالحديث عن ابى مسعود الأنصارى أنه سمع رسول اللسه على الله عليه وسلم ـ يقول فى المدينة :" انهاحرم آمن انهاحرم آمن انهاحرم آمن انهاحرم آمن انهاحرم آمن الله عليه وسلم ـ أنه بلغه عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه قال : حدثنا مالك بن أنس أنه بلغه عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه وحرم قال : " حسرم عضاة (۱) المدينة ، وما حولها اثنى عثر ميلا ، أى جنبها، وحرم الصيحد فيها ـ أربعة أميال حولها • أى جنبها • " (٤)

وقد اختلف الفقها، في أن للمدينة حرما ١٠ فقال أبو حنيفة ليس لها حرم بل هي كسائر البلاد ما عدا مكة ـ قال الأئمة الثلاثــة (٥) لها حرح يحرم فيه الميد وقطع الكلاوالشجـر ، لكن اذا فعـل شي، من ذلك لا يضمن كما يضمن الميــــــد

⁽۱) الميل : بالكسر _ ثلاثة آلاف ذراع ، أو ست وتسعون ألف أصبع ، والذراع اثنتان وثلاثوون اصبعا ، فبقسمة ٩٦٠٠٠ ÷ ٣٣ = ٣٠٠٠ ذراع ٠ مادة مال : فصصصل الميم _ باب اللام ٠٠ القاموس المحيصط ج ٤ / ص ٥٣ ٠

⁽٢) حرم آمن: أى مكان يحرم فيه القتل والقتال وقتل الصيد وقطع الكلا والشجر ويأمــن فيه الناس من كل مايخيف • الرحبي-ن • م • س - ج ١ / ص ٦٨٩ •

⁽٣) عفاة المدينة: نوع من الشجر يسمى بأم غيلان وهو شجر السّمر ومثله كل شجر عظيم له شوك ، ابن منظور _لسان العرب _ ج ٥/ ص ٣٣٣٠ والحديث أخرج ____ مسلم باسناده الى الشيبانى، عن سهل بن حنيف _كتاب الحج _ باب الترغيب فسى سكن المدينة والصبر على لأوائها _ ج ٤/ ص ١١٨ و

⁽٤) أبو يوسف ـ ن ٠ م ٠ س ـ ص/٢٢١، الرحبي ـ ن ٠ م ٠ س ـ ج ١ / صص ١٨٩، ١٩٠٠

⁽٥) الأئمة الثلاثة : مالك بن أنس ، والشافعي وأحمد بن حنبل ٠

والكلد والشجر في مكة ، ولكل أدلة على رأيه ٠

ورأى أبى يوسف هو رأى أبى حنيفة • ولهذا نقل أبو يوسف عن بعصص العلماء تفسير الحرم باستبقاء الكللة والشجر لرعى المواشى لأن قوتهكان معظمه من اللبن فحاجتهم الى استبقاء الكللة والشجر أعظم من حاجتها الى قطع الشجر للحطب •

قال أبو يوسف: " وقد قال بعض العلماء: أن تفسير هذا ، انملل المواشى من الابل والبقر والغنم ، وانما كان قوت القلماء العضاة ، لأنها رعى المواشى من الابل والبقر والغنم ، وانما كان قوت القلماء اللبين ، وكانت حاجتهم الى القوت أفضل من حاجتهما الى الحطيب " . (1)

⁽۱) أبو يوسف ـ ن ٠ م ٠س ـ ص / ۲۲۱ ـ الرحبي ـ ن ٠ م ٠ س ـ ج ۱ / صص ١٩٨، ١٩٠ ٠

"" المبحـــث الثالــث ""

النشاط الاقتصادي في المجتمصع

ان الدولة الاسلامية غنية بأراضيها الزراعية الخصبة في أرض السواد وسهول بلاد الشام ووادى النيل ، وبأنهار ها العذبية الصالحة للرى من دجلة والفرات والنيسل وغيرها ، مما أدى الى الاهتمام بالأرض وتنشيط الزراعات •

ولذلك اهتم المسئولون في الدولة العباسية في عصرها الأول بتنمية الشروة الزراعية ، عن طريق حفر الترع واقامة السدود والجسور ، واصلاح وتحسين الأراضيية الزراعية التي أدت الى الاتعاش الاقتصادي للمجتمع ، كما أدت الى زيادة موارد بيت المال (۱) ، حيث بلغت في عهد أمير المومنين هارون الرشيد مايقرب من اثنين وأربعين مليون دينيسار . (۲)

وكانت هذه الأموال تنفق على مصالح الدولسة في جميع المجالات •

النشاط الزراعـــى :-

اهتم العباسيون بالنشاط الزراعى ، ففى عهد الخليفة المنصور ـ بدأ يتنظيم وسائل السرى ، بشق القنوات حينما وجد أن ماء الفرات لا يكفى لرى السلواد أما نهر دجلة فجعله لرى الأرض الواقعة على شاطئه الغربى وساحل الخليج الفارسى •

⁽۱) حسام الدين السامرائي ـ دراسات في الاقتصاد الزراعي للدولة العباسية ـ ص / ٣٦١ مجلة محلة مركز البحث العلمي) •

⁽٢) حسن ابراهيم حسن ـ تاريخ الاسلام السياسي ـ ج ٣٠ ص ٣٠٢ ٠

وبذلك امتدت الخضرة بين الصحراء العربية وجبال كردستان ، وكتسرت المحاصيل ، وحفرت قناة دجيل الذي يأخذ ماوه من دجلة ، وقناة أخرى مسسن كرخايا (1) الذي يأخذ من الفرات ، وأوصلهما بمدينة بغداد في عقود محكمسسة بالمساروج (٢) وبالآجسسسسر ٠

وأنف فعرس أهلها عبر القنوات في الشوارع والدروب والأرباص ، فغرس أهلها النخيل والأشجار وتوسعوا في الزراعة و (٣)

وجاء الخليفة هـــارون الرشـيد ، واهتم بشئون الزراعة من جميع النواحى العناية بالأرض وريها وعدم ارهاق الرعية بالخراج ، فأدرك أن كل تحسن يطــرأ على الزراعة ينعكس أثره على الخراج (٤) ، ولذلك طلب من قاضيه أبو يوسف كتابة رسالة الخراج ، ليسـير بمقتضاها حسب الشريعة الاسلامية ، (٥)

ديـــوان الخـــواج :-

كان ديوان الخراج يقوم بالاشراف على شئون الرى ومساحة الأرض واصلاحها وكان هذا الديوان يضم عددا من المتخصصين بشئون الرى، فكانوا يرسلون السى أى مكان يحتاج الى اصلاح ، وعددا من المتخصصين فى المساحة لوضع التصميمات لحفر قنوات جديدة ، ومهندسين متخصصين فى بناء السدود ، وآخرين يقومون بتوسيسسع

⁽۱) كرخايا : بالفتح ثم السكون : ۰۰۰ هو نهر كان ببغداد يأخذ من نهر عيسى ۰۰۰ وهذا نهر معروف مشهور ، ۰۰۰ والآن لا أثر له ۰ ياقوت الحموى ـ معجم البلدان ـ ج٤/ص٥٢٤٦، ٤٤٧٠ - معروف مشهور ، ۰۰۰ والآن لا أثر له ۰ ياقوت الحموى ـ معجم البلدان ـ ج٤/ص٥٢٤٦، ٢٤٤٠ - معروف مشهور ، ۰۰۰ والآن لا أثر له ۰ ياقوت الحموى ـ معجم البلدان ـ ج٤/ص٥٢٤٥، ٢٤٤٠ - معروف مشهور ، ۰۰۰ والآن لا أثر له ۰ ياقوت الحموى ـ معجم البلدان ـ ج٤/ص٥٢٤٥، ٢٤٤٠ - معروف مشهور ، ۰۰۰ والآن لا أثر له ۰ ياقوت الحموى ـ معجم البلدان ـ ج٤/ص٥٢٤٥، ٢٤٥٠ - معروف مشهور ، ۰۰۰ والآن لا أثر له ۰ ياقوت الحموى ـ معجم البلدان ـ ج٤/ص٥٢٤٥، ٢٤٥٠ - معروف مشهور ، ۱۵۰۰ والآن لا أثر له ۰ ياقوت الحموى ـ معجم البلدان ـ ج٤/ص٥٢٤٥، ٢٤٥٠ - معروف مشهور ، ۱۵۰۰ والآن لا أثر له ۰ ياقوت الحموى ـ معجم البلدان ـ ج٤/ص٥٢٤٥ - معروف مشهور ، ۱۵۰۰ والآن لا أثر له ۰ ياقوت الحموى ـ معجم البلدان ـ ج٤٠ ص٠١٥٥ - معروف مشهور ، ۱۵۰۰ والآن لا أثر له ۰ ياقوت الحموى ـ معجم البلدان ـ ج٤٠ ص٠١٥٠ - معروف مشهور ، ۱۵۰۰ والآن لا أثر له ۰ ياقوت الحموى ـ معروف مشهور ، ۱۵۰۰ والآن لا أثر له ۰ ياقوت الحموى ـ معروف مشهور ، ۱۵۰۰ والآن لا أثر له ۰ ياقوت الحموى ـ معروف مشهور ، ۱۵۰۰ والآن لا أثر له ۰ ياقوت الحموى ـ معروف مشهور ، ۱۵۰۰ والآن لا أثر له ۰ ياقوت الحموى ـ معروف مشهور ، ۱۵۰۰ والآن لا أثر له ۰ ياقوت الحموى ـ معروف مشهور ، ۱۵۰۰ والآن لا أثر المعروف مشهور ، ۱۵۰۰ والآن لا المعروف مشهور المعروف مشهور ، ۱۵۰ والآن لا المعروف المع

⁽۲) الصاروج: أى الحجر الكلس • (π) حسن ابراهيم حسن - ن • م • س - ج π/ω

⁽٤) حسام الدين السامرائي مجلة البحث العلمي والتراث الاسلامي من / ٣٦٣ ـ (العدد الخامس - صركز البحث العلمي واحياء التراث الاسلامي - كلية الشريعة - جامعة أم القرى عام١٤٠٢هـ)

⁽٥) أبو يوسف ن٠م٠س ص / ٣١٠

وتعميق قنوات الرى أو انشاء قنوات جديدة ، وبجانب هو لاء مشرفين يقومون بمراقبة السدود والضفاف حتى يضمنوا سلامتها باستمرار (1) والهدف من ذلك كله انمال الزراعة التي تودي الى كثرة الخراج ورفع المستوى المعيشى •

اشــراف الدولة على تحسين الزراعة وتنمية مواردها: -

كان اهتمام الدولة منصبا على الزراعة ، وكان لديوان الخراج كما قدمت - دورا أساسيا في الاشراف على تنظيم عمليات الرى ، فشقت القنوات وأقيمت الجسور والسدود لمواجهة الفيضان ، وهي من الخطوات المهمة في انعاش الزراعسة وبهذا يتبين أن مسئولية اصلاح شئون الرى المختلفة تقع على عاتق الدولسة لأنها مصلحة عامة للمسلمين •

فمن اهتمام الخليفة هارون الرشيد وقافيه أبى يوسف بشؤن الرعيسة في مجال الزراعة تلبية مطالب أهل الخراج ، اذا كان قى ذلك مصلحة للأرض الخراجية فاذا طلب أهل الأرض الخراجية حفر الأنهار المودية اليهم ، لاصلاح أراضيه المعطلة ، فعليهم اجابة طلبهم فى ارسال من لهم خبرة ومعرفة بذلك كالمهندسين والمساحين ، ويكون حفر الأنهار على نفقة بيت المال ، خير من أن تكون على أهل الخراج ، لأن فى هذا تعميراً للأرض وزيادة فى مساحتها وخراجها خير من خرابهسا بشرطالا يضر حفر النهر بالآخرين ، وان لم يحتمل بيت المال هذه النفقة كلها زيد على أهل الخراج بالقدر الذى يطيقونه •

قال أبو يوسف : " ورأيت أن تأمر عمال الخراج اذا أتاهم قوم من أهـــل خراجهم ، فذكـروا أن لهم في بلاهم أنهارا عادية قديمة وأرضين كثيرة غامـــرة

٣٦٣ - ص م ٠ س - ص ٣٦٣ ٠

وأنهم ان استخرجوا لهم تلك الأنهار واحتفروها وأجروا فيها الما، ، عمرت هدفه الأرضون الغامرة ، وزاد ذلك في خراجهم ١٠٠٠ ثمقال: " ١٠٠٠ أمرت بحفر تلك الأنهاروجعلت النفقة من بيت المال ولم تحمل النفقة على البلد، فانهم ان يعمروا خير من أن يخربوا "(١) من قيال : " فان كان في ذلك ضرر على غيرهم وذهاب غلاتهم وكسر الخراج لم

واذا احتمل أهل الخراج أن يزاد عليهم من خراجهم ، زيد عليهم اذا كانت الزيادة لاتجمع بهم " · (٢)

وقد نظم أبو يوسف نفقات وسائل الرى فجعل نفقة تطهير الأنهـــار العامة كدجلة والفرات واصلاح ضفافها ومفاتيح الماء التى يتم منها سقى المــزارع تقع على عاتق بيت المـال لأنهـا مصلحة عامة لجميع المسلمين ٠

قال أبو يوسف : " وعلى الامام كرى هذا النهر الأعظم الذى لعامة المسلمين ان احتاج الى كرى " (٣) ثم قال : " فأما البثوق (٤) والمسنيات (٥) والبريسدات التى تكون فى دجلة والفرات وغيرها من الأنهار العظام ، فان النفقة على هذا كله من بيت المال ، لا يحمل على أهل الخراج من ذلك شئ لأن مصلحة هذا على الامسام

⁽۱) أبو يوسف ـ ن ٠ م ٠ س ـ ص / ٢٣٢ ٠

⁽٣) أبو يوسف ـ ن ٠ م ٠ س ـ ص / ٢٠٩ ·

⁽٤) البثوق: جمع بثق - بفتح فسكون - وهو الخرق، ولعل المراد هنا الفتحات التي يصرف منها ماء النهر ٠ - الرحبي - ن ٠ م ٠ س - ج ٢ / ص ٢٦ ٠ المصباح ٠ ص / ٥٩ المغرب ٠ ص / ٣٤ ٠

⁽ح) تقدم تفسيره • أنظـر ص / ١٢٠ •

⁽٦) البريدات : فهى مفاتيح الماء من فم النهر أو الجدول ـ ن ٠ م ٠ س ـ ج ٢ / ص ٢٦ ٠

خاصة ، لأنه أمـــر عام لجميع المسلمين • " (١)

أما حفر النهر الخاص وتطهيره فيقع على عاتق أصحاب الأرض المستفيدين

قال أبو يوسف : " فأمّا الأنهار التى يجرونها الى أرضهم ومزارعهـــم وكرومهــم ورطابهــم وبساتينهـم ومباقلهــم وما أشبه ذلك ، فكريها عليهم خاصــة ليس على بيت المال من ذلك شى، ٠ " (٢)

ومن الاهتمامات الأخرى للدولة احياء الأرض الموات المشاعة ، التى ليست ملكا لأحيد ، وذلك من أجبل زيادة مساحة الأرض المزروعة ، فكل من أحيا أرضا مواتيا وشق فيها القنوات واستملحها وزرعها فهى له ، وللتشجيع على الاحياء كانيت الدولية تقطع المساحة الواسعة من الأرض الموات للأهليين .

وكان الناس يحتجزون أرض الموات لتكون لهـم الأولويـة فى احيائها ، وتقرهم الدولـة على ذلك ، لكن ما أقطع لهـم وما احتجروه اذا لم يعمروه فى مدى تـــلات سنين استرجـع منهـم حتى لا تتعطـل الأرض التى خلقت أصلا لمعايش النــاس، فحصـل بذلك نهضة زراعية مباركة انتفع الناس بانتاجها ، وانتفعت الدولــــة بما جبته من العشـر من أرض العشـر ومن الخــراج فى الأرض الخراجية ، (٢)

ومما شجع على الزراعة اعفاء البقول والخضر مثل القثاء والبطيخ والخيار والقدرع والباذنجان والرياحين والأعلاف من الزكاة مما أدى الى وفرتها ورخصها ٠ (٤)

⁽۱) أبو يوسف ـ ن ٠ م ٠ س ـ ص / ٢٣٣ ، الرحبى ـ ن ٠ م ٠ س ـ ج ٢ / ص ص ٢٦ ، ٢٧ ٠

⁽٢)أبو يوسف ـ ن ٠ م ٠ س ـ ص / ٣٣٣ ، الرحبي ـ ن ٠ م ٠ س - ج ٢ / ص ٢٦ ٠

⁽٣) أبو يوسف ـ ن٠م٠س ـ ص / ١٤٠٠

⁽٤) <u>ن٠م٠س</u> ص / ١١٥٠

^{*} التشجيع: هنا ليس لمنقى في الديم بل هو معما د النفوى البررة إذا أعفيت مه واجب إستراحت.

وكذلك اعفاء العسل الذي يستخرج من الكهوف ٠٠ من الخراج والعشر والأرض الخراجية (1) المومنين هـــارون الخراجية في المعالدية في عهد أمير المومنين هــارون الرشيد ، العدالة التي سادت المجتمع في جميع المجالات والتي كان من أسبابها توجيهات القاضي أبو يوســـف ٠

ومن مظاهر هذه العدالة أن القاضى أبو يوسف حينما علم مدى انحراف الحباة الخصوات ومن مظاهر هذه العدالة أن القاضى أن يختار عمال الجباة من بين من هسم على خلق وصلاح وأمانة وعلم بالشريعة ، وألا تأخذهم فى الحق لومة لائم • (٢)

ومن مظاهر ذلك أيضا ما أشار به على الخليفة من تحويل الخراج من نظام خراج الوظيفة الى خراج المقاسمة ، لما وجد فى الخراج الموظف من ظلم لبعض أصحاب الأراضى ، وفى نظام المقاسمة المقترح حدد مقدار الخراج للأرض التى تسقى سيحا بخمس الخارج ، وفى الأرض التى تسقى بالدوالى بخمس ونصف الخمس وفى النخل والكروم والبساتين بالثلث ، وفى غلات الصيف كالذرة والدخن الربع ، (٣)

وللتخفيف على أهل الخراج رأى أن مقدار الخراج ينبغى ألا يعتمد على الخصوص (٤) والحصرر (٥) بل على الواقصع ، بمعنى أن يباع الخارج للتجار تصميقسم ثمنه ، أو يقصوم قيمة عادلة ، (٦)

ومن مظاهر النشاط الاقتصادى ما أفاده بيت المال مما يأخذه العاشر مسن (٧) تجارات أهل الذمة وهو نصف العشر، والمستأمنين من أهل دار الحرب وهو العشر، فقد مر بنا في حديثنا

⁽۱) ن٠م٠س ـ ص / ۱۵۲ ، أنظر الراله ص / ۱۸۸

[·] ٩ ص / ٢٢٧ ، الرحبي - ن · م · س - ج ٢ / ص ٩ ·

⁽٣) ن٠م٠٠ وص ١١٢، ١١٣، الرحبي - ن٠م٠س - ج ١/صص ٣٤٧، ٣٤٧٠

⁽٤) تقدم شرحه في ص ١٠٠٨ (٥) الحزر: هو تقديم غامرت الزروع التي نعوم على الظهر والتحديد، مفا نيم العلوم عي /٤٠. (٦) أبو يوسف -ن٠م٠س- ص/١١٢، الرحبي -ن٠م٠س م ١٣٤٠.

⁽٧) المستأمنين من أهل دار الحرب: تقدم تفسيره ص / ٩٤٠

عن الموارد أنه كان يوخذ منهم العشوركلما مروا على العاشر لقاء حماية المسلمين لتجاراتهم ،ويوخذ ذلك منهم من جميع ما معهم من أموال ، حتى من الخمر والخنزير بمعنى أن يقسوم بمعرفة أهل الذمة شم يوخذ من قيمته العشر (١) من الحربون

أما مايأخذه العاشر من المسلم وهو ربع العشر فقد مر أنه زكاة مالهم ويصرف في مصارف الزكهاة •

قال أبو يوسف: " وكل ما أخذ من المسلمين من العشر فسبيله سبيـــل الصدقـة ، وسبيل مايوخـذ من أهل الذمـة جميعـا وأهل الحرب سبيل الخراج ٠٠٠ الى أن قـال: وليس هو كالصدقـة ، فقد حكم الله فى الصدقـة حكما ، قسمـــا عليــــــه " ، (٢) أى على مصارف الزكاة ،

ومن النشاط الاقتصادى تنمية الأرض بالزراعة وغرس الأشجار والنخصصارون فان هذا من أوسع أبواب الكسب وادرار الرزق على الناس ، فان أمير المومنين هارون الرشيد رغب في أن تزرع الأراضى وتغرس فيها البساتين بالنخل وأنواع الفواكسه لذلك فقد سلئل القاضى أبو يوسف عن حكم المزارعة والمساقاة •

ومعلوم أن المزارعة عقد بين الملاك والفلاحين على زرع الأرض ببعــــــف مايخرج منها • والمساقاة عقد بين أمحاب البساتين والفلاحين على اصــلاح الشجر ببعـض مايخـرج من ثمره • وقد أجابه أبو يوسف ببيان حكم المزارعة والمســاقاة •

قال : " وسألت ياأمير المومنين عن المزارعة في الأرض البيضاء بالنصف

⁽۱) ن٠م٠س ـ ص / ۲۷۳ ، ن٠م٠ ص ـ ص / ١٦٧٠

۱۷۲ / ص ـ ص ٠ ص ٠ ن ٠ س ٠ ص ـ ص ٠ (۲)

والثلث ٠ " (١)

6 وقد استعرض أبو يوسف آراءالأئمة من أهل الحجاز والكوفة ، ثم اختار كلل من المزارعة والمساقاة ، واستدل على ذلك بالحديث وبالقياس ، •

أما الحديث فقال أبو يوسف : " وأحسن ماسمعنا فى ذلك ماأتسر عن النبى _ صلى الله عليه وسلم _ " أنه عامل أهل خيبر بشطر ماخرج من زرع وثمر(7)"

(٣)
وأما القياس: فقياس المزارعة والمساقاة على المضاربة في أن كلا منهما عقد على مال بنصيب من الخارج، فالخارج في المضاربة هو الربح ٠

وقد تقدم الكلام عن المزارعة والمساقاة ، والخارج في المزار عةوالمسلقاة

هو الحــبّ والثمــــر •

أَدْتَ النَّاطِ الْإِ فَتَصادِيهِ فَهُ الزكاة إِوظيفتها الاقتصادية في ناحيتين :-

الأولــــى :-

------- قضاء حاجة المحتاجين بسبب الفقر أو الدين أو غيرهما ·

الثانــــى :-========== حث أرباب الأموال على تنميتها بالزراعة والتجارة والمناعـــة حتى لا تنقص بالصـدقـة ٠

* وهكذا أخذت الدولة بأقوم نظام في الانتاج، حتى عاد عليه ابماوصلت اليه في عهد الرشيد من انتعاش وازدهار ولا عجب أنه مقتبس من شريعة الاسلام ٠

(۱) ن٠م٠س ـ ص / ۱۹۳، الرحسي ـ ن٠م٠س ـ ج ١ / ص ٥٩٦٠

(٣) المضاربة: هي شركة بين اثنين أو أكثر بمال من أحد الجانبين وعمل من الآخر والربح على

مااتفقا عليه · الرحبي - ن · م · س - ج ١٩٩١٠ · هم الله فه م الرحبي الرحبي عن م · س - ج ١٩٩١٠ · م الله فه م الله و الموافرة م مالك و الله في و الموافرة م الله و الله م الله و الله م اله م الله م الله

⁽۲) مسلم _ کتاب البیوع _باب المساقاة _ ج ۰/ ص ۲۱ ، أبو یوسف <u>_ ن۰م۰س _ص/</u> ۱۹۵ ، الرحبی ـ ن۰م۰س ـ ج ۱ / ص ۲۰۱ ۰



تشخيص أبي وسف للإنخرافات الواقعة في الدولة الإسكلامية.

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: الإبخرا فات في معدلات الجباية المالية

المبحث الثانى: الإبخرافات في أسكاليب العمل والإدارة.

المبحث التالت: الانخرافات فالإجراءات المنفيذية.

الفصــــل الثانــــى

تشخيص أبى يوسسف للأحسرافات الواقعسة فسى الدولسة الاسسلاميسة

تنعكس الطريقة المنظمة في خط تفكير قاضى القضاة أبى يوسيف الدارات الماليك الماليك الدارات الماليك الدارات الماليك وفي في معالجته للمشاكل والانحرافيات التي كانت تجرى في تقدير المشوطة وفي السبل المتبعة في استيفائها ، وفي الاجراءات التنفيذية التي تمارس المومنين الأجهزة المسئولة عن الجباية في الدولة العباسية ، وقد أدرك أمير المومنين هارون الرشيد ذلك أيضا ، ولذلك فانه طلب الى قاضى قضاته أن يضع له الحلول للمشاكل الناجمة عن تلك الانحرافات ،

ان بالامكان تمنيف الانحرافات الواقعاة والتي أدت الى تخبط الادارة الريخ المرام المرام



" " المبحـــث الا ول " "

الأحسرافات في معسدلات الجبايسة الماليسة

صور لنا أبو يوسف فى رسالة الخراج الأموال والانحرافات التى وصليت الى علمه ، فكشف النقاب عنها أولا ثم أخذ يندد بها ويطلب من الخليفة هارون الرشيد اتخاذ اجراءات محددة تقدم باقتراحها من أجل ضمان توجيه سليم ، بعد القضاء على الاحرافات ٠

ومن تلك الانحرافات الواقعـــة :-

الأخطاء الحاصلة في جباية جمع الصدقات: -

فمن الانحرافات ماكان يقع فيه بعض الناس من منع الصدقية الواجبة ويتحايلون على اسقاطها ، بأن يفرقوا المجتمع ويجمعوا المتفرق •

ومشــال الأول:

أن يكون بين الاثنين نصاب من الغنم ١٠ أربعون شاة فيقتسمانه قبل الحسول للسلا تجب فيه الزكاة لأنه دون النصاب ١ (١) واستدل القاضي أبو يوسسف بالأثسر عن عبد الله بن مسعسود ، أنه قال : " ما مانع الصدقة بمسلم ، ومن لم يودها فلا صلاة له ١٠ (٢) وقال أيضا عامر الشعبي : قال كان يقال : "المعتدى في الصدقة كمانعها ٠٠ (٣)

⁽۱) أبو يوسف <u>ن ن م · س _</u> ص / ۱۲۵ ·

۲) ن م م س _ ص / ۱۷۵ ، الرحبي _ن م م س _ ح ۱ / ص ۵۳۲ .

⁽٣) <u>٠ ٠ ٠ س - س / ١٨٢ ، ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ب ١</u>٥٠٠ .

مئسال الثاني:-

أن يكون لكل واحد من الثلاثـة أربعون شاة على كل واحد شاه ، فاذا جمعوا كل واحد شاه ، فاذا جمعوا كل واحد شاه ، فاذا جمعوا هـذا المتفـرق وعددهم مائة وعشرين وفيها شـاتان •

قال أبو يوسف: " لايحـلّ للرجـل اذا كان يومن بالله واليوم الآخـر منع الصحدقـة ، ولا اخراجها عن ملكه الىملك جماعة ليفرقها بذلك فتبطـــل الصدقـة عنها ، بأن يصير لكل واحد منهم من الابـل والبقـر والغنم مالا تجب فيه الصدقـة ، ولا يحتـال في ابطال الصدقـة بوجـه من الوجـوه ولا سبب ، " (1) بعضراصه

ومن الاتحرافات أيضا ، أن الدولية كانت تستعميل رُعمال الخراج في جمع الصدقات ، فكان يترتب على ذلك ظلم الناس وأخيذ كرائم أموالهم ، والجمع بين الصدقات وأموال الخيراج ، مع أن لكيل منهما مصرفا خاصا به ٠

قال أبو يوسف فىسياق حديثه عن الصدقات : " ٠٠٠ لا تولهــــا عمال الخراج فان مال الصدقة لا ينبغى أن يدخل فى مال الخراج • وقد يبلغنى أن عمال الخراج يبعثون ويعسفون ويأتون أن عمال الخراج يبعثون رجالا من قبلهم فى الصد قات فيظلمون ويعسفون ويأتون مالا يحسل ولا يسع ، ٠٠٠ " (٢)

واستدل أبو يوسف في ذلك بالأثر عن عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ " مرت به غنم من غنم الصدقة ، فيها شاة ذات ضرع عظيم ، فقال عمر : ماهذه؟ قالوا : من غنم الصدقة • فقال عمر : ما أعطى هذه أهلها وهم طائعهون أفلا تفتنهوا الناس ، ولا تأخذوا حزرات الناس " • (٣) يعنى بحزرات الناس : خيار

⁽۱) أبو يوسف _ • م س ـ ص/ ۱۷۵ ، الرحبي _ • م س ـ ج ۱ / صص ٥٣٠، ٥٣١ •

⁽٢) ن٠م٠س ـ ص / ١٧٦ ، ن٠م٠س ـ ج ١ / ص ٥٣٦٠.

⁽٣) مالك - الموطأ - كتاب الزكاة باب النهى عن التضييق على الناس في الصدقة - صص/١٨٠،

أموالهــــم •

الانحرافات الحاصلة فيجبايسة الخراج:-

وهى متعددة فمنها ، أن ولاة الأمر قد أهملوا التدقيق والحرص في اختيار الجباة والعمال في الخراج ، فأخذوا يولون في إجباية من يجهلون حاله من العدالة والعفة والأمانة والفقه في الدين ، ومشاورة أهيل السرأي والرحمة بالرعيمة ، وانما بولون زمرة من ذوى القرابة أو المداقية لا يعرف صفاتهم التي توهلهم للجباية العادلة الأمينة ، فكانوا يأخذون أموال الرعيمة ظلما ويفرطون في أداء الحقوق التي تناط بهم .

قال أبو يوسف: " ١٠٠٠٠٠٠٠ انى أراهــم لا يحتاطون فيمن يولون الخراج اذا لزم الرجــل منهــم باب أحدهــم أيامــا ، ولاه رقــاب المسلمين (١) ، وجباية خراجهــم ، ولعله أن لا يكون عرفه بسلامة ناحيــة ، ولا بعفاف ولاباستقامـــــة طريقــة ولا بغيــر ذلك ، " (٢) ثم قــال : " ١٠٠٠٠ فانه قد بلغــنى أن يكون فى حاشية الوالى والعامــل جماعة منهم ، من لديه به حرمــه (٣) ، ومنهم من له اليـه وسيلة (٤) ، ليســوا بأبرار ولا صالحيــن يستعين بهــم ويوجههم فى عماله ، يقضى بذلك الذمامات (٥) ، فليس يحفظــون مايوكلون بحفظــه ، ولا ينمفون من يعاملـــون انما مذهبهــم أخذ الشيء من الخراج كان أو من أموال الرعيــة ، ثم يأخذون ذلــــك

⁽۱) أى الحكم عليهـم •

⁽۲) أبو يوسف _ م ٠ س _ ص/٢٢٧، الرحبي _ م ٠ س _ ح ٢/ ص١٠٠

⁽٣) حرمه : أي من له بالوالي قرابة أو مــــودة ، ن · م · س ـج ٢/ص ١٥ ·

⁽٤) وسيلة : منزلة وحظ وحظ و ١٥ - ن٠م٠س ج ٢/ ص ١٥٠

⁽o) الذمامات : الحقصوق والحرمات ، أى يستعين بهم فيها ولكنهم لا يقومون بصا يجب ـ أبو يوسـف • م • س ـ ص / ٢٢٩٠

فيما بلغني بالعسف والظلم والتعدى ٠٠٠ " (١)

ومنها القبالة :- (٢)

والقبالـة أن يعاقد ولى الأمر شخصا على جبايـة خراج ناحية ، علىأنيأخذ منه قدرا معلوما من المال و وبذلك يتعجل ولى الأمر الخراج لبيت المال ويستفيد المتقبل الفرق بين مادفعه وماحصل عليه وقد نصح أبو يوسف بالامتناع عن هذا العمل ، لأنـه يحمل المتقبــل على أن يأخـذ من أهــل الخراج أكثر مما عليهـم ، ويفتح له الباب لتحميلهـــم فوق طاقتهـم وتعذيبهـم و والواجب ألا يوخــذ من أهـل الخراج الا مقدار خراجهـم والميسـور من أموالهـم الذي يطيقونه ٠

والقبالــة المعمول بها فى ذلك العصر ، قد أدانها القاضى أبو يوسـف واعتبرها من الانحرافات ، فقد كان الوالـى يكتب الى عامل الخراج كتابا يطلـــب منه مقدارا من المال على أن له خراج ناحية كذا • وبعد أن يدفع المتقبـــل المال ، تطلــق يده فى جبايــة الناحيــة فيعسـف بأهلها ، ويجمع منهم المـــال الكثيـر لنفسـه ويكلف الناس مالا يطيقـون ، قال تعالى : " وسيعلم الذينظلمــوا أى منقلب ينقلبــون " (٣)

فهذه القبالة ذريعة الى الظلم لأنها تنفّر الزراع وتحملهم على

⁽۱) أبويوسف <u>-ن٠م٠س</u> ص / ۲۲۹ ، الرحبي <u>- ن٠مس - ج</u> ۲ ص ما، ۱٦ ٠

⁽۲) القبالة: بالفتح الكتاب المكتوب، وقبالة بالكسر ـ العمل • القبيل: الكفيل والعريف والاسم القبالة، وتقبّله العامل تقبّلا • وفي حديث ابن عباس: اياكم والقبالا فانه صغار وفضلها ربا، هو أن يتقبل بخراج أو جباية أكثر مما أعطى، فلذلك الفضل ربا ، فان تقبّل وزرع فلا بأس، والقبالة بالفتح، الكفالة وهي الأصل المصدر قبل اذا كفل • ابن منظور _ لسان العرب _ ج • / ص ٢٥٢١ وتقدم تفسيره ص ٢٣٠ (٣) سورة الشعراء، آيــة (٢٢٧) •

والمتقبل لايبالى بما ينزل بهم من الظلم ومايحيق بالبلاد من الخراب بهلاك الحيرث والنسل في سبيل مايجمع من المال ، والله لا يحب الفساد •

قال أبو يوسف: " " • • • • • • • فان المتقبل اذا كان فى قبالته فضل عليه الخراج ، عسف أهل الخراج وحمل عليهم مالا يجب عليهم ، فيأخذهم بما يجحف بهم ليسلم مما دخل فيه ، وفى ذلك وأمثاله خراب البلاد ، وهلاك الرعية • والمتقبل لا يبالى بهلاكهم لصلاح أمره فى قبالته ، ولعله أن يستفضل بعد مايتقبل به فضلا كثيرا ، وليس ذلك يمكنه الا بشدة منه على الرعية وضرب لهم شديد ، واقامة لهم فى الشمس ، وتعليق الحجارة فى الأعناق ، وعذاب عظيم ينال أهلل الخراج منه ، وهذا مما لا ينبغى ولا يحل ولا يصلح ولا يسع الحمل على الخراج منه ، وهذا مما لا ينبغى ولا يحل ولا يصلح ولا يسع الحمل على المراج بما ليس يجب عليهم من الفساد الذى نهى الله عنه ، انمسل

وفى النصوص تأكيد لا يقبل الشك على عدم شرعية الاجراءات التى يمارسها المتقبلون ، وعلى تجاوزهم الحدود وعسفهم وظلمهم وتعذيبهم للناس ، وأكله وأموال الناس بالباطل ، وذلك كله بسبب استخدام أسلوب التقبيل فى الجبايسة واضفاء الرسميين فى الدولة صفة الشرعية على اجراءات المتقبلين باعتبار أنهم يتولون مسئولية بيت المال فى استيفاء حقوقه من الرعية .

ومن الاتحرافات الواقعية مايعرف بالرواج والصرف ، ذلك بأن جابيي الخراج يأخذ من الرعية مايسمى رواج الدراهم ، وهو زيادة نسبة معلومة فى الدراهم المراج يأخذ من الرعية مايسمى المراج المراج على دافع المنتجة ، ويدعى الجابى أن أصل الخراج من الذهب ، فان عليهم اذا دفعوا الدراهم أن يؤدوا ذلك وفاء للفرق مابين الذهب والفضة ، فان ذلك تحايل وظلم لأهل الخراج .

⁽١) أبو يوسف ـ ن٠م س ـ ـ ص/ ٢٢٥، الرحبي ـ م٠س٠ ـ ج٢ / صص٤، ٥٠

قال أبو يوسف : " ولا يوخن منهم ماقد يسمونه رواجا لدراهم يودونها في الخراج ، فانه قد بلغنى أن الرجل منهم يأتى بالدراهم فيوديها في خراجسه فتقطع منها طائفة ويقال : هذه رواجها وصروفها • " (١)

⁽۱) صروفها : جمع صرف ٠ والصرف ـ كما فى اللسان : فضل الدرهم على على الدرهم الدر

* الاحسرافات في أسساليب العمسل والادارة

ولقد صور القاضى أبو يوسف أحوال وأساليب العمل المنحرفة فى بعض الأعمال التى سار عليه العسف ولاة الخسراج ، وبين لنا مساوى تلك الأساليسب ومافيها من جور وظلمه .

(۱) تأخيـر دياسـة الزرع وبقائه في البيـدر مدة طويلــة :-

ومن هذه الأساليب المنحرفة أن الزراع كانوا يوخرون دياسة الزرع وتصفيته بعد الحصاد ، فيبطئون في الدياس ثم في نقله الى البيدر ، فكان في تأخيره على الوصول الى البيدر أو بقائمه في البيدر مدة طويلة قبل اخراج حصة بيت المسال من الخراج تفريط بحقوق بيت المال ، لأنه مادام الزرع غير مقسوم فانسه يكون عرضة للنقص ، نتيجة تصرف الزراع والمارة ، و أكل الحيوان والطير وفعل الرياح ، أما الزراع فلا ينقص ذلك من نصيبهم لأنهم يأخذون الحب وهو فسي سنابله ، ويترتب على نقص الخراج في الحاليسن نقص في ايرادات بيت المسال ،

ثم ينصح أبو يوسف بأن تكون أجرة الحصاد والدياس على الزراع وبيت المال كل حسب نصيبه ، وقد عبر عن ذلك بالوسط ، ويظهر أن أجرة الحصاد والدياسية كانت تستوفى من الزراع ، فكان ذلك أيضًا من الانحرافات ،

وقد ينقبل الطعام أي الزرع بعد حصاده وجفافه الى البيادر ويتكدس فيها ويمنع الفلاحون من دياسته الى حين حضور من ينوب عن ديوان الخراج أو بيت المال وفى ذلك ضرر كبير على بيت المال وعلى أصحاب الزرع ، وقد يتعرض المحصول خلال فترة حبسه الى السرقة أو الحريق أو غير ذلك من العوارض ، اضافة الى أن لتأخير الشهر

⁽۱) دیاس الحب : اخراجه من اکمامه ۰ أبو یوسف ن ۰ م ۰ س ـ ص/۲۳۰ ۰

⁽٢) البيدر: جمعها بيادر، وهو الموضع الذي يداس أو يدرس فيه الحب ن٠م٠س ـص/٢٣٠٠

^{*}الإدارة: جعناها الحديث هو تنفيذ الساسة العامة للدولة تَكْنَوْم الأمم والصحة والتعليم وولي المائم والصحة والتعليم وجبالية المال والزراعة وعلى الجيلة ما تعوم به الوزارات والمصالح للل دولة.

والشهرين لفترة التصفية والقسمة قد يوخـر اعداد الأرض للدورة الزراعية عن مواعيدها فيمنع الحرث وبالتالى يودى الىنقص فى عمارة البلاد ، وفى ذلك ضرر كبير علـــى الاقتصاد العام للمجتمع ٠

قال أبويوسف: " وتقدّم أن يكون حصاد الطعام ودياسته من الوسط (۱)
ولا يحبس الطعام بعد الحصاد الا بقدر مايمكن الدياس ، فاذا أمكن الدياس رفع الى البيادر (۲) ، ولا يترك بعد امكانه الدياس يوما واحدا ، فانه مالم يحرز فك البيادر يذهب به الأكررة (۳) والمارة والطير والدواب ، وانما يدخل ضرر ذلك على الخراج ، فأما على صاحب الطعام فلا ، لأن صاحب الطعام يأكل منه ـ فيما بلغني الخراج ، فأما على الحصاد الى أن تقع المقاسمة ، فحبس الطعام في الصحراء أو في البيادر ضرر على الخراج • واذا رفع الى البيادر وصير أكداسا أخذ في دياسه ولا يحبس الطعام اذا صار في البيادر الشهر والشهرين والثلاثة لا يداس ، فان حبسه في البيادر ضرر على السلطان وعلى أهل الخراج ، وبذلك تتأخر العميسارة والحسرث • " (٤)

ومن الأساليب المنحرفسة الخسرص: -(٥)

ذلك أن العامل على الخراج ، كان يرسل الى الزراع من يقدر خارج الزرع قبل حصاده أو خارج الثمر قبل جنيه ، فيأخذ بهذا التقدير ويبنى عليه مقدار الخراج

[·] ١٤٦ / ص عندم تفسيره ص / ١٤٦ ·

٣٠ - ١٠٠٥ - ١٠٠٥ - ١٠٠٥ - ١٠٠٥ - ١٠٠٥ ٠ ١٣٥ - ١٣0 - ١٣٥ - ١٣0 - ١٣٥ - ١٣0 -

⁽٤) ن · م · س ـ ص*ن (*٤)

⁽٥) الخرص: تقدم تفسيره ص/٨٠٠

الذى يأخذه ، وربما كان التقدير زائدا عن الواقع ، فيؤدى ذلك الى ظلم السزراع فيتضررون من ذلك ، وربما يؤدى ذلك بهم الى فرارهم من قراهم فتتعطلل الأرض ويضمحل الانتاج ، وفى ذلك خراب الأراضى وضرر على بيت المال والاقتصلاد العام للمجتمع ٠

قال أبو يوسف : " ولا يخرص عليهم مافى البيادر ولا يحرر (١) عليهم حزرا ثم يوخذوا بنقائص الحزر ، فان في هذا هلاكما لأهل الخراج وخرابا للبلاد"(٢)

ومن انحرافات بعض عمال الخراج أيضا ادعاءهم على أهل الخراج فيماع بعض غلمة الخراج على أساس الحزر والخرص الذي يسبق تصفية المحصولات الزراعيمة وعلى هذا يأخذون أكثر من الخراج المشروط عليهم •

قال أبو يوسف : " وليس ينبغى لعامل ، ولا يسعه أن يدعى على أهل الخراج ضياع غلة ، فيأخذ بذلك السبب أكثر من الشرط · " (٣)

تشمدد المتقبلين في استيفاء الخسراج:-

ومن الاتحرافات الواقعة في هذا الاطار اعتماد أسلوب القبالة في الجباية وتشدد المتقبلين في استيفاء الخراج • انالاسلوب الذي كان ينهجه المتقبل حيال أهل الخراج هو الشدة والظلم ، بتكليفهم مالا يجب عليهم من الأمصوال وهذا يؤدي الى هلاك أموالهم وبالتالي الى هجرتهم عن القرى ، وهذا يضر بالخراج، وفي نفس الوقت يضر بمصالح الدولة الاسلامية •

قال أبو يوسف : " •••• والمتقبل لا يبالي هلاكهم بصلاح أمره في

⁽۱) الحرر : تقدم تفسيره ص / ص

⁽٢) أبو يوسف _ ن ٠ م ٠ س _ ص / ٢٣٠ ٠

۲۳۰ / س ـ س - م (۳)

قبالته ، ولعله أن يستفضل بعد ما يتقبل به فضلا كثيرا ، وليس ذلك يمكنه الا بشدة منه على الرعية وضرب لهم شديد ٠٠٠ " ثم قال : " ٠٠٠ يحمسل هذا المتقبل على أهل الخراج ماليس واجبا عليهم ، فيعاملهم بما وصفت لك، فيضر ذلك بهم ، فيخربوا ماعمسروه وبدعوه ، فينكسسر الخراج٠٠٠ "(١)

انحــراف بعض القضاة في الأممـــار: -

وهناك انحرافات عامـة يقوم بهـا بعض الولاة أو القضاة في الأممـار ، يبدوا أن بعضها قد بلغ مسامع الرشـيد فسأل عن السبيل الى اصلاحـه واصـلاح الخلل الناجـم عن سـو، تصرفـه ، كأن يقـوم أحـد القضاة بجمع أراض ونخيل وأشجـار في يحده لا مالك لهـا ، ويستغلها بمعرفـة وكلائـه ولا يعلم أمير المومنيـن بها .

ولقد وصف أبو يوسف مثل هذا القاضى بأنه قاضى سوء اتخذ مال المسلمين مأكلة لنفسه ولمن معه من الأعوان وطلب من الخليفة أن يخول السولاة بمحاسبة ذلك القاضى وسوالسه عما فى يده ، وأن يأخذوا ذلك المال الذى تحت يده ، فان لم يجد له مالكا وضعه فى بيت مال المسلمين ، واذا ثبت ارتكاب القاضى لمثل هذه الجريمة فهو قاضى سوء غاش لنفسه يأكل ماللا ليس له وهو مسى اليك بالكف عن اعلامك بهذا المال ، وهو مسى للمسلمين بأكل مالهم لتعلق حقوقهم بما أخذه .

فلا ينبغى أن يستعان بمثل هذا القاضى فى أعمال للدولة ولا سيمسسا فى القضاء بين الناس • وقال : " وأرى أن كل قاض حاز أموالا ليست له أمسرت بأن تؤخسذ هذه الأموال من يده ، وأن ينصب لها وكلاء يقومون على المحافظة عليها وعلى غلاتها ويضعونها فى بيت مال المسلمين حتى يظهر لها مالك بشراء أو أرث

⁽۱) ن٠م٠س_ص/ ٢٢٥٠

أو غيرهما ، فإن لم يظهر لها مالك فهي ملك لبيت المال •

ثم تحدث أبو يوسف عن حالة محددة بعينها ، وهى حالة قاضى البمسرة الذى أساء التصرف ، ونقل متولى البريد فيها أخباره الى الخليفة • فقسال : " وكتب به اليك صاحب البريد : أن فى يد قاضى البصرة أرضين كثيرة ، فيها نخل وشجر ومزارع ، وأن غلة ذلك تبلغ شيئا كثيرا فى السنة ، وقد صيرها فى أيدى وكلاء من قبله ، يجرى على الرجل الواحد منهم ألفا أو ألفين ، وأكثر وأقسل ، وليس أحد يدعى فيها دعوى ، وأن القاضى ووكلاء ه يأكلون ذلك •

فهذا وشبهه من الواجب عليك النظر فيه ، وان استقر عندك فما كان في يحد القاضي وأخذوا في يحد القاضي مما ليس يدّعني فيه أحد دعنوي ، وقد استغله وكلاء القاضي وأخذوا على غلبة ذلك ، وطالت به المحدة ، ولم يأت أحد يطلب فيه حقا ، وقد أمسك القاضي عن الكتاب اليك لترى فيه رأيك فقاض سوء ، صيرها وشبهه مأكلة له ولمن معه ، وهو آثام في ذلك ، فتقدم الى ولاتك في محاسبة القاضي على ما جرى على يدينه وأيدى وكلائم حتى يخرجوا منه ، ويصبر ماكان من غلات ذلك الى بيت مال المسلمين بعد أن لا يكون لوارث ولا لأحد فيها شيء يدعينه ،

واذا صح مثل هذا على القاضى حتى تبين امتناعه من الكتاب الى الامسام بذلك ، فقاضى سوء ، غاش لنفسه وللامام وللمسلمين ، ولاينبغى أن يستعان به على شيء من أمور المسلمين ،

وقد رأيت أن تأمر باخراج تلك الأرضين من أيدى القضاة الذين يأكلونها، وأن يختار لها رجلا ثقة أمينا عدلا ، ٠٠٠ وتأمر بأن تحمل غلاتها السب بيت مال المسلمين الى أن يأتى مستحق لشى منها فان كل من مات من المسلمين لا وارث له فماله لبيت المال ، الا أن يأتى مدّع منها شيئا بميراث يرثه عن بعض من مات وتركها ، ويأت على ذلك ببرهان وبينّة ، فيعطى منها ما يجب له ورأيلك

بعد فسي ذلك • " (١)

وهذا يبين مدى الانحراف مما جعل أمير المؤمنين هارون الرشيد يطلب من أبى يوسف وضع حلول عملية لهذه الانحرافات القائمة فى شتى النواحيي، وأهمها الناحية الاقتصادية حتى يرفع الظلم عن كاهل الرعية ،

انحسراف ولاة البريد في العمل الاداري:-

ومن ذلك ماذكره أبو يوسف مما بلغمه من الانحرافات التى تقع من عمسال البريد فى الأمصار ، ونجد أن الانحرافات فيهما تجاوزات كثيرة ومحاباة ، فمسن ذلك اخفاءهم عن أمير المومنين ظلم ولاة الأمر للرعيمة ومايتقاضونه فى سبيل ذلك من الرشوة ، ومن ذلك نقلهم أخباراً كاذبة عن الولاة ليكيدوا لهم اذا لمم يحابوهم بشئ من المسال •

وبذلك صور أبو يوسف الى حدد ما الانحرافات القائمة ، وطلب من أمير المومنين الرشيد أن يتفقد مثل هذه الانحرافات ، وأن يختار الولاة الأمناء ،الثقاة لتوليها البريد والأخبار ان لم يتصفوا بذلك فلا يصح توليهم العمل .

كما طلب منه أن يهدد كل صاحب بريد بالعقوبة ان أخفى عنه شيئا من أمر الرعيدة أو الولاة • ويأمرهم بعدم استعمال دواب البريد الا في صالح المسلمين والاسلام •

واستدل أبو يوسف بالأثـر عن طلحة بن يحى : " أن عمر بن عبد العزيـز كان يبـرد(٢) ، قال : فحمل مولى له رجلا على البريـد بغير اذنه ، قـال : فدعاه

⁽۱) أبو يوسف <u>م م س</u> صص/ ۳۲۰ ، ۳۲۱ ، الرحبى مم مس ج ۲ / صصص ۶۰۸ ، ۱۶۰ . ۱۶۰ . ۲۰۹ . ۲۰۹ . ۲۰۹ . ۲۰۹ .

⁽٢) يبرد : أي يرسل رسله على دواب البريد • الرحبي - م • س - ج ٢ / ص ٤١٣ •

فقال : لا تبرح حتى تقوّمــه(١) ثم تجعله في بيت المال ٠ " (٢)

قال أبويوسف: " وتقدم الى صاحب البريد هناك بالكتاب اليك بكل مايحدث من هذا وشبهه ، وتوعّده على سـتر شئ من ذلك ، على أنه قد بلغنى عن ولاتك علـــى البريد والأخبار في النواحي تخليط كثير ، ومحاباة فيما تحتاج الى معرفته من أمــور الولاة والرعية ، وانهــم ربما مالوا مع العمال على الرعية ، وستروا أخبارهم وســـوه معاملتهم للناس ، وربما كتبوا في الولاة والعمال بما لم يفعلوه اذا لم يرضــــوهم وهذا ماينبغي أن تتفقده " (٣)

ثم قال : " وتقدم اليهم أن لا يحملوا على دواب البريد الا من تأمر بحمله في أمور المسلمين، فانها للمسلمين • " (٤)

⁽۱) تقوَّمه : أى تبين مقدار أجرة حمله • ن • م •س ـ ج ۲ / ص ٤١٣ •

⁽٢) أبو يوسف ـ م ٠ س ـ ص/٣٦٢ ، ن ٠ م ٠ س ـ ج ٢ / ٤١٣ ٠

⁽٣) ن٠م٠س - ص/ ٣٦١ ، ن٠م٠س - ج ٢ / ص ٤١٠ ، ٤١١ ·

⁽٤) ن٠م٠س ـ ص/ ٣٦٢ ، ن٠م٠س ـ ج ٢/ص ١٤١٠

" " المبحث الثالث " "

الاحسرافات في الاجسراءات التنفيسنية

والإمراءات المتعقيدية هي مزءم اساليب الحمل والإدارة ولكم نخص لما لبحث ان مسئولية السلطة الادارية في الحكومة الاسلامية تشمل تحميل مسئولية

حماية الأفراد ، ومنهم المزراعين من أى تهديد يمكن أن يواجه حياتهم أو أو الحمرالعباري ممتلك المحمرالعباري ممتلك أن أجهزة ممتلك المعباري المعباري المعباري المعباري المعباري المعباري الادارة لم تقم بتنفيذ واجباتها في هذا المجال باستمرار .

وقد أشار أبو يوسف الى بعض الأعمال التى لجأ اليها المزارعون كالالجأ، والهروب من القرى ، وتأخير استخراج المحاصيل ، وذلك في محاولة منهم لحماية أنفسهم وضمان مصالحهم بازاء المعاملة غير العادلة ، والجشع الذي كان يتمسف به بعض جباة الضرائب المفسدين ٠

ان هذا النص الواضح يعكس طبيعية التعامل مع بعض المزارعين في الأرض الخراجية ، ويعكس مدى ماتردى اليه الفساد الادارى وما بلغيه جشعالمسيئوليسين

⁽١) انظر الالجاء ـ فقد سبق تعريفه ـ ص / ٤٤ .

⁽۲) أبو يوسف ـ ن ٠ م ٠ س ـ صص/ ۲۱، ۱۲ ، انظر السامرائي " دراسات في الاقتصاد الزراعي للدولة العباسية حتى نهاية القرن الثالث الهجري " (مجلة البحث العلمي والتراث الاسلامي - كلية الشريعة والدراسات الاسلامية ، العدد الخامس ١٤٠٢هـ) صص/ ٢٦١ ـ ٣٢٦ .

من الجباة وأعوانهم ورجالهم ، ومدى اغفالهم لنصوص الشريعة الداعية الصول الخير ، الآمرة بالمعروف والناهية عن المنكر ، ومدى الاعتماد على القوة والارهماب والتعذيب والعدوان •

واذا كان هذا حال عمال الجباية مع المزارعين المسلمين ، فليس مسن المتوقع أن يكونوا في وضع أسلم مع أهل الذمة ، ذلك أن بعض الجباة عند جبايتهم الخراج من أهل الذمة لم يكونوا ينصفونهم بل يأخذونهم بالشدة والضرب والتعذيب ، وهذا النص عام في كل من يطالب بالخراج مسلما كان أو ذميا .

قال أبو يوسف: " وان قال أهل الخراج: نحن نجرى على والينسا وجنده من عندنا • لم يقبل ذلك منهم ، ولم يحمّلوه ، فانه قد بلغنى أنه يكون فى حاشية الوالى والعامل جماعة منهم ، من لديه به حرمة ، ومنهم من له اليه وسيلة ، ليسوا بأبرار ولا صالحين ، يستعين بهم ويوجّهم فى عماله يقضى بذلك الذمنامات ، فليس يحفظون مايوكلون بحفظه ، ولا ينصفون مسن يعاملون ، انما مذهبهم أخذ الشى من الخراج كان أو من أموال الرعية ، شم يأخذون ذلك فيما بلغنى بالعسف والظلم والتعدى ٠٠٠٠ " (۱)

ومن الاتحرافات أيضا أن العامل على الخراج قد يذهب الى قريـة لجبايــة خراجها ومعـه أعوانه ، فيطلب الى أهل القريـة أن يضيّفوهـم فيضطرون الى تقديـم الأطعمة لهم الأمر الذى يكلفهم الكثير وينزل بهم من الظلم ما يحرجهم ، فشــروط العهـد ليس بهـا مايكلفهم به ، فكان يجب عليهـم الالتزام بما جا، في العهـد .

قال أبو يوسـف : " ••• لا يزال الوالـي ومن معـه قد نــزل

⁽۱) أبو يوسف <u>ن ٠ م ٠ س</u> - صص / ٢٢٨، ٢٢٩ ، الرحبي <u>- ن ٠ م ٠ س</u> - ج ٢ / صصص ۱۲ ، ۱۵ ، ۱۲ ۰

بقريسة يأخذ أهلها من منزله (١) بما لا يقدرون عليه ولا يجب عليهم ، حتى يتكلفوا ذلك فيجحسف بهسم . " (٢) .

ومن الاتحرافات الواقعة في الاجراءات التنفيذية ، الجعل أوالجعالة (٢) ، ذلك أن الجابي يبعث بعض أعوانه أو أحدهم لجمع الخراج فيجعل له جعلا ، فيذهب الواحد منهم الى المزارع الذي عليه الخراج ويطالبه بالجعل مع مطالبته له بالخراج وربما يكون ما جعل له أكثر مما على المزارع من الخراج ، فاذا امتنع المزارع من دفع الجعل ضربه واستاق مواشيه ، وربما أخذه هو أيضا لضعفه ، وها عمل ينفسر المزارعين من الزراعة ويمنعهم من دفع الخراج فينقص ذلك من بيت

⁽۱) منزلیه : أى وهو فى موضعه الذى نزل به • يكلف الوالى أهل القرية من نفقاته مالا يقدرون عليه • الرحبى - ن • م • س - ج ۲ / ص ١٥ •

⁽٢) أبو يوسف <u>٠ م ٠ س</u> ـ ص / ٢٢٩ ، الرحبي <u>- ن ٠ م ٠ س</u> ـ ج ٢ / ص ١٥ ٠

⁽٣) الجعلم والجعالة: الجعل بالضم الأجر يقال جعلت له جعلا <u>• المصاح</u> - ص / ١٦١، والجعالة بالكسوايجعلل للعامل على عمله - المطرزي - المغرب - ص / ٨٤ .

⁽٤) أبو يوسف ـ ن٠م٠س ص/ ٢٢٩ ، الرحبي ـ ن٠م٠س ـ ج٢/ ص ١٥، ١٦ ، ١٧٠

كل هذه الاتحرافات والمظالم ، كانت موجودة ، بدليـل أن بعض أهــــل الولايـات والكـــور كانوا يطلبون من الخليفـة هارون الرشيد التدخــل لانقاذهــم من الظلم ، كما حدث أن طلب أهـل خراسـان خلـع علي بن كيــى بن ماهـــان لظلمــه ايـاهم وأخــذ أموالهــم • (١)

وقد أوضح القاضى أبو يوسف فى رسالته : هذا الظلم ، واقتسرح مايضمن تصحيح تلك الأوضاع من آراء ومقترحات حرص أن تكون مستمسدة من الكتساب والسنة ٠٠

(الفضك (الثالث

مقتركات أبي يوسف الإصلاحية.

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: التأكيد على الإلتن ام بالمشريفة الإسكلامية

المبحث الثانى: مقترحات الخاصة بمعدلات الجباية،

وأجوبجا لنص الشرعى عن أسئلة وجهها

الرسيدإلى أبى يوسف.

المبحث التالث: مقترحات الخاصة بأساليب العمل.

الفمـــل الثـالث

مقترحات أبى يوسف الاصلاحيسة

القاضى أبو يوسف هو أعرف فقها عصره بالسياسة المالية ، وهو السذى اختاره الرشيد من بين العلماء مستشارا وناصحا أمينا لما يعرفه عنه من طسول ممارسته واطلاعه على مناهج سلفه من المحابة والتابعين وتابعيهم ومنهم القضاة ، والمفتسون •

لذلك نراه ينتهز فرصة استشارة الرشيد له فى الخراج وغيره من الشئون المالية ، فيشير بتصحيح الاحراف ، فلم يقتصر على نقد الاحراف التى الطلع عليها فى أمور الولاة والجباة ، بل اقتصر على الرشيد أمورا يصلح أن اتباعها أعون على اصلح الدولة وأقرب الى السداد والرشاد فى صلح الرعيسة .

" " المبحـــث الا ول " " ------

التأكيد على الالترام بالشريعة الاسلامية

مهد لذلك أبو يوسف بوصيته لأمير المومنين ، وهو القائم بشئون الرعية والمسئول عن التقصير في حقهم بطاعة الله في جميع أعماله • ثم أوصى بتطبيسيق أحكام الاسلام على قضايا الرعية ، واقامة الحدود ، ورد الحقوق الى أهلها ، والاستعانية بالعدول الثقاة والمساواة بينهم • وحذره من التفريط لأن الله محص على العاملين أعمالهم لا ينساهم ولا يغفضل عنهم •

قال أبو يوسف : " واعلم أنه لن تزول غدا قدم عبد بين يدى اللـــه
عز وجل ـ الا بعد المسألة ، فقد قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : " لا
تزول قدم عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع : عن علمه ما عمل فيه ؟ وعن عمره
فيما أفناه ؟ وعن ماله من أين أكتسبه ، وفيم أنفقه ؟ وعن جسده فيم أبلاه ؟ • " (١)

ثم قال : " فاحذر أن تضيّع رعيتك فيستوفى ربها حقها منك ، ويضيعك بما أضعت أجرك ، وانما يدعم البنيان قبل أن ينهدم ، وانما لك من عملك ماعملت فيمن ولآك الله أمره ، وعليك ماضيعت منه ، فلا تنس القيام بأمر من ولاك الله أمره فلست تنسى ، ولا تغفل عنهم وعما يصلحهم فليس يغفل عنك ، " (٢)

ثم أوصاه باحياء سنن الصالحين من سلف الأمـة، فإن الله جعــل

⁽۱) تحفة الأحوذي _ أبواب صغة القيامة ، باب ماجا ، في شأن الحساب والعقاب _ أخرجه الترمذي عن أبى برزة الأسلمي قال : هذا حديث حسن صحيح _ ج ۲/ ص ۱۰۱ ٠

⁽٢)أبو يوسف ن م م س ص ح ص / ٣٤ ، الرحبي ن م م س ح ج ١ / صص ٥٦ ، ٥٧ .

ولاة الأمسر خلفاؤه ونواب عنه في أرضه •

قال أبو يوسف: " • • • فان الله بمنه ورحمته وعفوه جعل ولاة الأسرخلفاء فى أرضه ، وجعل لهم نورا يضى للرعية ما أظلم عليهم من الأسيور فيما بينهم ، ويبين ما اشتبه من الحقوق عليهم • واضاح نور ولاة الأمر اقامية الحدود ، ورد الحقوق الى أهلها بالتثبت والأمر البين، واحياء السنن التى سنها القوم الصالحون أعظم موقعها ، فان فى احياء السنن من الخير الذى يحيا ولا يموت • وجور الراعى هلك للرعية ، واستعانته بغير أهل الثقة وأهل الخير هيلك للعيامة " (۱).

شم دعــى له بأحسـن مايدعـى بــــــه لراعــــــى المســــلمين قـــــال أبو يوسف: " وانى أسأل الله ـ يا أمير المومنين ـ الذى منّ عليــــك بمعرفتــه فيما ولاك ، أن لا يكـلك فى شى من أمرك الى نفسك ، وأن يتولــى منــك ماتولى من أوليائــه وأحبائه ، فانـــه ولىّ ذلك والمرغـوب اليه فيه " .(٢)

وواصل أبو يوسف وصاياه لأمير المؤمنين التزاميه بالحق ، وأن يحكيم بالعدل بين الناس ، بانصاف المظلوم ودفع الظلم عنه ، فالبركة مع العدل ، وبذلك يزيد الخراج ويكثر الرخاء وتعمر البلاد ، ومع الظلم والجور يقل الخراج وتخرب البلاد

قال جعفر بن أبى يحى : " الخراج عمود الملك ، ما استغرر بمثل العدل ولا استنزر بمثل الظلم ٠ " (٣)

⁽۱) ن٠م٠س ـ ص/ ٣٥، ن٠م٠س ـ ج ۱/ صص ٥٩، ٦٠٠

⁽٢) ن٠م٠س ـ ص/ ٣٥، ن٠م٠س ـ ج ١/صص ١١، ١٢٠

ان أمير المومنين عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ بعدله وانصافـــه المظلومين من أهل الخراج ، كان يجبى الخراج من السواد مائة ألف ألف درهــــم فعليك ـ يا أمير المومنين أن تتقى الله وتجلس للنظر في مظالم رعيتك مرة فــى الشهـر أو الشهرين ، وأن يكون عرض المظالم حسب الأسبقية ، حتى يرفع الظلم عن المظلوم هربتم الضرب على يد الظالم .

قال ـ صلى الله عليه وسلم ـ :" من ولى من أمسر أمتى شيئا فرفق بهــم فى حوائجهـم رفق الله به ، ومن احتجب عنهم دون حوائجهـم احتجب الله بنــه دون خلتــه وحاجته " (۱).

وبذلك ينتشر العدل في الأمصار ويخافك الظالم ويقبل الظلم ويهابك العمال والولاة ، بنهى بعضهم البعض عن ظلم الرعية ، وبعدلك الذي سيعم الجميسيع يجزيك الله أوفى الجزاء ، شم بهذا العدل يكشر الخراج ويكثرته يعم الرخاء وتقضى حاجات المسلمين ،

وقد استدل أبو يوسف بحديث أبى هريرة عن النبى-صلى الله عليه وسلسم "
" من نقّس عن مسلم كربة ونفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن ستسر مسلما في الدنيا ستره الله يوم القيامة • " (٢)

ثم بحديث أبى الدرداء فى قوله ـ صلى الله عليه وسلم :" انى لآمركــــم بالأمر وما أفعله ، لكنى أرجو أن يكون فيه الأجر ، وان أبغض الناس الـــيّ أن أظلمه الذى لا يستعين عليّ الا باللــه " (٣)

⁽۱) الرحبي ـ ن٠م٠س ـ ج٢/ص ٣٦٠

⁽۲) البخاري _ كتاب المظالم _ باب لا يظلم المسلم ولا يسلمه _ ج ٣/ ص ١٦٨٠

⁽٣) أبو يوسف ـ ن ٠ م ٠ س ـ ص / ٢٣٥ ، الرحبي ـ ن ٠ م ٠ س ـ ج ٢ / ص ٣٢ ٠

قال أبو يوسف: " واعلم أن العدل وانصاف المظلوم وتجنب الظلم ، مع ما في ذلك من الأجر يزيد في الخراج ، ويكثر عمارة البلاد ، والبركة مع العدل تكون ، وهى تفقـد مع الجـور ، والخراج بالجور ينقص ، والبلاد تخرب ^(١) وهــــــذه من الأمور التي تزيد في الخراج الرفق بالرعية والعدل في الجباية ، وقضاء مصالــــح المسلمين " • م قال : " • • • • فلو تقربت الى الله تعالى ـ يا أمير المومني ـ ن ـ بالجلوس لمظالم رعيتك في الشهر والشهرين مجلسا واحدا ، تسمع فيه من المظلوم وتنكر على الظالم ـ رجوت أن لا تكون ممن احتجب عن حوائج رعيته ، ولعلك تجلس الا مجلسا أو مجلسين حتى ينتشر ذلك في الأمصار والمدن ، فيخراف الظالم وقوفك على ظلمه ، فلا يجترى، على الظلم ، ويأمل الضعيف المقهور جلوسك ونظرك في أمره فيقسوى قلبه ، ويكثسر دعاوه ، ان لم يمكنك الاستماع في المجلسس الذي تجلسه من كل من حضر من المتظلمين ، نظرت في أمر طائفة منهم في أول مجلس وفى أمر طائفة أخرى في المجلس الثاني ، وكذلك في المجلس الثالث • ولا تقدم فيي ذلك انسانا على انسان ، من خرجت قصته أولا دعى به أولا ، وكذلك من بعده • مع أن العمال والولاة ان علموا أنك تجلس للنظر في أمور الناس يوما في السلمنة ، وليس يوما في الشهر ، تناهوا باذن الله عن الظلم " . (٢)

فحقــق ذلك بجلوسك للرعيـة ، لتسمع مظالمهم ، وترد اليهم حقوقهــــم وأنت اذا فعلت ذلك تبعك الولاة في كل بلد من بلاد الاسلام ٠

فقد أوصى أبو يوسف أمير المومنين الرشيد بضرورة التزام جباة الخـــراج

⁽۱) أبو يوسف_ ن٠م٠س_ص/ ٢٣٥ ، الرحبي ـن٠م٠س_ج٦١ / ص٣٦، ٣٣، ٢٠٠

⁽۲) ن٠٩٠٠٠ - صص/ ٢٣٥ ، ٢٣٦ ك - ن٠٩٠٠٠ - ٢٠ ص ٣٥٠ ٢٣٠ ٢٣٠

بالشرع ، ورفع الظلم عنهم - فيوخذ من أهل الخراج ما عوهدوا عليه ، ولا يحملون فوق طاقتهم ، ولا يعاملون بشدة وعسف ٠٠ فهذا فيه هلاك لهم ، وتخريب لمساعمت من الأراضى ، فيودى هذا الى الاضرار بهيت المال ، وقد أمر الله سبحانه وتعالى أن يوخذ منهم مايطيقون ، قال تعالى : " ولا تقسدوا فى الأرض بعسداملاحها " . (١)

وقال: " واذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد " . (٢)

وألا يكون الجابى مستخفا ولا محقرا لأهل الخراج ، لينا من غير اجحاف في حق بيت المال ، عادلا ومنصفا للمظلوم مساويا بين الناس .

لا يجوز لمسلم يومن بالله واليوم الآخـر أن يمنع زكاة الأنعام السائمـــة بعد تمام الحول ، أو يغرق مايملك من ابل أو غنم أو شياه ، أو يجمع المتفرق ليبطل نصاب الصدقة الواجبة بطرق التحايل .

قال أبو يوسف : " لا يحل لرجل يومن بالله واليوم الآخر منع المدقـــة ولا اخراجها من ملكه الى ملك جماعة ليفرقها بذلك فيبطل المدقة عنها ، بــأن يصيّر(٣) لكل واحد من الابل والبقر والغنم مالا تجب فيه المدقة "(٤).

واستدل أبو يوسف بالأثر عن أبى بكر - رضى الله عنه - يق ول:

⁽١) سورة الأعراف ، آيـة (٥٦) .

⁽٢) سورة البقرة ، آيـة (٢٠٥) .

⁽٣) أى يملك كل واحد مقدارا لايجب فيه الصدقة وهو مادون النصاب • الرحبي •ن٠٥٠س جـ ا /٥٣١٠

" لو منعونى عقالا (1)مما أعطوه رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لجاهدتهم "(٢) ثم حين منعوه الصدقة : رأى قتالهم حالالا طلقال . " (٣)

قال أبو يوسف : " لا يجمع بين متفرق ، ولا يفرق بين مجتمع ، وما كـان من خليطين (٤) فانهما يتراجعان بالسوية ٠ " (٥)

هذا نص حديث عن رسول الله ـ صلى الله عليـه وسلم ـ أراد بــــه أمريــــن :-

الأمسر الأول :-

نهيهم عن التحايل الاسقاط الزكاة لا فلا يجمع بين متفرق كما اذا كان هناك ثلاثة أشخاص لكل واحد منهم أربعون شاة فعليهم ثلاث شياه ، فاذا جمعوا هذا المتفرق كانست أموالهم مائة وعشرون وفيها شاتان • وأما قوله " لا يفرق بين مجتمع " • فمعناها أن يكون بين اثنين عقد شركة في غنم ولكل منهما مائة وشاة ، فاذا اعتبرت الغنسم مالا واحدا ففيها ثلاث شياه وأمااذا فرقها الشريكان واعتبر كل واحد ملكه غير ملك صاحبه فعلى كل واحد شاة واحدة •

وذلك أن الحكم فى زكاة الغنم ٠٠ فى أربعين شاة ـ شاة ، وفى مائسة

⁽۱) العقال ـ بكسر العين ـ مايشد به ظلف البعير بذراعه حال بروكه حتى لا يقوم فيشرد المصباح ـ صص / ٦٤٧ ، ٦٤٧ ٠

⁽٢)أخرجه الجماعة عن أبي هريرة ، انظر جامع الأصول - ج ٥/ ص ٢٩٥٠

⁽٥) أخرجه أبو داود فى كتاب الزكاة ، باب زكاة السائمة • انظر بذل المجهود ـ ج λ ص ٥٠٠ ، أبو يوسف ـ ن • م • س ـ ص λ ، الرحبى ـ ن • م • س ـ λ ، ١٦٨، ٥٠٠ ، ٥٠٠ ، ٥٠٠ ، ١٠٥ ، ١٠٥٠ ، ١٠٥ ، ١٠٥٠ ، ١٠٥

⁽٦) الرحبى - ن ٠ م ٠ س - ج ١ / ص ٥٠٠ ٠

الأمسر الثانسي:-

أن الواجب فى خمس وعشرين من الابل بنت مخاض ، وهى التى دخلت السنة الثانية ، وفى ست وثلاثين بنت لبون ، وهى التى دخلت فى الثالثة ، وفى ست وأربعين حقـة وهى التى دخلت فى الزال وهى التـى دخلت الذال وهى الرابعة ، وفى احدى وستين جذعة ـ بفتح الذال وهى التـى دخلت الخامسة ،

فقوله صلى الله عليه وسلم: " ما كان من خليطين فانهما يتراجعان بالسوية "

: فمعناه أن يكون لاثنين مثلا احدى وستون من الابل فلأحدهما ستة وثلاثون وللآخـــر
خمس وعشرون ، أخذ منهما مجتمعين بنت مخاض وبنت لبون ، فان كل واحد منهما يرجع على أخيه بحيث تكون بنت لبون مأخوذة من صاحب الستة والثلاثون ، وبنت مخاض مأخوذة من صاحب الخمسة وعشرون ، (۱)

ويبدو أن عمال الخراج كانوا يتولون جمع الصدقات ، وقد عارض أبو يوسف هذا الاجراء ، لأنه على افتراض حسن النية في عمال الخراج فان توليتهم ذلك يودي الى اختلاط أموال الصدقة بمال الخراج مما لا يجوز ، لأن جهـة الصرف في الصدقة تغايــر جهة الصرف في الخراج ، لأنه يصرف في المصالح العامة للمسلمين .

فكيف وعمال الخراج يبعثون أتباعا لهم لجمع الصدقات فيظلمون ويفعلون ما

⁽۱) الرحبي <u>- ن٠م٠س -</u> ج١/ صص ٥٠٢، ٥٠٣ ٠

ا ينبغــــي ٠

قال أبويوسف: " فمسريا ـأمير المومنين ـ باختيار رجل ثقــــة أمين عفيف ناصح • مأمون عليك وعلى رعيتك ، فولته جميع صدقات البلدان ، ومره فليوجته فيها قوما يرتضيهم ويسأل عن مذاهبهم وطرائقهم وأماناتهم ، يجمعـــون اليسه صدقات البلدان •

فاذا اجتمعت اليه أمرته فيها بأمر الله فأنفذه ولا تولّها عمـــال الخراج ، فان مال الصدقة لا ينبغى أن يدخل في مال الخراج وقد يبلغني أن عمال الخراج يبعثون رجالا من قبلهم في الصدقات فيظلمون ويعسفون ويأتون مالا يحـــل ولا يسع ، وانما ينبغي أن يتخير للصدقة أهل العفاف والصلاح ، فاذا وليتهــا رجلا وجّـه من قبله من يوثق بدينه وأمانته ، وأجريت عليهم من الرزق بقدر ماتــري ولا تجـر عليهم مايستغرق أكثر الصدقة " ، (1)

الا أنه أكد على أنه " لا ينبغى أن يجمل مال الخراج الى مال الصدقـــات والعشـور لأن الخـراج فــى لجميع المسلمين ، والصدقات لمن سمى الله في كتابه (٢)"

وقد أكد أبو يوسف فى مقترحاته على أنه يجب على جابى الصدقة فى الأنعام أن يأخذها من الوسط، فلا يأخذ السمينة ولا الهزيلة ، وهى دائما الثنى (٣) ولا توخذ الهرمة ولا العمياء ولا العوراء ولا الحامل ولا التى تربى ولدها ، ولا التى يسمنها ماحبها ليأكلها ٠

قال أبو يوسف : " وليس لصاحب الصدقة أن يتخير الغنم ، فيأخذ مـــن

⁽۱) أبو يوسف _ ن ٠ م ٠ س _ ص / ١٧٦ ٠

⁽۲) <u>ن٠م٠س</u> ـ ص / ۱۲۲ ٠

⁽٣) الثنى : فمن الغنم مادخل في السنة الثالثة، ومن البقر مادخل في الثالثة، ومسن الأبل مادخل في السادسة • طلبة الطلبة _ ص/١٥٥ (المطبعة العامرة _ القاهرة _ ١٣١١هـ)•

وسطها على السنة وماجاء فيها . " (١)

واستدل أبو يوسف بالأثـر عن عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ " مــرت به غنـم من غنم الصدقـة فيهـا شـاة ذات ضـرع عظيم ، فقال عمر : ماهذه ؟ ـ قالوا : من غنم الصدقـة • فقال عمر : ما أعطـى هذه أهلهـا وهم طائعـــون فلا تفتنوا الناس ، ولا تأخذوا حزرات الناس ، يعنى بحزرات الناس : خيــــار أموال الناس • " (٢)

الاحسان في معاملة أهل الذمة عند جباية الجزية :-

اقترح أبو يوسف على أمير المومنين الرشيد ضرورة أن يلتزم جباة الجزية بالشريعة الاسلامية عند جمعها من أهل الذمة ، لأن ديننا دين الرحمة والشيطقة فيجب معاملة أهل الذمة بالحسنى والرفق بهم ، وألا يوضعوا فى الشمس ، وألا يكلفوا فوق طاقتهم ، وألا يوخذ منهم شى الا بحق واجب ، وان رفضوا الدفع ، يحبسوا حتى يودوا ماعليهم ، لأن الجزية انما أخذت منهم لحماية دمائهم وأموالهم ، وأهسل الذمة هم النصارى واليهود والصابئة والمجوس والسامرة . (٣) .

⁽۱) أبو يوسف ـ ن ٠ م ٠ س ـ ص / ۱۲۱ ، الرحبي ـ ن ٠ م ٠ س ـ ج ١ / ٢٥١ ٠

⁽٣) تقسم تفسير الصابئة والمجوس والسامرة في المبحث الأول من الفصل الأول ص/٩١٠

⁽٤) ومعنى قوله تعالى فى آية الجزية "وهم صاغرون " وهم ملتزمون لأحكام الاسلام، وليس المراد بالصغار والله أعلم، الاذلال والضرب • انظر الأم للشافعى حرج عراص ٩٩٠ والآية هى من سورة التوسة آية (٢٩) •

قال أبو يوسف: " ولا يضرب أحد من أهل الجزية في استيدائهم الجزية ولا يقاموا في شمس ولا غيرها ، ولا يحمل عليهم في أبدانهم شيء من المكاره ولكن يرفق بهم ويحبسون حتى يودوا ماعليهم ولا يخرجون من الحبس حتىتتوفى منهم الجزية ، ولا يدع أحدا من النصارى واليهود والمجوس والصابئيسين والسامرة الا أخذ منهم الجزية ، ولا يدع أدا ، لأن دماءهم وأموالهم انما أحرزت بسادا، الجزية ، منزلة الخراج " (1)

شم قال: " وقد ينبغى ـ يا أمير المومنين ـ أيدك الله ـ أن تتقـــدم فى الرفق بأهل ذمة نبيك وابن عمك محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ والتفقد لهم حتى لا يظلموا ولا يوذوا ولا يكلفوا فوق طاقتهم، ولا يوخذ شئ من أموالهم الابحـــق يجب عليهـم ، " (٢)

واستشهد القاضى أبو يوسف بحديث روى عن رسول الله ـ صلى الله عليــه وسلم ـ أنه قال : " من ظلم معاهدا أو كلغه فوق طاقته فأنا حجيجه " (٣) .

واستشهد أيضا أبو يوسف بالأثـر عن سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيــــل من أصحاب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه مرّ على قوم قد أقيموا فى الشمــس فى بعض أرض الشام ، فقال : ماشأن هولاء ؟ فقيل له : أقيموا فى الشمس فـــــى الجزية ، قال : فكـره ذلك ، قال : فدخـل على أميرهم فقال : انى سمعت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول " من عنب الناس عنبه الله الهـ (٤)

⁽۱)أبو يوسف ون وم وس ـ ص / ٢٥٥ ، الرحبي ـ ن وم وس ـ ج ٢ مرص ١٠٨ ، ١٠٨ و

⁽۲) ن٠م٠س ـ ص / ۲٥٢ ، ن٠م٠س ـ ج ۲ / صص ١١٤ ، ١١٥٠

⁽٣) حجيجه : أى خصيمه • الحديث أخرجه أبو داود باسناده الى عدة من أمحاب رسول الله عليه وسلم ـ بذل المجهود ـ كتاب الخراج ـ ج ٣/ صص ٤٠٠، ٤٠١ •

⁽٤) أبو يوسف ـن ٠ م ٠ س ـ ص/ ٢٥٧ ، الرحبي ـن ٠ م ٠ س ـ ج ٢ / صص ١١٥ ١١٦٠٠

واستشهد كذلك بما تكلم به عمر بن الخطاب _ رضى الله عنه _ عند وفاته :
" أوصي الخليفة من بعدى بذمة رسول الله _ صلى الله عليه وسلم _ أن يوفى لهم بعهدهم ، وأن يقاتل من ورائهم ، وأن لا يكلفوا فوق طاقتهم . " (1)

ثم استشهد بالأثـر عن عمر بن الخطاب الذى ساء أن يسأل الشيخ اليهودى الضرير المسكين الناس ليودى الجزية التى عليه ، ويرى أمير المومنين عمر بـــن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ أن المساكين من أهل الكتاب الذى لا مال لهـم يجوز دفع الزكاة اليهـم ، وهذا اجتهاد منه ٠

وقال عامة الفقها، لا تدفع الزكاة المفروضة الا الى المحتاجين من المسلمين .

قال أبو يوسف عن أبى بكر قال : " مسرّعمر بن الخطاب بباب قــــوم
وعليه سائل يسأل ـ شيخ كبير ضرير البصر ـ فضرب عضده من خلفه ، فقال : مسـن
أيّ أهل الكتاب أنت ؟ قال : يهودى • قال : فما الجأك الى ماأرى ؟ قــال : أسـال
الجزية ، والحاجة والسـن • قال : فأخذ عمر ـ رضى الله عنه ـ بيده فذهب بـــه
الى منزله فرضـخ (٢) له من المنزل بشى، ، ثم أرسل الى خازن بيت المال ، فقال :
أنظـر الى هذا وضرباء ه (٣)، فوالله ما أنصفناه اذ أكلنا شبيبته ثم نخذله عند الهرم،
(انما المحقات للفقراء والمساكين) فالفقراء هم المسلمون ، وهذا من المساكين من أهــل
الكتاب • ووضع عنه الجزية وعن ضربائــه " . (٤)

نصاب أرض العشــر والخراج :-

فقــــد رأى أبويوســـف أنه اذا ســـقيت أرض العشر

⁽۱) ابن سعد _ الطبقات الكبرى _ ج ٣ ق ١ / ٢٤٦ ، الرحبى _ ن ٠ م ٠ س _ ج ٢/ص ١١٥٠٠

⁽٢) الرضخ: أى أعطاه شيئا يسيرا من المال • والرضخ ـ بفتح وسكون ـ العطية ـ الرحبى ـ ن ٠ م ٠ س ـ ج ٢ / ص ١٢١ •

⁽٣) ضرباءه: أمثاله من أهل الذمة <u>•ن•م•س</u> • ج٢ / ص ١٢١ •

⁽٤) أبو يوسف ـن ٠ م ٠ س ـ ص / ٢٥٩ ، الرحبي ـن ٠ م ٠ س ـ ج ٢ / ص ١٢١ ٠

سيحا ^(۱) ففيها العشر ، أما اذا سقيت بالدولاب أو الدلو أو الساقية ففيهـــا نصف العشر •

قال أبو يوسف : " وأما القطائع فما كان منها سيحا فعلى العشـــر، (٤) (٥) وماسقى بالدلو أو الغرب والسانية فعلى نصف العشر " ٠(٥)

أخرج البخارى عن ابن عمر ، قال : قال رسول الله ـ ملى الله عليه وسلم :
" فيما حقت السما، والعيون أو كان عثريا (٦) العشر ، وفيما حقى بالنضيح نصف العشر " . (٦)

وكان يرى أن العشر على مايبقى ويكال بالقفيز ويوزن بالأرطال من السزروع كالحنطة والشعير وغيره دون مالا يبقى كالقثاء والبقول والرياحين • فان أخسرجت الأرض خمسة أوسق ففيه العشر ، وان أخرجت دون ذلك فليس فيه شى، ، وان أخرجت خمسة أوسق مختلطة ففيه العشر •

قال أبو يوسف : " والذى لا يبقى فى أيدى الناس ، فهو مثل البطيخ ، والقثاء والخيار والقرع ، والباذنجان ، والجزر ، والبقول ، والرياحين ، وأشباه ذلك • فليس فيى هذا : العشر •

وأما مايبقى فى أيدى الناس ـ مما يكال بالقفيز ، ويوزن بالأرطال ، فهـــو مثل الحنطة ، والشعير والأرز ، والذرة ، والحبوب ، والسمسم ، والشهدانج، واللوز

⁽۱) سيحا : تقدم تفسينيسيره ص /۲۹

۲) الغرب : الدلو العظيمة • ن • م • س ـ ج ١ / ص ٣٥٨ •

⁽٤) ن٠م٠س ـ / ص ١١٥ ، ن٠م٠س ـ ج ١ / صص ٢٥٧ ، ٣٥٨ ٠

 ⁽٥) عثریا : أى یمتص الماء من الأرض بعروقه ولا یحتاج الى سقى • ابن حجر العسقلانى ـ الدرایة
 فى تخریج أحادیث الهدایة ـ ج ۱/ص ٢٤٩ •

⁽٦) ابن حجر العسقلاني ـ ن ٠ م ٠ س ـ ج ١ / ص ٢٤٩ ٠

والبندق ، والجوز ، والفستق ، والزعفران ، والزيتون ، والقرطم ، والكسبرة ، والكراويا والكمون ، والبصل ، والتوم ، وما أشبه ذلك •

فاذا أخرجت الأرض من ذلك خمسة أوسق ، أو أكثر ، ففيه العشر ـ اذا كان في أرض تسقى سيحا ، أو تسقيها السماء ، واذا كان في أرض تسقى بغرب أو دالية أو سانية ٠٠ فنصف العشر ٠ واذا نقص عن خمسة أوسق لم يكن فيه شي٠ ٠

وان أخرجت الأرض نصف خمسة أوسق حنطة ، ونصف خمسة أوسق شعير ، كان فيه العشر ، وكذلك لو أخرجت قدر أربعة أوسق حنطة ، ووسق شعير اكان فيه العشر ، وكذلك لو أخرجت قدر وسق من حنطة ، وقدر وسق شعير ، وقدر وسق من الأرز ، وقدر وسق من تمر ، وقدر وسق من زبيب ، وتم ذلك خمسة أوسما كان في ذلك : العشمال العشمال المناه

وكذلك أرض الخراج فيها الخراج اذا أخرجت خمسة أوسق ، وان لم تخرج خمسة أوسق فليس فيها شيء ٠

وذكر أبو يوسف أنه في رأى أبور حنيفة لابد من أخذ نصاب العشر رأى أبور حنيفة لابد من أخذ نصاب العشر أو الخراج مادامت الأرض تزرع سواء أخرجت قليلا أم كثير

قال أبو يوسف : " وكان أبو حنيفة ـ رحمه الله ـ يقول : اذا كان الزعذران في أرض أبض العشر ففيه العشر ، وان لم تخرج الأرض منه الا رطلا ، واذا كان في أرض الخراج ففيه الخراج • " (٣)

⁽۲) ن٠م٠س ـ ص / ۱۱٦ ، ن٠م٠س ـ ج ۱ / ص ٢٦٤٠

⁽٤) ن٠م س ـ ص / ١١٦ ، ن٠م ٠ س ـ ج ١ / ص ص ٢٦٤ ، ٣٦٥

أما رأى الفقها، ومنهم أبو يوسف لا صدقة عندهم حتى يبلغ النصاب خمسة أوسق (1) كما قدمنـــا ٠

قال أبويوسف : " وقال غيره ٠٠ حتى يبلغ أدنى ما يخرج من الأرض خمسة أوسق ، ولا صدقة فيما لم يبلغ خمسة أوسق " ٠(٢)

ثم استشهد أبو يوسف بحديث جابر بن عبد الله عن رسول الله ـ صلــــى الله عليه وسلم ـ أنه قال : " ليس فيما دون خمسة أوسق صدقة " (٣)

قال الفقيه أبو يوسف : هذا القول نسير عليه • فالوسق ستون صاعا بصاع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ والخمسة أوسق : ثلاثمائة صاع ، والصاع خمسة أرطال وثلث • (٤) فان أخرجت الأرض ثلاثمائة صاع وأكل منها صاحب الأرض وأطعم أصدقا ع ففيما بقى العشر اذا كان يسقى بغرب أو سانية أو دالية ، ولم يكن عليه شئ فيما أطعم • (٥)

واستدل أبو يوسف بالحديث عن أنس بن مالك عن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه قال : " فيما سقت السماء أو سقى سيحا العشر ، وفيما سقى بالغـــرب والسانى والنضوح نصف العشر " (٦) كذلك لو سرق بعضه ، ففيما بقـــــى

⁽۱) الوسق: ستون صاعا بصاع النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ والصاع خمسة أرطال ونصف ـ المصباح ـ ص / ١٠٢٣ ٠

۲۱) . أبو يوسف • ن • م • س - ص/۱۱۲، الرحبي • ن • م • س - ج ۱/ص ۳٦٦ •

⁽٣) رواه يحى بن آدم فى الخراج موقوفا على جابر ـ ص / ١٣٧ • وأخرج البخارى نحوه عن ابن عمر قال صلى الله عليه وسلم: انظر الدراية ـ ج ١ / ٢٤٩ •

⁽٤<u>) ن٠م٠س</u>-ص/ ۱۱۸ ، الرحبي <u>٠ن٠م٠س</u>- ج ۱ / صص ۲۲۱، ۲۲۲۰

⁽o) ن ٠ م ٠ س ـ ص / ۱۱۸ ، ن ٠ م ٠ س ـ ج ۱ / ص ص ۳۲۳ ، ۳۲۳ ٠

⁽٦) يحى بن آدم _ الخراج _ ص/١١٣ (٧) أبو يوسف _ ن٠م٠س _ ص/١١٩، ن٠م٠س - ج١/ص ٣٧٣٠

ثم قال لأمير المومنين : وعليك أن تأخذ بأى الرأيين أحببت بما فيه الخير والوفر لبيت المال والصلاح للرعية ·

قال أبو يوسف : " فهذا جميع ماجا، فيما أخرجت الأرض ٠٠٠ فخذ - فصد ذلك - بما رأيت أنه أصلح للرعية ، وأوفر على بيت المال ، وبأى القولي المرادية أحببت " (1).

ويظهر أن أبا يوسف قد قاس الخراج على العشر ، في أنه لا يوخيد مادون خمسة أوسيق ، ولم يقل بهذا الرأى أبو حنيفة ومحمد بل أوجب الخيراج فيما يخرج من الأرض قيل أم كثير ، وهذا الاجتهاد من أبي يوسف يدل على سعية معرفته بنظام المال العيام ، حيث وسع قاعدة النصاب الذي ينبغي أن يتيرك للهمول لتستقيم به معيشته ، فبعد أن كان المعروف أنه موجود في الزكياة كما هو الظاهر من النصوص نقيله الى الخيراج باجتهاده ،

$^{(7)}$ البئر والعين في المفاوز $^{(7)}$ ومقداره $^{(7)}$

وتتابعت أسئلة أمير المؤمنين لقاضيه أبى يوسف فى معرفة رأيه وحكم الشرع فى كل أمر من شئون الرّى ومايعرض له • فسأله عن حريم البئر والقنى والعيـــون المعّـدة لسقى الأرض التى يراد حرثها وزرعها فى المفاوز •

⁽۱) أبويوسف ٠ ن ٠ م ٠ س ـ ص / ١١٩ ، الرحبي ٠ ن ٠ م ٠ س ـ ج ١ / صص ٣٧٣، ٣٧٣ ٠

⁽۲) حريم: وهو ترك مسافة معينة من الجوانب الأربعة ، كل حسب نوعه ۰۰ البئر الناضح: ستون ذراعا ، والماشية : ستون ذراعا ، والعين لها خمسمائة ذراع ، والمقصود دفع الضرر حتى لا يحفر آخر بئرا بجانبها ، في م م س حب ال ص ١٦٦٧

⁽٣) مفاوز: جمع مفازة، وهى الصحراء القفر لا ماء فيها ولا ساكن وسميت بذلك لأنها مهلكة من فوز بالتشديد أى هلك ـ ابن منظور ـ لسان العرب ـ جد / صص ٣٤٨٥، ٣٤٨٥، الفيومى المصباح المنير ـ ص / ٣٨٦٠

ويرى أبو يوسف أن الحريم هو ماحول منبع الماء كالبئر والعين أوما على جانبيه كالنهر: فاذا حفر شخص بئرا بأرض موات فحريم البئر اذا كان يستخرج منها الماء باليد أربعون ذراعا من كل جانب ، واذا كان يستخرج منها الماء بالدواب فحريمها ستون ذراعا من كل جانب لأنها تحتاج الى زيادة عن الأولى الى مكان للحيوان الله يستخرج الماء ، وتسمى الأولى بئر العطن (۱) والثانية بئر الناص (۲) واذا كانست عينا نابعة فحريمها خمسمائة ذراع لأنها تحتاج الى مكان لتجميع الماء ومكسان لسقى الحيوان وقنوات لسقى الزرع ٠

قال أبو يوسف: " وسألت عن حريم ما احتفر من الآبار والقنصي والعيون، للحرث والماشية والشفة في المفاوز • فاذا احتفر الرجل بئرا فلل المفازة في غير حق مسلم ولا معاهد، كان له مما حولها أربعون ذراعا اذا كانت للماشية، فان كانت للناضح فلها من الحريم ستون ذراعا • وان كانت عين فلها من الحريم خمسمائة ذراع "

وتفسير بئر الناضح : أنها التي يسقى منها الزرع بالابسل · وبئسر العطن : هي بئر الماشية التي يسقى منها الزرع · وكل بئر يسقى منها الزرع بالابسل ، فهسى بئر الناضح " · (٣)

وقد استدل أبو يوسف بأحاديث رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فـــى حريـم البئر والعين ٠ واستشهد بحديث الزهرى عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ

⁽١) العطن: مبرك الابل والغنيم عند الماء لسقيها _المعجم الوسيط - ج ٢ / ص ٢٠٩٠

⁽۲) البئر الناضح: التى يسقى منها الزرع بالإبل - المعجم الوسيط - ج ۲ / ص ۹۲۸ ، الرحبى - ن ۰ م ۰ س - ج ۱ / ص ۱۲۸۰

 ⁽۳) أبو يوسف • ن • م • س - صص/٢١٣، ٢١٤ ، ن • م • س - ج ١ / ص ٢١٦ ـ ٨٦٢ •

:" حريم العين خمسمائـــة ذراع ، وحريــم بئر الناضح ستون ذراعـا ، وحريــم بئر الناضح ستون ذراعـا ، وحريــم بئـر العطــن أربعون ذراعـا ٠ " (١)

حــــريم القنــاة :-

قــال أبو يوسف : اذا جرى ماوهـا ولم يرتفع عن وجه الأرض فحريمهـــا كحريم البئر أربعون ذراعـا من كل جانب " • ويأتى له قول ثــان : أن حريمهـــا من الأرض مايملحهـا من غير تقدير » فاذا ارتفع الماء على وجه الأرض فحريمهـــا كحريم النهـر (۲) ، وهو المشهور من مذهب أبى يوسف •

قال أبو يوسف: " أقول انى أجعل للقناة من الحريم مالايسلح (٣) علي الأرض مثل ما أجعل للآبيل وليس لأحسد (٤) أن يدخل فى حريسم بئر هذا الحافير ، ولا فى حريم عينه ، ولا فى حريم قناته ، ولا يحفر فيه بئلوان احتفر من له ذلك ، وكان لصاحب البئر والعين أن يمنعه من ذلك ويأخذ بطم ما احتفر لأن له منعه من حريم بئره وعينه " .

ثـم قال : " ••••• وانظر _ فىذلك _ الى مالايضر به ، فأجعل منتهى الحريــــماليــه (٥) ، فاذا ظهر الماء ، وساح على وجه الأرض جعلت حريمـــــه

⁽۱) حدیث حریم العین خمسمائة ذراع وحریم بئر العطن أربعون ذراعا وحریم بئر النافح سنون ذراعا و العین خمسمائة ذراع و العید بن المسیب : و حریم قلیب الزرع ثلاثمائة ذراع و زاد الزهری : و حریم العین خمسمائة ذراع من کل ناحیة ، و روایة : أربعون ذراعا فی بئر العطن أخرجه أحمد بن ماجة _ الدرایة _ ج ۲/ ص ۲٤٥ •

⁽٢) حزيم النهر: بقدر نصف عرضه من كل جانب _ دامادا أفندى _ مجمع الأنهر _ ج ٢/ ص ٥٦٠٠

⁽٣) مالايسح: أي مادام لم يسل ماوه ٠

⁽٤) وليس لأحد: أى واذا ثبت له الحريم فليس لأحد ٠٠٠ الخ٠

⁽٥) قدر حريم القناة بأربعين ذراعا ثم قدر ثانيا بما لايضر به أى الحريم ، فهو قول ثان لأبى يوسف الرحبى ـن ٠ م ٠ - ج 1 / ٦٧٢ ٠

كحـــريم النهـــر " . (١)

حكمه حفر البئه المجاورة:-

اذا احتفر الجار بئرا قريبة من بئر جاره خارجة عن حريمه ، فتسبب عن ذلك أن نضب بئر الماء الأولى فلا شيء عليه ، لأنه تصرف في ملكه التصلوف المعتاد ، وقاسوه على من بني ربجوار متجر جاره فكسدت تجارته : فانه لا شيء على البانى .

قال أبو يوسف : " ولو أن الثانى حفر بئرا فى غير حريم الأول ، وهى قريبة منه ، فذهب ما ، بئر الأول ، وعرف أن ذهابه من حفر هذه البئر الثانية ، لم يجبب على الآخر شئ ، لأنه لم يحدث فى حريم الأول شيئا .

ألا ترى : أنى أجعل للآخر حريما مثل حريم الأول وحقا مثل حصق الأول ؟ وكذلك العين - أيضًا - مثل بئر العطن والناضح " .(٢)

الاحيــــا ؛ والاحتجــــار وحكمهمـــــا :-

احيا، الأرض يتم بالبنا، فيها أو الزراعة أو الغرس أو استخراج الما، وتملك بالاحيا، والتحجير أن يضع عليها علامات كسياج من سلك أو حجر ، والأرض لا تملك بالتحجير ، وهو أولى بهامن غيره ، وذلك في مدة ثلاث سنين ، فان مضت سقـــــط حقـه ولغيره احياءها ،

⁽۱) أبو يوسف ـن ٠ م ٠ س ـ صص/ ۲۱۶، ۲۱۰ ، الرحبي ـن ٠ م ٠ س ـ ج ۱ / صص ۱۲۱، ۱۲۲ .

⁽۲) أبو يوســـف ـ ن ٠ م ٠ س ـ ص / ۲۱٥ ، ن ٠ م ٠ س ـ ج ١ /ص ي ٢٢٢، ٢٧٢ ٠

واستدل أبو يوسف بأشر رواه عن سعيد بن المسيب عن عمر بن الخطاب، قال " من أحيا أرضا ميتة فهـىله ، وليس لمحتجـــر حق بعد ثلاث سنين " ،(١)

وقد روی حمید بن زنجویة بسنده الی عمر : " ۰۰۰ من کانت له أرض فعطلها ثلاث سنین لا یعمرها ، فعمرها غیره فهو أحق بها " . (۲)

قال أبويوسف: " فاخذ بحديث عمر : من يحتجر حقا بعد ثلاث سنيسسن ولم يعمل فلا حق له • والمحتجر : أن يجى، الرجل الى أرض موات فيحظر عليها حظيرة ، ولا يعمرها ، ولا يحييها : فهو أحق بها الى ثلاث سنين ، فان لم يحيها بعد ثلاث فهو والناس فى ذلك شرع واحسد ، ولا يكون له حق بعد ثلاث سنين . "(٤) بيان أحكام الكللً (٥) والمروج (٦) والآجام (٧):-

اذا كان لأهل قرية مرج أو أجمـــة مخصصة لهم ، ملكوها ملكا جماعيـا

⁽۱) قال ابن حجر فى الدراية عنه أنه حديث واه ـ ابن حجر العسقلانى ـ الدارية فى تخريـــج أحاديث الهداية ـ ج ٢ / ص ٢٤٤ ٠

⁽۲) ن٠م٠س - جـ ۲ / ص ۲٤٥٠

⁽٣) يحظر عليها حظيرة : أى يجعل حولها علامات من نحو أحجار ليستدل بها من يراها أنها في يد أحد ٠ الرحبي - ن ٠ م ٠ س - ج ١ / ص ١٧٥ ٠

⁽٤) أبو يوسف ـ ن ٠ م ٠ س ـ صص/٢١٥، ٢١٦ ، الرحبي ـ ن ٠ م ٠ س ـ ج ١ / صص ١٧٥، ٢٧٢٠

⁽o) الكلاّ: مالاساق له من النبات، وهو العشب الذي ترعاه الماشية رطبا أو يابسا - ابسسن منظور - لسان العرب - جـ ٦ /ص ٤١٦٨ ٠

⁽٦) المروج : جمع مرج ، وهــــى الأرض الواسعــــة ذات الكــــللالكثير تمرح فيها الدواب : أى تسرح ، ابن منظور ـن ٠ م ٠ س ـ ج ٦/ص ٤١٦٨ ٠

⁽۷) الآجـــام : مفردها أجمــة ، ومعناهــــا الشجر الكثير الملتف المرادبها هنا منبت القصـــب ـ المصباح ، ص / ۱۲ · المغرب ـ ص / ۲۲ ·

كالملك الشائع بين جماعة ، وتكون مختصة بهـم يرعون مواشيهم فى مروجها ويحتطبون من آجامهـا وليس لغير هم حق معهم الافى مائها وكلاها ، فلهم فى مائهـا حق الشفة وفى كلاها رعى دوابها مالميضر الرعى بأهل القرية • لأن الما والكـــللا باقيان على الاباحة ولو فى أرض مملوكــة ، لكن ليس لهم أن يأخذوا من شجرهـا الا برضــا أهل القريــة •

وليس لهم كذلك أن يسوقوا الماء الى مزارعهم ، ولا أن يقيموا مواشيهـــم في هذه الأرض ، ولا أن ينشئوا بناء ولا حفــــرا ٠

والمراد بالكلا هنا مانبت بنفسه ، أما مااستنبته انسسان فانه ملك لسه فليس لأحد حق رعيه • أما اذا وجد بجوار القرية مرج أو محتطب ليس له مالك فليس لأهل القرية أن يمنعوا الناس منهما •

قال أبو يوسف: " ولو أن أهل قرية لهم مروج يرعون فيها ويحتطبون منها ، قد عرف أنها لهم فهى لهم على حالها يتبايعونها ويتوارثونهوسك ويحدثون فيها مايحدث الرجل فى ملكسه ، وليس لهم أن يمنعوا الكول ولا المساء ، ولأصحاب المواشى ، أن يرعوا فى تلك المروج ، ويسقوا من تلك المياه ، ولا يجسوز لأحسد أن يسوق ذلك الماء الى مزرعة له الا برضاء من أهله وليس شرب المواشى والشفة كسقى الحرث ، لما قد ذكرته لك ، "(1)

ثم قال : " ولو أن صاحب بقر رعى بقره فى أجمة غيره ، لم يكن له ذلك، وضمن مارعى وأفسد " . (٢)

أما الأجمة : وتسمى بالمحتطب اذا كانت ملكا لأهل قرية أو فرد ، فليس لأحد أنيأخذ من حطبها وخشبها الابرضاء مالكها ٠

⁽۱) أبويوسف ـ ن ٠ م ٠ س ـ ص / ٢١٩ ، الرحبي ـ ن ٠ م ٠ س ـ ج ١ / صص ١٨٦ ـ ١٨٢ ٠

⁽۲) ن٠م٠س ـ ص / ۲۲۰ ، ن٠م٠س ـ ج ۱ / ص ١٨٥٠

قال أبويوسف: "ليس لأحد أن يحتطب من أجمة أحد الا باذنه " (1) ولأصحاب الأجمة الحق في أن يبيعوا حطبها وشجرها ، وأن يوجروها لقطحي خشبها أو قصبها مدة محدودة كسنة ، كما فعل على ـ رضى الله عنه ـ فلل الأثير الآتى في النص ، وفعله حجّه لأنها سنة الخلفاء الراشدين ، قلم بعدى عضوا عليه وسلم ـ : " عليكهم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين من بعدى عضوا عليها بالنواحة " (٢)

أما ان لم تكن الأجمة ملكا لأحد فهى مباحة كالكلا والما، • من سبق الى أخذ شى، منها ملكه •

قال أبو يوسف : " ألا ترى أنى أبيع قصب الأجمة ، وأدفعها معاملة في قصبها ؟ هذا على بن أبى طالب _ رضى الله عنه _ عامل أهل أجمة بسرس (٤) على أربعة آلاف درهم ، وكتب لهم كتابا فى قطعة أديم (٥) ، والكللا يباع ولا يدفع معاملة " • (٦)

⁽۱) الرحبى : <u>ن ٠ م ٠ س - ج</u> ١/ ص ٦٨٣ ٠

⁽٢) ن٠م٠س ـ ج ١ / ص٦٨٦٠

⁽٣) أدفعها معاملة: أى يحكم بجواز بيع قصبها ، وبجواز دفعها مقاطعة بمال معلوم على قصبها ، ويقول أبو يوسف: ولو لم يمّلك ما أجيز بيعه _ ن ٠ م ٠ س _ ج ١ / ٨٥٥

⁽٤) برس: بكسر الباء وسكون الراء _ قرية بالعراق بين الحلّـة والكوفة _ن ٠ م س _ ج ١ / ص ٢٨٦ ٠

⁽o) الأديم : أي جلد مدبوغ ·ن · م · س - ج ١ / ص ١٨٦ ·

⁽٦) ن ٠ م ٠ س - ص / ٢٢٠ ، ن ٠ م ٠ س - ج ١ / صص ١٨٥ ، ١٨٦ ٠

"" المبحــث الثــاني "" ------

مقترحاته الخاصة بمعدلات الجباية الماليـــــة

وأجوبة بالنص الشرعى عن أسئلة مالية وجهها الرشيد اليه •

لقد كانت الاتحرافات التى أسلفنا الحديث عنها فى الفصل الشانى موضع نظر أبور يوسف القاضى، كما هو مقتضى الرسالة التى استكتبها ايساه الخليفة هارون الرشيد، ولذلك فانه عالجها بما ينبغى من أحكام الشريعة، وبما يحرى أنه يتفق وهذه الأحكام ومصالح الناس، وأضاف اليها اقتراحات أخسرى. وهيى التى أشرنا الى أنه قد ابتدأها بنصح أمير المومنين، وهناك أسئلسة وجهها أمير المومنين هارون الرشيد، وأجاب عنها القاضى أبو يوسف٠٠٠

القبـــالة :- ^(١) -----

يرى أبو يوسف أن القبالة ينبغى ألا يأتى بها الولاة ، لأنها ذريعــــة لظلم الناس وتعذيبهم وتكليفهم بما لايستطيعون ، وعلى الوالى أن يبعث جباة من قبله مأجورين محاسبين لجباية الخراج من غير أن يعاقدهم على أموال معينة ، فمـــا استطاعوا أن يجمعوه جمعوه من غير تعذيب ولا اساخ بالغة ، وهو حق بيت المال ولا يكلفون بزيـادة عليه ٠

وقد شدّد في المنع من القبالة التي تحمل المتقبل على أن يأخذ من أهـــل الخراج ماليس بواجب عليهم ، فان امتنعوا عاقبهـم بألوان العذاب ، لأن هـــــذا

⁽۱) سبق تعريفها والكلام عنها عند الحديث عن الانحرافات في أساليب العمل في المبحث الثاني من الفصل الثاني من هذا البحث ٠ ص / ١٤٣٠

يحمل على تخريب للأرض التى عمرها أهل الخراج بأن يتركوا زرعها ، لأنه ظلم بسبب لا يرضاه الله • فان الله تعالى لا يرضى عمن يأخذ ماليس بحق ، ولا عمن يحسبس الحق عن أهلم ولاعمن يظلم البرى حتى يفتدى نفسه بمال يدفعه اليهم •

قال أبويوسف: "ورأيت أن لا تقبيل شيئا من السواد ولا غير السيواد من البلدان " (1) ثمقال: "انما أمر الله أن يوخذ منهم العفو ، وليس يحل أن يكلفوا فوق طاقتهم شمقال: " وانما أكره القبالة لأنى لا آمن أن يحمل هذا المتقبل على أهبل الخراج ماليس واجباعليهم فيعاملهم بماوصفت لك (أى بالعسف والظلم)فيضرذلك بهم فيخربوا ماعضوه ويدعوه ، فينكسر الخراج • وليس يبقى على الفساد شيء ، ولن يقبل مع الصلاح شيء ، ان الله ـ تبارك وتعالى ـ قد نهي عن الفساد فقال: " ولاتفسدوا في الأرض بعد اصلاحها " • (1) وقيال: " واذا تولى سعى في الأرض ليفسيد في الأرض ليفسيدا ويهلك الحرث والنسل، والله لا يحب الغياد " . (1)

وانما هلك من هلك ممن قبلنا بحبسهم الحق حتى يشترى منهم ، واظهارهم الظلم حتى يفتدى منهم • والحمل على أهل الخراج ماليس بواجب عليهم من الظلم الظاهر الذى لا يحل ولا يسع • "(٤)

وقد اقترح أبو يوسف على أمير المو منين الرشيد منع القبالة لما فيهـا من فساد الا في أمور معينة ٠

وقال : انما السبيل أن تجبى الخراج والجزية بعمالك ، فان جاء أهل ناحية

⁽۱) أبويوسف _ ن ٠ م ٠ س _ ص / ٢٢٥ ، الرحبي _ن ٠ م ٠ س _ ج ٢/ ص٣٠

⁽٢) سورة الأعراف، من آيـة (٥٦ ـ ٥٨) .

⁽٣) سورة البقرة ، آية (٢٠٥) ٠

⁽٤) أبو يوسف _ <u>ن٠م٠س</u>ـص / ٢٢٥ ، الرحبي <u>-ن٠م٠س</u>ـج ٢ / صص ٥، ٢ . لا يسع : أي لا يجوز أن يقع ٠

ومعهم رجل رضوا به ليجبى الخراج منهم فلا بأس أن توافق على هذه القبالة بشرط أن تبعث معه أميرا موثوقا في أمانته، وأن يكون رزقه من بيت المال ، يشمروف عليه ويمنعه من ظلم الناس ٠

والرأى لأمير المومنين ، فانه أسد رأيا وأحسن نظرا فى أمر القبالة ، ما رأى أنه أصلح لأهل الخراج وأوفر على بيت المال عمل به ، بعد المبالغة فيلى تحذير الوالى والمتقبل .

قال أبو يوسف: " واذا جاء أهل طوّج (١) أو من مصر من الأمصـــار ومعهم رجل من أهل البلد معروف وموسر ، فقال : أنا أاتضمن عن أهل هذا الطسوج أو أهلهذا البلد خراجهم ، ورضوا هم بذلك وقالوا : هذا أخف علينا ـ نظر فى ذلك ـ فان كان صلاحا لأهل البلد أو الطسوج قبّل وضمّن ذلك وأشهـــد عليه ، وصيّر معه أمين من قبل الامام يوثق بدينه وأمانته ، ويجرى عليه رزق من بيت المال ، فان أراد ظلم أحد من أهل الخراج والزيادة عليه ، أو تحميله شيئا لا يجب عليه ، منعه الأمين من ذلك أشد المنع " . (٢)

ومع ذلك فقد استثنى أبو يوسف الحالات التى يطالب أهل أرض الخراج فيها بأن يكون لهم ضامن ، لتيسير دفع ماعليهم من حقوق بيت المال ، وربما للتخليص من ظلم الجباة وأعوانهم الذين كانوا يشكلون عبئا كبيرا على أهل القرى وخاصية في " الاحتفان " و " النزلة " و " حمولة طعام السلطان " و " أجور البيوت " ،

⁽١) طوَّج : هو الناحية من نواحى المقاطعة كالقرية ـ المغرب ـ ص / ٢٩٠٠

⁽۲) أبو يوســــف ـ ن ٠ م ٠٠٠ ـ ص / ۲۲۱ ، الرحبــــى ـ ن ٠ م س ـ ح۲ / ۲۲۱ ، الرحبــــى ـ ن ٠ م س ـ ح۲ / ص ٦ ـ ٨ ٠

وغيرها • مما تفننوا في استنباطه من الحيل التي يسلبون بها من أهل الخراج أموالهم •

ولكن قاضى القضاة أبو يوسف اشترط مع تلك الاستثناءات أن يكون فى تلك المواضع عيونا للخليفة وأرصادا ، لابلاغ الخليفة بكل ظلم يحصل • وأن تكورو العقوبات المقررة على من يخالف ذلك رادعة ونافذة ضمانا لمنع المتقبّل من الانحراف وزجرا له عن الجشع والجور والظلم •

قال أبويوسف: " وأمير المومنين أعلى عينا بما رأى من ذلك ، ما رأى أنه أصلح لأهل الخراج وأوضر على بيت المال، عمل به من القبالة والولايسة بعد الاعتذار والتقدم الى المتقبل والوالى برفع الظلم عن الرعية ، والوعيد له ان حملهم مالاطاقة لهم به ، وماليس بواجب عليهم ، فان فعمل فف للما وعدته ليكون ذلك زاجرا ، وناهيا لغيره ـ ان شاء الله تعالى • " (1)

ضريبـــــة العشــور :------

سأل أمير المومنين القاضى أبل يوسف عن العشور ؟ ـ فأجابه : العشــور هى الأموال التى توخــذ من التجار الذين يمرون بتجاراتهم على من نصب لجبايتهــا سواء أكان التجار مسلمين أم ذميين أم حربيين (٢) مستأمنين ، فالذى يوخذ مـــن المسلم هو زكاة ماله ، والذى يوخذ من الذمى والحربى المستأمن أجر حمايته ٠

⁽۱) ن٠م٠سـص/ ۲۲٦ ،ن٠م٠سـ ج ۲/ صص ۸،۹٠

⁽٢) تقـــدم تعریفه ۰ انظر ص / ۹۶ ۰

وقد أشار أبو يوسف الى أن أول من وضع العشور عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ ٠

واستدل أبو يوسف بالأثـر الذى رواه بسنده عن أبى موسى الأشعرى الى عمر ابن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ قال : " ان تجارا من قبلنا من المسلمين يأتون أرض الحرب فيأخذون منهم العشر ؟ • قال : فكتب اليه عمر : " فخذ أنت كمــــا يأخذون من تجار المسلمين ، وخذ من أهل الذمة ، نصف العشر ، ومن المسلميـن من كل أربعين درهما درهما • وليس فيما دون المائتين شى • فاذا كـــان مائتان ففيهـا خمسة دراهم ، فما زاد بحسابه " • (٢)

وبالأثـر الذى رواه بسنده عن عمرو بن شعیب أن أهل منبج قد كتبوا الـى عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ وهم أهل حرب : " دعنا ندخل أرضك تجارا وتعشرنا " • قال : "فشاور عمر أصحاب رسول الله ـ صلى الله علیه وسلم ـ فى ذلــــك فأشاروا علیه به ، فكان أول من عشر من أهل الحـرب • " (٣)

را) ن ٠ م س <u>ص</u> / ۲۷۶ ، ن ٠ م ٠ س <u>-</u> ج ۲ / صص ۱۷۱ ، ۱۷۲ ٠

⁽۲) يعنى يوخذ من المسلم زكاة ماله وهي ربع العشر بشرط أن يبلغ مقداره نصابا • يحى بسن آدم ـ الخراج ـ روى بسنده الى عاصم الأحول ـ ص / ۱۷۳ •

 ⁽٣) أبو يوسف ن ٠ م ٠ س ـ ص / ٢٧٦ ، الرحبي ـ ن ٠ م ٠ س ـ ج ٢ / صص ١٧٦، ١٧٧٠ .

⁽٤) أبو عبيد _ كتاب الأموال _ ص / ٦٤٢ ٠

وقد تطرق أبو يوسف الى الصفات التى ينبغى أن تتوفر فيمن يتولى منصب العاشبر⁽¹⁾ ، فذكر أنه لابد فى العاشر أن يكون مسلما قادرا على حماية التجارة بالجند الذين يكونون معه عادة ، على ألا يظلم العاشر مسلما أو معاهدا فيأخصف منهم أكثر مما قدر لهم ، فان ظلم عوقب وأدب أو عزل حتى يكف عن ظلمصف ويكون عبرة لغيره ، وان أحسن كوفئ على احسانه ٠

قال أبويوسف: " وأما العشور فرأيت أن توليها قوما من أهل المسلاح والدين وتأمرهم ألا يتعدوا على الناس فيما يعاملونهم به ، ولا يظلموهم ، ولا يأخذوا أكثر مما يجب عليهم ، وأن يمتثلوا مارسمناه لهم ، ثم يتفقد بعد أمره ومايعاملون به فيما يمر بهم ، وهل يجاوزون ما قد أمروا به ؟ ، فان كانوا قد فعلوا عزلت وعاقبت وأخذتهم بما يصح عندك عليهم لمظلوم أو مأخوذ منه أكثر ممسايجب عليهم ، وان كانوا قد انتهوا الى ما أمروا ، وتجنبوا ظلم المسلم والمعاهد (٢) أثبتهم على ذلك ، وأحسنت اليهم ، فانك متى أثبت على حسن السيرة والأمسانة وعاقبت على الظلم والتعدى لما تأمر به فى الرعية ، يزيد المحسن فى احسان ونصيحته ، ويودب الظلم والتعدى على معاودة الظلم والتعدى ٠ " (٣) ٠

مقدار ما يأخذ العاشر من التجار:-

ومقدار المأخوذ من المسلم زكاة مال تجارته الذي معه : وهو ربع العشر

⁽۱) تقدم تعریفـــه ۱۰ انظر ص / ۹۶ ۰

 $[\]cdot$ 17۲ ص \cdot ۲ ص \cdot المعاهد : هو الذمى أو المستأمن \cdot الرحبى \cdot ن \cdot م \cdot س \cdot \cdot ص

⁽٣) أبو يوسف · ن · م · س ـ ص / ٢٧١ ، الرحبي ـ ن · م · س ـ ج ٢ / ١٦١ ـ ١٦٣ ·

ومقدار ما يو خد من الحربي المستأمن عشر ما معه ، ومن الذمي نصف العشر بشرط أن يبلغ المال الذي معهما نصابا فأكثر ومقداره مائتا درهم من الفضيدة أو عشرون مثقالا من الذهب • أما مادون النصاب فيعفون منه لقضاء حاجاتهم •

قال أبو يوسف: " وأمرتهم أن يضيفوا الأموال بعضها الى بعض بالقيمة ثم يوخذ من المسلمين ربع العشر، ومن أهل الذمة نصف العشر، ومن أهل الحرب العشر، من كل ما مر به على العاشر للتجارة، فبلغ قيمة ذلك مائتى درهم فصاعدا أخذ منهما العشر، وان كان قيمة ذلك أقل من مائتين لم يوخذ منهما شهد وكذلك اذا بلغت القيمة عشرين مثقالا أخذ منها العشر، وان كانت قيمة ذلك أقل لم يوخذ منها شي، " .(1)

واذا عرف ما يأخذه الحربيون من المسلمين أخذ مثله واستدل أبو يوسف بالأثـر أن أبا موسى الأشعرى قد كتب الى عمر بن الخطاب : " ان تجـارا مـن قبلنا من المسلمين يأتون أرض الحرب فيأخذون منهم العشر " • قال : فكتب اليـه عمر : " فخذ أنت منهم كما يأخذون من تجار المسلمين ، ••• " • (٢) ولكـن ان أخذ أهل الحرب الكل لا نأخذه بل نبقى لهم شيئا ، لأن ديننا دين الرعاية • (٣)

واذا كانت التجارة من غير الذهب والفضة قومت بأحدهما ، واذا كان المال الذي معهم ليس للتجارة لا يوخد منهم شيء ٠

قال أبو يوسف: " وأمرتهم أن يضيفوا الأموال بعضها الى بعض بالقيمة "(٤)

⁽۱) ن٠م٠س ـ ص/ ۲۲۱، ن٠م٠س ـ ج ۲ / ص ص ۱٦٣، ١٦٤٠

⁽۲) رواه یحی بن آدم _ فی کتاب الخراج ، باسناده الی عاصم الأحول _ ص / ۱۷۳، أبو یوسف ن ۰ م ۰ س _ صص/ ۲۷۵ ، ۲۷۲ ۰

⁽٣) دامادا أفندى _ مجمع الأنهبر _ ج ١ / ص ٢٠٩٠٠

⁽٤) أبويوسف ٠ ن ٠ م ٠ س ـ ص / ٢٧١ ، الرحبي ـ ن ٠ م ٠ س ـ ج ٢ / ص ١٦٣ ٠

ثم قال : " ومالكم يكن من مال التجارة ومروا به على العاشر ، فليمسس يوخند منه شي، "(١)

واذا تكرر مرور المسلم والذمى والحربى بالمال على العاشر قبل حــولان الحول لا يوخذ منهم شيئا •

قال أبويوسف: " ١٠٠ واذا صر عليه بمائتي درهـم مضروبة أو عشريـن مثقالا تبرا (٢) ، أو مائتي درهم تبرا أو عشرين مثقالا مضروبة (٣) ، أخذ من ذلـــك ربع العشـر من المسلم، ونصف العشر من الذمى، والعشر من الحربي، تسم لا يوخـذ منهم شيء الى مثل ذلك من الحول ، وان مر بها غير مرة ، "(٤) لا يوخـذ منهم شيء الى مثل ذلك من الحول ، وان مر بها غير مرة ، "(٤) أما اذا دخـل الحربي من الحربي من عاد بمال جديد را فيوخـذ منه كلما خرج من دار الحرب لأنه بدخوله دار الحرب سقطت عنه أحكام الأمــان وبخروجــه تجددت أحكام أخـرى .

قال أبويوسيف: " • • • فأما الحربى خاصة فاذا أخذ منه العشر فعاد فدخيل دار الحرب شمخرج بعد شهر منذ أخيذ منه العشر ، فمر به على العاشير فانه يوخيذ اذا كان ما معه يساوى مائتى درهمأو عشرين مثقالا ، من قبل أنه حييت عاد الى دار الحرب فقد سقطت عنه أحكام المسلمين • وان كان مامعه أقبل ميين مثقالا لم يوخيذ منه شيء ، انما السينة في مائتى درهم أو أقبل من عشرين مثقالا لم يوخيذ منه شيء ، انما السينة في مائتى درهم أو عشرين مثقالا • " (٥)

⁽١) أبو يوسف ن ٠ م ٠ س ـ ص / ٢٧٣ ، الرحبي ٠ ن ٠ م ٠ س ـ ج ٢ / ص ١٦٧ ٠

⁽٢) التبر: هو الذهب الذي بقى على حاله غير مضروب • المصباح المنير- ص/١١٤٠

⁽٣) مضروبة : أى التي تحولت الى شقال أهر درهم · الرحبي · ن · م · س ـ ج ٢ / ص ١٦٤٠

⁽٤) أبويوسف ٠ن٠م٠س ـ ص / ٢٧٢ ، ن٠م٠س٠ ج ٢ / ص ن ١٦٤ ، ١٦٥٠

⁽o) ن٠م٠س_، ن٠م٠س_ ج ٢/ ص ص ١٦٥، ١٦١ ·

واذا كان ما مع الذمى والحربى ليس بمال عند المسلمين كالخمر والخنزيـــر فان ذلك يقّــوم عليهما بمعرفة أهل الذمة ٠

قال أبو يوسف: " واذا مر أهل الذمة على العاشر بخمر أو خنازيـــر • قوم الخصر على أهل الذمة ثم يوخنذ منهم نصف العشــر • وكذلك أهل الحرب اذا صروا بالخنازير والخمر ، فان ذلك يقوّم عليهم ، شــم يوخـــنذ منهم العشر • " (1)

⁽۱) أبويوسف · ن · م · س _ ص / ۲۲۳ ، الرحبي · ن · م · س _ ج ۲ / ص ۱٦٢ ·

المحقة الواجبة على نصارى بنى تغلب :-(١)

سأل أمير المومنين هارون الرشيد القاضى أبو يوسف لم ضوعفت الصدقية في أموال نصارى بنى تغلب وأسقطت الجزية عن رووسهم ؟ ٠٠

قال أبو يوسف: "حدثنى بعض المشايخ أن عمر بن الخطاب عاهد نصارى بنى تغلب أن يسقط الجزية عن رووسهم على ألا يدخلوا أولادهم المولودين بعصد العهد في النصرانية ، وأن يضاعف عليهم الزكاة أي يأخذ منهم ضعف ما يأخصن من المسلمين في أموال الزكاة ، فزكاة المسلمين يثبت عليهم ضعفها بشروط وجوبها فتوخذ عند جمهور الفقها، من الرجال والنساء والصبيان والمجانين، ان ملك كصل منهم نصابا من جميع أموال الزكاة ، وكذلك الحكم عند الحنفية ، فتضاعف علصي البالغين زكاة الماشية والذهب والفضة وأموال التجارة ، واختلفوا في الماشيصة فقال العراقيون : لا توخذ زكاتها من الصبيان والمجانين ، لأنه لا تو خصصة منهم الجزية ،

وقال الحجازيون : توخف زكاة الماشية لأنه يوخف خسراج أراضيهم ، أمسا زكاة الخارج من الأرض فتضاعف عليهم باتفاق الفقها · ·

(۱) بنو تغلب بن وائل من العرب من ربيعة بننزار تنصروا في الجاهلية ، بعسد أن كانوا مشركين ٠

قال فى المغنى: دعاهم عمر بن الخطاب الى دفع الجزية فأبو فلحق بعضهم بالروم ، فقال النعمان بن زرعة: يا أمير المومنين ان القوم لهم بأس وشدة وهم عرب يأنف ون من الجزيدة ، فلا تعن عليك عدوك بهم وخذ منهم الجزية باسم الصدقة ، فبعث عمر فى طلبهم فردهم وضعف عليهم الزكاة ،

 روى أبو يوسف بسنده الى عبادة بن النعمان التغلبى أنه قال لعمر بـــن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ : " يا أمير المومنين ، ان بنى تغلب من قد علمـــت شوكتهم (۱) وانهم بازاء العدو (۲) ، فان ظاهروا عليك العدو اشتدت موونتهم ، فان رأيت أن نعطيهــم شيئا (۳) فافعــل ٠

قال: فصالحهم عمر على أن لا يغمسوا (٤) أحدا من أولادهم فى النصرانية ويضاعف عليهم فى الصدقة ـقال: وكان عبادة يقول: قد فعلسوا (٥) ، ولاعهد (٢) لهمم ـ وعلى أن يسقط الجزية عن رووسهم • فكل نصرانى من بنى تغلب للمه غنم سائمة فليس فيهما شئ حتى تبلغ أربعين ، فاذا بلغت أربعين سائمسة ففيهما شاتان الى عشرين ومائة ، واذا زادت شاة ففيهما أربع من الغنم • وعلى هذا الحساب توخذ صدقاتهم • وكذلك البقر والإبل ، اذا وجب على المسلم شهون فى ذلك فعلى النصرانى التغلبي مثله مرتين ، ونساوهم كرجالهم فى الصدقسات ، فأما الصبيان فليس عليهم شئ وكذلك أرضوهم التى كانت فى أيديهم يوم صولحوا يوخذ منهم النعف مما يوخذ من المسلمين • فأما الصبى والمعتوه فأهل العراق يرون أن يوخذ ضعف الصدقة من أرضه ولا يوخذ من ماشيته • وأهل الحجسسان

⁽۱) علمت شوکتهم: معنی قول عبادة بن النعمان التغلبی ۰۰ ان بنی تغلب قوتهم متعاظمة فان أعانوا علیك الروم عظمت نفقات حربك لهم فصالحهم لتتقی شرهم ۰ دامادا أفندی مجمع الأنهر - ج۱ / ص ۲۷۷، الرحبی - ن ۰ م ۰ س - ج ۲ / ۸۵ ۰

⁽٢) المراد بالعدو هنا نصاري الروم ـ الرحبي ٠ ن٠ م ٠ س ٠ ج ٢ / ص ٨٥ ٠

⁽٣) أى تعقد لهم صلحا ليكونوا ذمة للمسلمين وتكفى مونة اعانتهم عليك • ن • م • س •

⁽٤) لا يغمسوا: أي لا يدخلوهم في دين الملّة النصرانية ـ ن ٠ م ٠ س٠

⁽٥) قد فعلوا: أى أدخلوا أولادهم فى النصرانية ولهذا نقض عهدهم • ن • م • س ـ ج ٢ / ١٨٠

يقولون: يوخف ذلك من ماشيته وسبيل ذلك سبيل الخراج (١) ، لأنه بـــدل من الجزيـة ولا شئ عليهـم في بقيـة أموالهـم ورقيقهـم • " (٢)

أما غيره من أموال الزكاة ، وهى زكاة الماشية والمال والتجارة فانها تضعّف على البالغين من الرجال والنساء فقط ، وتسقط عن الصبيان والمعاتيه •

قال أبو يوسف : " وكل أرض كانت من أرض العشر اشتراها نصرانى مسن تغلب ، فان العشر يضاعف عليه كما يضاعف من أموالهم التى يختلفون بها فلل التجارات • كل شىء يجب على المسلم فيه واحد فعلى النصراني التغلبي اثنان • "(٣)

ما ينبغي أن يعامل به أهل الذمية :-

سأل أمير المومنين أبا يوسف عما ينبغى أن يعامل به أهل الذمية جميعا في جزيدة الرووس والخسراج •

قال أبو يوسف ۱۰۰ لأميسر المومنين: ان الجزية واجبة على جميع أهسسل الذمة في السواد وأهل الحيرة وسائر البلاد من اليهود والنماري والمجوس والمابين (٦) (٨) ويدفعها الرجال دون النساء والمبيان وتوخد منهم في كل سنة ۱۰

قال أبو يوسف: " وان جاءوا بعرض قبل منهم " مثل الدواب والمتاع

⁽۱) فكما يوخذ من أرضه الخراج يوخذ من ماشيته الخمس ، لأن ضعف الزكاة الذي يوخذ منه بدل الخراج _ الرحبي - ن ٠ م ٠ س - ج ٢ / ص ٥٨٨

⁽٢) أبويوسف ـ ن ٠ م ٠ س ـ ص/٢٤٩ ، ن ٠ م ٠ س ـ ج ٢/ ص ٨٨ ٠

⁽٣) ن٠م٠س ـ ص / ٢٥٠، الرحبي ـ ن٠م٠س ـ ج ٢ / ٩٠٠

⁽٤، ٥، ٦) سبق تعريفهم والكلام عنهم في المبحث الأول من الفصل الأول من هذا البحث • انظر ص/٩١٠

⁽٧) تقدم تعریف نجران ۰ انظر ص/۱۸۹ (۸) تقدم تعریف نجران ۰ انظر ص/ ۹۱

وغير ذلك ، ويوخذ منهم بالقيمة ، ولا يوخذ منهم فى الجزية ميتة ولا خنزيــــر وغير ذلك ، فقد كان عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ نهى عن أخذ ذلك منهم فـــى جزيتهم وقال : ولّـوها أربابها فليبيعوها وخذوا منهم أثمانها اذا كان هذا أرفــــق بأهـل الجزيــة ٠ " (1)

قال أبو يوسف : " وقد كان على بن أبى طالب ـ رضى الله عنه ـ ـ فيمـــا (7)" . بلغنــا ـ يأخذ منهم في جزيتهم الابــر والمسـال ، ويحسب لهم من خراج رو وسهم "" .

لا توخذ الجزية من المسكين ولا من الأعمى الذى لا عمل له ، ولا مسن المقعد ولا من المريض الذى طال مرضه ، ولا الرهبان (٣) وأصحاب المسلوامه(٤) أما اذا كانوا أغنيا، فيوخذ منهم ، ولا توخذ الجزية أيضا من الشيخ الكبيسسر المسن الذى لا يستطيع العمل ولا المجنون ، ولا توخذ ممن أسلم ٠

واستشهد أبو يوسف بالأشر عن أبى بكر (٥) قال : صرّ عمر بن الخطاب ـ بباب قوم وعليه سائل يسأل ، شيخ كبير ضرير البصر ، فضرب عفده من خلف فقال : من أى أهل الكتاب أنت ؟ قال : يهودى • قال : فما ألجأك الى ما أرى ؟ • قال : أسأل الجزية ، والحاجة والسن • قال : فأخذ عمر ـ رضى الله عنه ـ بيده فذهب به الى منزل ـ ، فرض خ

⁽۱) أبو عبيد ـ <u>الأموال ـ</u> ص / ٦٢ ، أبو يوسف · <u>ن٠م٠س</u> · ص / ٢٥٣ .

⁽٣) الرهبان: جمع راهب، والراهب عابد النصاري الذي اقطع للعبادة _ مادة رهب _ المصباح ص/٣٧٠٠

⁽٤) صوامع: جمع صوصعة، وهى بناء كالمنارة فى نهاية علوة بيت يتعبد فيه الراهب وحده ٠ ن ٠ م ٠ س - ج ٢/ ص ١٠٠

⁽٥) أبى بكر: هو أبو بكر العنسى ـ ابن حجر العسقلانى ـ تهذيب التهذيب ـ ج ١٢ /ص ٤٤٠

⁽٦) فرضخ: أي أعطاه شيئا يسيرا من ماله • والرضخ - العطية - المصباح - صص/٣٥٠، ٢٥١ •

خازن بيت المال ، فقال : أنظر هذا وضرباءه (۱) ، فوالله ما أنصفناه اذ أكلنسسا شبيبته ثم نخذله عند الهرم (انما الصدقات للفقراء والمساكين) فالفقراء هم المسلمون وهذا من المساكين من أهل الكتاب • ووضع عنه الجزية وعن ضربائه • " قال أبو بكر: أنا شهدت ذلك من عمر ، ورأيت ذلك الرجل • "(۲)

قال أبويوسف: " • • • • لا توخذ الجزية من المسكين الذي لا يتصدق عليه ، ولا من عليه ، ولا من أعمى لا حرفة له ، ولا عمل ، ولا من زمن (٣) يتصدق عليه ، ولا من مقعد ، والزمن المقعد اذا كان لهما يسار أخذ منهما ، وكذلك المترهبون والذين في الديارات (٤) اذا كان لهم يسار أخذ منهم ، وان كانوا انما هم مساكيسن يتصدق عليهم أهل اليسار لم يوخذ منهم ، وكذلك أصحاب الصوامع ان ذكر أن لهم غنسي ويسار " • (٥)

ثم قال : " ولا توخذ ممن أسلم جزية رأسه ، الا أن يكون أسلم بعد خسروج السنة . " (٦)

ثمقال : " ولا توخه الجزية من الشيخ الكبير الذي لا يستطيع العمل ، ولا شيء له • وكذلك المغلوب على عقله ، لا يوخهذ منه شيء " • (٢)

⁽۱) ضرباءه : أمثاله من أهل الذمة · الرحبي من م · س - ح ٢ / ص ١٢١ ·

 ⁽۲) أبو يوسف • ن • م • س - ص / ۲۰۹ ، الرحبى • ن • م • س - ج ۲ / ۱۲۱ •

⁽٣) زمن: بفتح فكسر _ الذي طال زمن مرضه _ مقعد: لاحراك به لداء في جسده أقعده _ نعمي و حداء في الداء في حسده أقعده _

⁽٤) الذيارات : جمع دير وهو معبد النصاري ـ ن م٠ س ـ ج ٢/ ص ١٠٠ المصباح ٠ ص/٣١٤٠

⁽٥) أبويوسف ن ن م ٠ س ـ ص / ٢٥٤ ، ن ٠ م ٠ س ـ ج ٢ / ١٠٠ ٠

⁽٦) ن٠م٠س ـ ص / ٢٥٤ ، ن٠م٠س ـ جـ ١٠١٠

احياء الأرض الموات واقطاعها :-

سأل أمير المومنين الرشيد القاضى أبا يوسف عن الأرض التــــى افتتحـت عنوة ، وصولح عليها أهلها ، فى بعض قراها أرض كثيرة لايرى عليها أثـر زراعة ولا بنا و لأحـد ما الصلح فيها ؟ ٠

أجاب أبو يوسف لأمير المؤمنين بناء على استفساره ، بأن الأراضى التى افتتحت عنوة أو صولح عليها وليس بها أثر لزراعة أو بناء لأحد ، أو مكان لرعى الدواب أو محتطب ، وليست ملكا لأحد ، هذه الأراضى موات ، فمن أحياها فهصلى ملك له ، ولأمير المؤمنين أن يقطع منها أو يواجر من شاءمن الرعية ،

قال أبو يوسف : " وسألت _ يا أمير المؤمنين _ عن الأرض التى افتتحصت عنوة أو صولح عليها أهلها، وفى بعض قراها أرض كثيرة لا يرى عليها أثر زراعصة ولا بناء لأحد ، ماالصلاح فيها ؟

فاذا لم یکن فی هذه الأرضین أثر بنا، ولا زرع ، ولم تکن فنا، لأهل القریمة ولا مسرحا ، ولا موضع مقبرة ، ولا محتطبهم ، ولا موضع مرعی دوابهم وأغنامه ولیست ملکا لأحد ، ولا فی ید أحد - فهی موات فمن أحیا منها شیئا فه ولی م ولك أن تقطع من ذلك من أحببت ورأیت ، وتواجره وتعمل فیه بما تـــری أنه صـــلح ، وكل من أحیا أرضا مواتا فهی له ، "(1)

واستشهد أبو يوسف بالحديث عن عائشة عن رسول الله ـ صلى الله عليـــه وسلم ـ قــال : " " من أحيـا أرضـا ميتــة فهــى لــه ، وليس لعــرق

⁽۱) أبويوسف ٠ ن م ٠ س ـ ص/١٣٧ ، الرحبى ٠ ن ٠ م ٠ س ـ ج ١ / ص ٤٣٢ ـ ٤٣٤ ٠

ظـالم حــق " • (١)

واستدل أبو يوسف أيضا فى أحياء أرض الموات ، لا حق لأحد فيها ولا ملك فعن أحياها في أحياها عن سمرة بن جندب قال : " من أحاط حائطا على الأرض فهو له ٠ " (٢)

ثم قال أبو يوسف: " هذا الحديث عندنا على الموات التى لاحق لأحد فيها ولا ملك • فمن أحياها وهى كذلك فهسى له ، ويزرعها ويزارعها ويواجرهسسسا ويكسرى (٣) فيها الأنهار ، ويعمرها بما فيه مصلحتها ، فانكانت فى أرض العشسر أدّى عنها الخراج • فان احتفر لهسا بسرا أو استنبط فيها قناة ، كانت أرض عشر • " (٤)

وأى أرض مات عنها أصحابها ولم يبق منهم أحد ، ولا يدعى أحصصت أنها له ، وقام رجل وأصلحها وزرعها فهى له على أن يودى خراجها ، ان كانصت تسقى من أنهار الخراج ، أو يودى العشر ان كانت تسقى سيحا ٠

قال أبو يوسف : " وأيما قوم من أهل خراج بادوا فلم يبقى منهم أحـــد، وبقيت أرضوهم معطّلة ، ولا يعرف أنها في يد أحد ، ولا أن أحدا يدعى فيهــا دعــوى ، فأخذها رجل فحرثها وعمّـرها وغرس فيها ، وأدى عنها الخراج أو العشر فهــى لـــه ٠ " (٥)

⁽۱) أخرجه الترمذى فى أبواب الأحكام • باب ماذكر فى احياء أرض الموات • تحفة الحوذى ـ ج ٢ / ص ٢٩٩ ، يحى بن آ دم _ الخراج _ ص/٨٤ • يعنى أن من غرس أو زرع فى أرض غيره لايملكها بهذا العمل وهو ظالم وغرسه وزرعه يسمى عرقا • الرحبى ـ ن • م • س ـ ج ١ / ص ٤٣٩ •

٩٢/ يحيى بن آدم _ الخراج _ ص/٩٢ .

⁽٣) بكرى: أي يحفر ويطهر مجرى الماء أو النهر ٠

 ⁽٤) أبو يوسف <u>ن ٠ م ٠ س</u> ـ ص/١٤٠ ، الرحبي ـ ن ٠ م ٠ س ـ ج ١ / صص ٤٤٤ ، ٥٤٥ ٠

⁽a) <u>ن٠مس</u> ص/ ١٤١ ، <u>ن٠م٠س</u> - ج١ / ص ٤٤٧٠

وأشار أيضًا أنه لا يحل للامام أن يأخذ أرضًا من يد شخص قام بزراعتها

(١) فقال : " وليس للامام أن يخرج شيئا من يد أحد الابحق ثابت معروف"٠

ثم رأى أبو يوسف أن للامام الحق فى أن يقطع الأرض الموات لأى شخصص على ألا تكون ملكا لأحد • وبذلك تتسع رقعة الأرض الزراعية ويزيد الخراج، وفصصى هذا خير ونفع للمسلمين والاسلام •

قال أبو يوسف : " وللامام أن يقطع كلّ موات ، وكل ماكان ليس لأحصد فيه ملك ، وليس في يد أحد ، ويعمل في ذلك بالذي يرى أنه خير للمسلميصن وأعمّ نفعصصا ١٠٠(٢)

الترغيب في تعمير القطائع واحيائها :-

اقترح أبو يوسف على أمير المومنين أن أرض القطائع التى لا تكــــون ملكا لأحـد ، وأقطعها الامام لمن يزرعها ، فان كانت خراجية أدى عنها الخـراج وان كانت في أرض عشر أدى عنها العشر ، وفي ذلك توسعة للرقعة الزراعيـــة مما يوفر للمجتمع الاسلامي الكثير من احتياجاته من المواد الغذائية ، ويزيـــد في الدخل العام ، وفي الوقت نفسه فانه يحقق اعانة للمحتاجين من أصناف مايخرج من زكاة الزراعة ، اضافة الى زيادة واردات بيت المال وما يحققه ذلك من قوة الأمــة وحمايــة الدولة الاسلاميـــة .

 ⁽۱) أبو يوسف · ن · م · س _ ص / ۱٤۱ ، الرحبي · ن · م · س _ ح / ا ص ٤٤٠

⁽۲) ن م م س _ ص / ۱۶۱ ، ن م م س _ ج ۱ ص ۶۶۲ ۰

ا المحمد الله المستقد الله المحمد الله المحمد الله المحمد المحمد المحمد المحمد المحمد المحمد المحمد المحمد الم

. . . .

قال أبو يوسف: " وما كان من أرض العراق والحجاز واليمن والطسائف وأرض العرب، وهي غير عامرة وليست لأحد ولا في يد أحد ولا ملك أحسست ولا وراثة، ولا عليها أثر عمارة، فأقطعها الامام رجلا، فعمرها، فان كانست في أرض الخراج ٠٠ أدى عنها الذي أقطعها الخراج ٠

والخراج ما أفتتح عنوة ، مثل السواد وغيره ـ وان كانت من أرض العشر ـ أدى عنهـا الذى أقطعهـا العشـر " . (١)

والامام مخير في غير الأرض العشرية في أن يجعل أرض القطائع عشريـــة فيأخذ منها العشر ، أو عشرا ونصف ، بحسب طريقة سقيها أو يجعلها خراجية فيضع عليها من الخراج ماتطيقه كيف شاء ٠

ثم نصح القاضى أبو يوسف أمير المومنين أن يأخذ بالعمل الذي فيه الخير والصلح للمسلمين •

قال أبويوسف: " وكل أرض أقطعها الامام ـ فما فتحت عنوة فغيها الخراج، الا أن يصيرها الامام عشرية، وذلك الى الامام، اذا أقطع أحدا أرضام من أرض الخراج فان رأى أن يصيّر عليها عشرا أو عشرا ونصف أو عشرين، أو أكشر أو خراجا، فما رأى أن يحمل عليه أهلها فعل ٠ فأرجو أن يكون ذلك موسعا عليه، وكيف شاء من ذلك; فعل الامام ٠ " ٠ (٢)

ثم قال : " فخذ بأى القولين أحببت واعمل بما ترى أنه أصلح للمسلمين وأعم نفعا لخاصتهم وعامتهم ، وأسلم لك في دينك ـ ان شاء الله تعالى • " (٣)

⁽١) أَبُوْ يُوسِفُ ن ٠ م ٠ س _ ص/١٢٩ ، الرحبي _ ن ٠ م ٠ س _ ج ١ / صص ٤١٤ ، ٤١٥ •

۲) ن٠م٠س ـ ص / ۱۳۰ ، ن٠م٠س ـ ج ۱ / ص ۱۱۲ ٠

⁽٣) ن٠م٠س ـ ص / ١٣٠ ، ن٠م٠س ـ ج ١ / ص ٤١٧٠ .

ثم تتابعت اقتراحات وآراء القاضى أبو يوسف لأمير المومنين فىأنيقطيع من أحب ، على ألا يترك الأرض بدون عمارة ، وفى هذا تحديداً لهدف الدولة الاسلامية وهو تحقيق المصلحة العامة للمسلمين ، لأن فى عمارتها وزراعتها كثرة للخيراج وخيرا وفيرا البلاد •

قال أبو يوسف : " والأرض عندى بمنزلة المال ، فللامام أن يجيز مسن بيت المال من كان له غناء في الاسلام ، ومن يقوبه على العدو ، ويعمل في ذلك بالذي يرى أنه خير للمسلمين وأصلح لأمرهم ٠

وكذلك الأرضون يقطع الامام منها من أحب من الأصناف التى سميت ، ولا أرى أن يترك أرضا لا ملك لأحد فيها ولا عمارة حتى يقطعها الامام • فان ذلك أعمـــر للبلاد وأكثـر للخراج • " (١)

ثم قال : " وقد أقطع رسول الله _ صلى الله عليه وسلم _ وتألف على الاسلام أقواما (٢) _ وأقطع الخلفاء من بعده _ من رأوا أن في اقطاعه اصلاحا . " (٣)

وقد استدل أبو يوسف بالحديث عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلمـ لما فيه صلاح المسلمين ، عن عمرو بن شعيب عن أبيه أن رسول الله ـ صلى اللــه عليمه وسلم ـ أقطع لأناس من مزينة ، أو جهينة فلم يعمروها فجاء قوم فعمروها فخاصمهم الجهنيون أو المزنيون الى عمر بن الخطاب ـ رضى الله تعالى عنه ـ فقال: لو كانت منى أو من أبى بكر لرددتها ، ولكنها قطيعة من رسول الله ـ صلى اللـه

⁽۱) ن٠م٠س ـ ص ص / ١٣٠، ١٣١ ، ن٠م٠س ـ ج ١ / ص ٤١٨٠

⁽٢) من المولفة ترغيبا لهم في الثبات على الاسلام - ن ٠ م ٠ س - ج ١ / ص ٤١٩٠

⁽٣) ن٠م٠س ـ ص/ ١٣١ ، ن٠م٠س ـ ج ١/ ص ١٩٩٠ ·

علیه وسلم - ثم قال : من کانت له أرض ثم ترکها ثلاث سنین فلم یعمرهـــــا فعمرها قوم آخرون فهم أحق بها ۰ "(۱)

وقال : حدثنا أبو حنيفة ، عمن حدثه قال : كان لعبد الله بن مسعود أرض خراج ، وكان لخباب أرض خراج ، وكان لحسن بن على أرض خراج ، ولغيرهم مسسسن المحابة ، وكان لشريح أرض خراج ، وكانوا يودون عنها الخراج • " (٢) ثم قال أبو يوسف : " فقد جاءت هذه الآثار بأن النبى - صلى الله عليه وسلم - أقطع أقواما ، وأن الخلفاء من بعده أقطعوا ، رأى النبى - صلى الله عليه وسلم - المسلاح فيما فعل من ذلك ، اذ كان فيه تألف على الاسلام ، وعمارة للأرض ، وكذلك الخلفاء انما أقطعموا من رأوا أن له غناء في الاسلام ، ونكاية في العدو ، ورأوا أن الأفضلل مافعلموا ، ولولا ذلك لم يأتوه ، ولم يقطعموا حق مسلم ولا معاهد • " (٣)

وقد وردت فى المصادر بعض اقطاعات أمير المؤمنين هارون الرشيد لبعيض من قواده ومواليه ، ففى عين الرومية (٤) أرض ، كانت لأبى العباس أمير المؤمنيين فأقطعها الرشيد ميمون بن حمزة (٥) ، ثم ابتاعها الرشيد مرة أخرى من ورشية ميمون وأقطع (٤) منها ، ويذكر الواقدى قال : لما كانت سنة ثمانين ومائييية أمر الرشيد بابتناء مدينة عين ذربة (٢) وتحصينها وندب اليها ندبة من أهيل

۱۳۱ ، الرحبى • ن • م • س ـ ص/ ۱۳۱ ، الرحبى • ن • م • س ـ ج ۱ / ص ۶۲۰ •

⁽۲) ن ٠ م ٠ س ـ ص / ۱۳۳ ، ن ٠ م ٠ س ـ ج ١ / ص ص ٢٤٦ ، ٢٢٤ ٠

[·] ٤٢٨ ، ٤٢٧ ص / ١ ج<u>- س · و · ن</u> ، ١٣٣ / ص <u> س · و · ن</u> (٣)

⁽٤) عين الرومية : في أرض الرقة بسورية البلاذري - فتوح البلدان - ج ٣/ ص ٧٥٤٠

⁽٥) ميمون بن حمزة : من موالى على بن عبد الله بن العباس ـ البلاذرى ـ ن ٠ م ٠ س ج ٢ /ص ٢١٤٠

⁽٦) ن٠٩٠س - ج ٢ / ص ٢١٤٠

⁽۲) عین ذربة: تقدم تفسیرها ص / ۶۸

خراسان وغيرهم فأقطعهم بها المنازل · ^(١)

ويذكر الواقدى أيضا أن الرشيد لما تولى الخلافة أمر ببناء مدينسسة الحدث (٢) بعد أن خربها الروم ولم تنفع فيها النجدات والمدد الذى بعث اليها بقيادة المسيب بن زهير (٣) فأمر الرشيد ببنائها وتحصينها وشحنتها "واقطاع" مقاتلتها وجندها المساكن والقطائع ، وكان الخليفة هارون الرشيد ابتاع قطيعسة بشر بن ميمون (٤) التي أقطعت له ، فابتاعها الرشيد وأقطع منها وهي أرض سروج (٥) وأقطع الخليفة العباسي هارون الرشيد خزيمة الخادم (٦) المعروفة بقطيعسسة خزيمسة ٠ "٠

⁽۱) البلاذري ـ ن٠م٠س ـ ح ۱ / ص ٢٠٢٠

⁽۲) الحدث : بالتحريك _ قلعة حصينة بين ملطية وسمياط ومرعش من الثغرور ويقال لها الحمراء لأن تربتها جميعا حمراء _ ياقوت الحموى _ ن٠م٠س _ جبر / ص ۲۲۷٠

⁽٣) المسيب بن زهير: استخدمه المهدى بن المنصور أميرا للشرطة ، وقد غزا علم 181 ملطية في جند من أهل خراسان ورابط بها ، قال الواقدى: " ولما بنيت مدينة الحذث هجم الشتاء، فتثلجت المدينة وتشتتت ونزل بها الروم فتفلسرق من كان فيها من جندها ، وبلغ الخبر موسى بن الهادى فقطع بعثا اليها مع المسيب ابن زهيل " ١٧١ من كثيل عليل البدايلة والنهاية ـ ج ١٠/ ص ١٧٦ ٠

⁽٤) بشر بن ميمون : وله طاقات بشر ببغداد تنسب اليه بعد أن بنى دارا له بهـا طاقات ، وكان والده ميمون مولى على بن عبد الله بن العباس ـ البلاذرى ـ ن ٠ م ٠ س ح ٢ / ص ٣٦٣٠

⁽a) سروج : بلدة قرب حران في تركيا <u>-ن٠م٠س</u>- ج ٣ / ص ٧٣٣٠

⁽۲) خزيمة الخادم التميمى: وال من أكابر القواد فى عصر الرشيد، شهد الوقائع الكثيرة وقاد الجيوش، ولى البصرة أيام الرشيد، وانحاز الى أصحاب المأمون فى خلطك المأمون والأمين واشترك فى حصار بغداد الى أن قتل الأمين، فأقام ببغداد فمات فيها عام ٢٠٣هـ ـ الزركلى ـ الاعلام ـ ج ٢ / ص ٣٥١٠

مقترحات أبو يوسف في الجزائر (١) في دجلة والغرات والغروب :-(٢)

ان أسئلة أمير المومنين هارون الرشيد التى يوجهها للقاضى أبى يوسف تعكس مشاكل حيوية فى الريف السوادى ، ويجيب عنها أبو يوسف بايجاد حلوم عمليمة لاصلاح أى خطأ يقع فيه المسئولون •

الجـــزائر في دجلــة والفـرات :-

سأل الخليفة هارون الرشيد قاضيه أبل يوسف ماحكم الجزائر التى تكون فى دجلة والفرات والغروب ان نضب ماوها ، وجاء رجل له أرض بجانبها وأحاطها بسور ، وزرع فيها ٠ ؟

فاقترح أبو يوسف على أمير المومنين ـ ان الجزائر الموجودة في نهر دجلة والفرات وانحسر عنها الماء ، فاذا كانت ملاصقة لأرض شخص فحصنها من المسلو وزرعها ملكها بالاحياء لأن حكمها حكم الأرض الموات ، بشط ألا تفروز وراعتها بالعامة ، كأن تكون طريقا لهم لأخذ الماء ، فان أضرت بالعامة لا يجسوز احياءها بالزراعة ، وان أذن بها الامام ، كما لا يجوز له اقطاعها أي تمليكهسا

⁽۱) الجزائر : جمع جزيرة وسميت بذلك لانحسار الماء ، وانكشفت أرضا بارزة قابلة للزرع والغرس · المصباح ـ ص / ۱۵۵ ، الرتاج ـ ن ن م ۰ س ـ ج ۱ / ص ۲۱۸ ،

⁽۲) الغروب : جمع غرب ـ بالفتح في الأصل الدلو العظيمة ، من جلد ثور ، ثــــم توسع فيها ، وأطلقت على البئر العظيمة أو الجب الذي يبني بشاطي النهالي النهالي كدجلة والفرات ، لأن الدلو ينزح به منها لسقى الأراضي الزراعية ، انظر المصباح ص/ ۱۶۰ ، وانظر ص / ۱۸۱ ، الرتاج ـ ن ع ع سي ـ ج 1 / ص ۲۱۹ ،

قال أبو يوسف: " وسألت يا أمير المؤمنين عن الجزائر التى تكون فـــى دجلة والفرات اذا نضب عنها الماء، فجاء رجل وهى فى حذّية أرض له فحصنه من الماء، وزرع فيها، ٠٠٠ فهـى له، وهى مثل الأرض الموات اذا كان ذلــــك لا يضر بأحد، واذا كان يضّر بأحد منع ذلك، ولم يترك يحصنها ولا يزرعهــا ولا يحدث فيهـا حدثـا الا باذن الامـام ٠

وقد ناقش أبو يوسف مسألة احياء الموات فى البطائح ولم تكن ملكا لأحد سواء كانت خالية أو مشغولة بالقصب وأعدها للزراعة ملكها بالاحياء ، لأنها أرض موات ، وأدى عنها العشر ، ان كانت أرض عشر والخراج ان كانت أرض خراج ٠

قال أبو يوسف : " ولو أن رجلا أتى طائفة من البطيحة ، مما ليس فيـــه

⁽۱) موسى الهادى بن الخليفة محمد المهدى العباسى · الطبرى ـ تاريخ الأمم والملــوك ـ ج ۱۰ / ص ۱۸۲ ·

⁽٢) أبويوسف ـن ٠ م ٠ س ـ ص / ١٩٩ ، الرحبي ـ ن ٠ م ٠ س ـ ج ١ / ص ١٦٦ - ٢٢٢٠

⁽٣) البطائح: جمع بطيحة وهى الأراضى التى تغمرها المياه والتى تنتشر فى القسم الجنوبى من ارض السواد، وتمتد الى واسط والكوفــــة شمالا الى البصـــرة جنوبا ، انظر السامرائى ـ الزراعـــة ـ ص / ٥ ، وقـد ورد فى لــــان العرب مادة بطح ـ تقع مابين واسط والبصرة، وهو ماء مستنقع لا يرى طرفـــاه من سعته، وهو مغيض ماء بين دجلة والفرات ،

ملك لأحد ، وقد غلب عليه الماء، فضرب عليها المسنيات (١) ، واستخرجها وأحياها وقطع مافيها من القصب فانها بمنزلة الأض الميتة ١٠٠ (٢)

ثم رأى أيضا ان أحيا رجل أجمة أو بطيحة فى بر أو بحر وكانت لمالك سابق فلا يجوز احياوها ، وان لم يكن له فيها أثر ردت اليه ، فللمان ولا يضمن أجرتها الأرض المملوكة ضمن للمالك ما نقصت الأرض ان انقصها الزرع ولا يضمن أجرتها فى مدة الغصب ، لأن المنافع لا تضمن بالغصب ـ عند الحنفية ، وتضمن عند غيرهم من الأخصة ،

قال أبويوسف: " ولو أن رجلا أحيا من ذلك شيئا، وقد كان له مالك قبله ، رددت ذلك الى الأول ، ولم أجعل للثانى فيه حقال الله ولم أجعل الثانى فيه حقاله ، وليس عليال الثانى قد زرع فيه كان له زرعه ، وهو ضامن لما قطع من قصبها ، وليس عليال أجسر زوهو ضامن لما قطع من قصبها ، وكذلك لو كانت هذه الأرض فى البرياسة فيها نبات ، لأنها بمنزلة القصب " ، (٣)

واذا نضب (٤) عن جزيسرة كانت مواتا فلمن شاء احياوها وتأدية خراجها ولكن الأحق بها من كانت أرضه ملاصقة للجزيرة ، فأحياها وأدى خراجها ، أمسا اذا كانت ملاصقة لفناء داره فلا يجوز أن يدخلها في فنائه ٠

قال أبو يوسف : " وإذا نصب الماء عن جزيرة في دجلة أو الفرات ، وكانت

⁽١) المسنيات: سبق تعريفها في المبحث الثالث من الفصل الأول ص / ١٢٠

⁽٢) أبو يوسف ـ ن ٠ م ٠ س ـ ص / ٢٠٠ ، الرحبي ـ ن ٠ م ٠ س ـ ج ١ / صص ١٦٢، ١٢٣ ٠

⁽٣) ن٠م٠س ـ ص / ٢٠٠، ن٠م٠س ـ ج ١ / صص ٢٢٣، ٢٦٢٠

⁽٤) نضب الماء نضوبا ـ من باب قعد غار في الأض ـ المصباح ـ ص / ٩٤١ • وفـــــى مختار المحاح ـ أصل النضوب البعد ـ ص / ٦٦٤ •

and the second control of the second control

بحذاء منزل رجل وفنائه ، فأراد أن يصيرها فى فنائه ، ويزيدها فيه فليكس ذلك له ، ولا يترك ذلك • فان جاءرجل فحصّنها من الماء وزرعها وأدى عنها حق السلطان ، فهى بمنزلة أرض الموات يحييها الرجلل • فان أراد هذا الذى هى بحذاء فنائه أن يعملها ويودى عنها حقّ السلطال

و y يجوز لأحد أن يقيم مسناة حول جزيرة تضر بمرور السفن كمــــا لا يجوز البناء في طريق العامة ٠

قال أبو يوسف: " وان كانت هذه الجزيرة التى نضب عنها الماء ، اذا صحصنت ، وضرب عليها المسنيات ، أضر ذلك بالسفن التى تمر بدجلة والفرات، وخاف المارة ـ فى السفن ـ الصغرق من ذلك ، أخرجت من يد هذا ، وردت الصحاحالها الأولى ، لأن هذه الجزيرة طريق المسلمين ، ولا ينبغى لأحد أن يحدث شيئا فى طريق المسلمين مما يضرهم ٠ " (٢)

ومن آرائــة الصائبة أيضًا أنه ينبغى وضع القيود على حرية الولاة فــــى التصرف لدفع الضرر عن المسلمين عامة • ويجب تغليب المصلحة العامة علــــى مصلحـة الفرد •

قال أبو يوسف : " ولا يجوز للامام أن يقطع من طريق المسلمين ممسا فيه الفرر عليهم، ولا يسعه ذلك ، وان أراد الامام أن يقطع طريقا من طرق المسلمين الجادّة (٣) رجلا يبنى عليه ، وللعامة طريق غير ذلك قريب أو بعيد منه ،

⁽۱) أبويوسف ٠ ن ٠ م ٠ س ـ ص / ٢٠١ ، الرحبي ٠ ن ٠ م ٠ س ـ ج ١ / صص ٢٦٦ ، ٢٦٢ ٠

⁽۲) ن٠م٠س ـ ص/ ۲۰۱،ن٠م٠س ـ ج ۱ / ص ص ۲۲۲، ۲۲۸٠

⁽٣) الجادة : الطريق الذي اعتاد الناس المرور منه ٠ ن ٠ م ٠ س ـ ج ١ / ص ١٢٨ ٠

لم يسعه اقطاعه ذلك ولم يحل له ، وهو آثم ان فعلل ذلك " (1)

ولهذا لا يجوز أن يقطع شيئا من الطريق الذى اعتاد الناس المرور فيها ، ولـــو كانت لهـم طريق أخرى •

الغــــروب :-^(۲)

سأل أمير المومنين هارون الرشيد القاضى أبا يوسف عن الغروب التسبى تبنى على شباطى، دجلة ، وهى فى ممسر السفن ؟ • • أجابه : فيها نفع لأنسبه يسقى منها الأراضى الخراجية ، وفيها ضرر قد تضر بالسفن التى تمر بدجلسة فيومسر أصحابها بهدمها وبنائها بعيدا عن الشاطى، حتى لا تحدث أى ضرر •

فاذا بنيت الغروب قريبا من شاطئ النهر ربما اصطدمت بها السفن التسيف بجانب النهر فانكسرت، فمتى اضرت بالسفن هدمت، وما عطب به من السيفن ضمنه أصحابها ، لأن نهر دجلة والفرات بالنظر الى السفن التى تمر بهسمنزلة طريق المسلمين ، كما أنه لا يجوز أن يقام فى الطريق بناء أو تحفر فيسه بئر لا يجوز كذلك فى النهر ، وكلام الامام أبى يوسف واضح بعد هذا التمهيد .

قال أبو يوسف : " وسألت عن الغروب التي تتخذ في دجلة ، وهي في ممسر السفن ، وفيها نفع وضرر ، فان كانت تضر بالسفن التي تمر في دجله نحيّــت ولم يترك أصحابها واعادتها الى ذلك الموضع ، وان لم يكن فيها ضرر تركـــت

فقيل لأبى يوسف : فيها من الضرر أن السفينة ربما حملها الما، عليهـــا

⁽۱) أبويوسفِ ن٠م٠س ـ ص/ ٢٠١، الرحبين٠م٠س ـ ج١/ص ٦٢٨٠

⁽۲) الغروب: أى الآبار العظام التى تبنى على شاطى، دجلة · الرحبى ـن · م · س ـ ج ١/ص١٩٢٠ انظر ص/٢٠١ ·

فانكسيرت ؟

قال أبو يوسف: " ماتكسر عليها من السفن فصاحب الغربة (1) ضامسين لذلك ، ولا يترك الامام شيئا من ذلك الا أمر به فهدم ونحتى، فان فى هذا ضررا ععظيما • والفرات ودجلة انما هما بمنزلة طريق المسلمين ، فليس لأحد أن يحدث فيه فمن أحدث فيه شيئا فعطب بذلك عاطب ضمسسسن • " (٢)

ثم اقترح أبو يوسف على أمير المومنين هارون الرشيد أن يوكل الامـــام رجــلا ثقــة أمينا • يأخــذ على يد كل من يقيــم شيئا من هذه الغروب الضـــارة في ممـر السفن فيهدمه ، ويتوعد من يعيده بالعقاب • وبذلك يدفع الضـــرر عن المسلميـــــن في أنفسهم وأموالهـــــم •

قال أبويوسف: " وقد أرى أن يوكل بذلك رجلا ثقة أمينا حتى يتبع ذلك ، فلا يدع من هذه الغروب شيئا فى دجلة والفرات فى موضع يضر بالسفول ولا يتخوف عليها منه الا نحاه ، وتوعد أهله على اعادة شى منه ، فان - فلل ذلك - أجلوا عظيما " . (٣)

حفـــــر النهـر اذا ترتب عليه ضرر بالعامـــة :-

سأل أمير المومنين القاضى أبو يوسف عن أمير أو وال أو غيرهما: اذا حفروا نهرا وأدى ذلك الى أن يكون له حافة ردمت طريق العامة الذى يودى المسلم عنازلهم : حتى أصحوا لا يصلون اليها ولا يخرجون منها الا بمشقة للارتفاع

⁽۱) الغربة: يقصد بذلك الجب الذي يسقى منه بالدلو، أو هي بناء تقام عليه عادة الرحى التي تطحن بها وجمعها غروب وقد مرتعريف ذلك ص/ ٧٠٥

⁽٢) أبويوسفن ٠م٠س_ ص / ٢٠٢ ، الرحبي ن٠م٠س ح- ١ / صص ١٢٩ ، ١٣٠٠

⁽٣) ن٠م٠س ـ ص / ۲۰۲ ، ن٠م٠س ـ ج ۲ / ص ١٣٠٠

التراب على الطريق ، هل للامام أن يردم هذا النهر ويرفع التراب من الطريــــق ;
، المام الما

فأجابه القاضى أبو يوسف: ان كان هذا النهر قديما ترك على حاليو الأصل ابقاء ماكان على ماكان ، اذ يغلب على الظن أن ذلك لم يتم بيون المسلمين الا بوجه شرعى ، وحد القديم ألا يكون النهر قد حدث فى عهد أحسم من الموجودين ، وان كان حديثا فما غلب نفعه يبقى ، وماغلب ضرره يطسم الا ان احتاج اليه أهل الشفة (1) فانه يبقى لضرورتهم اليه ، ومن هدميه

أما مايحتاج اليه أهل الزروع فان كان فيه ضرر طم • والفصوص أن حق الشعة ضرورى للاسمان حتى أن من منعه يقاتل عليه بخلاف شرب الأرضيان فلا ضرورة اليه •

قال أبو يوسف: " وسألت ياأمير المؤمنين عن نهر حافته صار كبسه الله طريق العامة حتى أضر بمنازل قوم ، من فعل والأو أمير أو من فعل غيره ، وأضر ذلك بغير واحد من منازلهم، في حال أنهم يدخلون منازلهم في هبوط وشدة ، ماالقول في ذلك ؟ ، أيكون للامام أن يأمر بطهم منازلهم اذا رفع اليه ؟

ان كان هذا النهر قديما : فانه يترك على حاله ، وان كان محدث من فعل وال أو غيره ، نظر فىذلك الى منفعته والى ضرره ، فان كمان منفعت من فعل وال أو غيره ، نظر فىذلك الى منفعته والى ضرره ، فان كمان منفعت من فعل حاله ، وان كان ضرره أكثر : أمرت بهدمه وطمه وتسويته بالأرض .

⁽۱) الشفه : أى سقيا القصوم والبهائم · المغرب ص / ٢٥٤ ·

⁽٢) كبسا : أي صارت حافة النهر ترابا ٠ ن٠م٠س ـ ص / ٣٩٩٠٠

وكل نهر له منفعة فلا ينبغى للامام أن يهدمه ولا يتعرض له ، وكل نهر ليست لـــه منفعة ، أو كانت مضرته أكثر من منفعته ، فعلى الامام أن يهدمه ويطمه ويسويه بالأرض ، الا ماكان للشفة ، وان كان فيه ضرر على قوم ، وصلاح لآخرين فى الشفة لم يتعرض له ، وان تعرض له قوم فسدوه ، أو طموه بغير اذن الامام ، فينبغى للامام أن يأمر برده الى حاله ، وأن يوجعـــوا عقوبة ، لأن شرب الشفة غير شرب الأرضين ، شرب الشفة نرى القتال عليه ، وشرب الأرضين لا نرى القتال عليه ، ولأصحاب الشفة من هذا النهر _ أن يمنعوا رجلا أن يسقى زرعه من ذلـــك ونخله ، وشجره ، اذا كان يضر بأصحابه " ، (1)

كــــرى ^(۲)النهر وانبثاقه ^(۳):-

سأل أمير المو منين القاضى أبو يوسف عن أجرة كرى النهر الذى يسقى منه جماعـــة فحكى فيه رأيين:

أحدهما:

لأبى حنيفة وهو أن تجعل الأجرة على من يسقون من النهر ، فعلى كل المسافة التى يمر بها الماء الى أرضه ، فاذا جاوزت أرضه لم يتحمل مابقى ، ومعناها أن صاحب آخر أرض يتحمل فى كرى النهر كله •

الرأى الثانى:

لأبى يوسف ومحمد: وهو معرفة أجر كرى النهر كله وقسمته على أمحاب الأراضى بقدر أراضيهم، ثم أشار على الخليفة بأن يأخذ بأى الرأيين يتيسر له، ويكسون فيسسمه يسر على النسساس، وفى هذا رفسة عظيم بالناس حيست

⁽۱) أبو يوسف ـ ن ٠ م ٠ س ـ ص / ٢٠٣ ، ٢٠٤ ، الرحبي ـ ن ٠ م ٠ س ـ ج ١ / ص ١٣١ ـ ١٣٤ ٠

⁽۲) كرى: كريت النهر كريا ـ من باب رمى حفرت فيه ـ المصباح ـ صص/ ۱۹۹، ۸۲۰ وهـو تنظيف النهر من التراب الذى سقط فيها أثناء مرور الماء والحفر وتوسيع النهر وتعميقه ليمر منه ماء كثير •

⁽٣) انبثاقــه: تقدم تفسيره ص / ١٣٣٠

أشار أبو يوسف على أمير المومنين بالأخذ بأى الرأيين ولــــــم يلـــــرم برأيــــه على المرايين ولــــم على المرايين ولـــم على المرايين ولــماني المنايد المنا

واذا خاف أهل النهر أن ينبشق من أحد جوانبه ، فان كان ضرر هذا البشق عامــا اشتركوا فى نفقة سـده ، وان كان خاصا بقوم أو بواحد تحمل نفقته من يلحقهــم الضـرر ٠

قال أبو يوسف : " وسألت عن نهـر بين قوم خاصة ، يأخذ من دجلــة والفرات ، اذا أرادوا أن يكروه أو يحفروه ، كيف الحفر عليهـم ؟

فانهم يجتمعون جميعا فيكرونه من أعلاه الى أسفله ، فكلما جاوزوا أرض رجـــل رفع الكرى عنه وكرى بقيتهـم • وكذلك حتى ينتهـى الى أسفله •

وقد قال بعض الفقهاء: يكرى النهر من أعلاه الى أسفله ، فاذا فرغ من ذلك حسب أجر جميع حفر النهر على جميع مايشرب منه الأرض ، فلزم كللانسان من أهله بقدر ماله (أى من الأرض) •

فخف يا أمير المومنين ـ بأى القولين أحببت ، فانى أرجو أن لا يضيـــق الأمر عليك ـ ان شا، الله تعالى ٠ " (١)

ثمقال: " واذا خاف أهل هذا النهر أن ينبثق عليهم ، فأرادوا تحصينه (۲) من ذلك ، فامتنع بعض أهله من الدخول معهم، فان كان في ذلك ضرر عام : أجبرهم جميعا ـ على أن يحمنوه بالحصص ، وان لم يكن فيه ضرر عام : لم يجبروا على ذلك وأمرت كل انسان منهم أن يحمن نصيب نفسه . " (۳) .

⁽۱) أبو يوسف ـ ن ٠ م ٠ س ـ ص/٢٠٤ ،الرحبى ـ ن ٠ م ٠ س ـ ج ١/ صص ١٣٤، ١٣٥٠

⁽٢) التحصين: تقوية السدود وضغاف الأنهار وتدعيمها لمواجهة أخطار الغيضان قبل هجوم المسلماء ٠٠

⁽٣) ن٠م٠س ـ ص/٢٠٤ ، ن٠م٠س ـ ج ١ / ص ١٣٥ ، ١٣١٠

شـــرب الشفة وسقى الزرع:-

وحكم البئر والعين والقناة الخاصة بفرد أو جماعة ، أن ماءها باق على الاباحة لقوله صلى الله عليه وسلم : " الناس شركاء في ثلاث الماء والكال والناس الله عليه وسلم : " الناس شركاء في ثلاث الماء والكال والناس الله عليه وسلم : " الناس شركاء في ثلاث الماء والكال الله عليه وسلم : " الناس شركاء في ثلاث الماء والكال الله عليه وسلم : " الناس شركاء في ثلاث الماء والكال الله عليه وسلم : " الناس شركاء في ثلاث الماء والكال الله عليه وسلم : " الناس شركاء في ثلاث الماء والكال الله عليه وسلم : " الناس الله عليه وسلم : " الناس الله عليه والكال الله الله عليه والكال الله والكال الله عليه والكال الكال الله عليه والكال الله عليه والكال الله عليه والكال الكال الكال الكال الكال الكال الكال الكال الكال الكال الله عليه والكال الكال الكال

لكن حق الشفة ثابت فيها للضرورة ، وهو شرب الانسان والحيوان ، فلا يمنع أحد منه ولا سيما المسافرون • أما سقى الأراضى فليس بحق ثابت ـ بل ان شـا، أذن فيه ، وان شـا، لا ، لكثرة ماتحتاجه الأراضى من الما، وعدم تناهيه •

وشبه أبو يوسف الذى يسقى زرعه من ماء الغير بالذى يصرف نهر انسان الى أرضه ، وأنه لو اختصما اليه لقضى به لصاحبه ٠

وفر قبين حق الشفة وسقى الأرض ، فان سقى الأرض من نهر الغير الغير بضاحب النهر لأنه يحول دون سقى زرعه لعدم كفاية الما، ، وكثر الماء ، وكثر الفير بحلاف حق الشفة ، فانه لا يضر به .

وقد ورد فى حق الشفة أحاديث تحث عليه ، ولم يرد فى سقى السنزرع . وان شاء أدن بسقى الزرع ، وان شاء منع · أحاديث ، فقلنا بترك الأصر لصاحب الأرض ان شاء أذن بسقى الزرع ، وان شاء منع ·

قال أبو يوسف : " وليس لأهل هذاالنهسر (٢) أن يمنعوا أحدا أن يشرب منه للشفة ، ولهم أن يمنعوا من سقى الأرض •

قال: وكل من كانت له عين أو بئر أو قناة، فليس له أن يمنع ابن السبيل

⁽۱) رواه أحمد وابن ماجه من حديث ابن عباس ـ رضى الله عنه ـ تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق حدر العسقلاني ـ الدرايــة حد /ص ۲۶۱ م في تخريج الحديث الهداية ـ ـ ج ۲ / ص ۲۶۲ ۰

⁽٢) المراد بالنهر القناة التي يحفره في أرضه ويمر بها الماء ٠

من أن يشرب منها ويسقى دابته وبعيره وغنمه منها ، وليس له أن يمنع شيئا من ذلك الماء للشفه ، وشرب الشفة عندنا : الشرب لبنى آدم ، والبهائم ، والنعم والدواب وله أن يمنع السقى للأرض ، والزرع ، والنخل ، والشجر ، وليس لأحد أن يسقى شيئا من ذلك الا باننه ، فان أذن له ، فلابأس بذلك ، " (١)

ثم قال : " ألا ترى ; لو أن رجلا صرف نهر رجل الى أرضه ، واختصصا:
قضيت به لرب النهر ، ومنعت الذى قهره من صرف مائه الى أرضه ، من نهر كان
أو قناة ، أو عين ، أو بئر ، أو مصنعه ؟ ٠

ألا ترى: أن هذا يهلك حرث صاحب الماء ، وليس ماذكر ـ من سقــــى الحيوان ـ بمجمعف بصاحب الماء ؟ ••• وفصل (٢) مابين هذين الأحاديث التــــى جاءت في ذلك ، والســنــة " . (٣)

وقد استدل القاضى أبو يوسف بأحاديث رسول الله - صلى الله عليه وسلمر والآثار فى سقى الانسان والدواب والزرع ، بعد أن بيّن أبو يوسف أن صاحب النهر لا يجبر على سقى زرع غيره : بيّن بهذا الأثر الذى رواه عن ابن عمر أنه اذا فضل الما، عند صاحب النهر أو العين أو البئر فليس له أن يبيعه بل يسقى به زرع الغير الأقرب فالأقرب فالأقرب ، واستدل على هذا بنهى رسول الله - صلى الله عليه وسلم عن بيلع فضل المسلاء .

والخلاصة أن صاحب النهر مادام يحتاج الى مائه لسقى زرعه لا يعطيه لغيره

۱) أبويوسفن ٠م٠س-ص/ ٢٠٥ ، الرتاج-ن ٠م٠س- ج ١ / ص ١٣٢٠

⁽۲) وفصل أى فرق بين هذين الشريين فى الحكم والأحاديث التى جاءت فى ذلك ، أى فى جواز شرب الشفة ، وعدم جواز شرب الأرضين من المياه الخاصة بقوم معينين ، انه ورد فى حق الشفة أحاديث نحث عليه ، ولم يرد فى سقى الزرع حديث ـ الرحبى ـ ن ٠ م ٠ س ـ ج ١ / ص ١٣٨٠

⁽٣) ن٠م٠س ـ ص/٢٠٦، ن٠م٠س ـ جـ ١/ ص ٦٤٠٠

وان علم أن لديه فضلا من الماء زائدا عن حاجته أعطاه لغيره ان شاء ولا يبيعـــه لــه .
قال أبويوسف : الأثر عن عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جدّه ، قال : كتب غلام لعبد الله بن عمر الى عبدالله بن عمر :أمابعد _ فقدأعطيت بفضل مائى ثلاثيـــن ألفا ، بعد أن رويت زرعى ، ونخلى ، وأصلى (1) ، فان رأيت أن أبيعه ، وأشترى بثمنه رقيقا ، وأستعين بهم في عملك : فعلت ،

فكتب اليه : قد جاءنى كتابك ، وفهمت ما كتبت به الى ، وانى سمعــــت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول : " من منع فضل ماء ليمنع به فضــــل الكــلاً ، منعه اللــه فضله يوم القيامة " فاذا جاءك كتابى • فاسق نخلك ، وزرعك وأرضك ، وما فضل ; فاسق جيرانك ، الأقرب فالأقــرب ، والــلام " . (٢)

النهسى عن بيسع الماء الا أن يكون محرزا :-

أما بيع الماء فقد رأى القاضى أبو يوسف أن الماء ان أحرزه صاحبه كان وضعه فى اناء كالقدر أو الجرة أو بنى حوضا وتجمع فيه ماء المطر وهو المسادلة بالمضعة ، فحكم هذا الماء أنه ملك لصاحبه ، يجوز بيعه ، واذا احتاج الياسان لشربه أو شرب الحيوان فله منعه الا أن تدعو اليه ضرورة الشرب .

أما ما تجمع من السيول فهو كما سبق أن أوضحت العين والبئر (٣)
فيه حق الشفه ، وحق سقى الزرع بالاذن ، وليس لصاحبه بيعه ، لنهيه و صلى الله
عليه وسلم و عن بيع الماء والمراد به الماء اذا كان في أماكنه لا الماء المحرز ، وكذلك

⁽۱) أي شج____ري٠

⁽۲) يحى بن آدم - الخراج - ص ص / ١٠٥ ، ١٠٦ ، ن٠ م ٠ س - ج ١ / ١٤١ - ١٤٢ .

⁽٣) أنظر : شرب الشفة وسقى الزرع ص / ٢١٠٠

قوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ:" الناس شركاء في ثلاث المساء والكلاً والنار " .(١) المراد به أيضًا : الماء اذا كان في أماكنه ، أما المحرز فلا شركة فيه •

وهذا أعلى سمات الحضارة أن يكون الناس شركا، فيما لا غنى لهم عنييه ولم يكن للانسان سعى فى جمعه قانه يصير خاصا ويتصرفون فيه تصرفهم فى المملوك كالصيد والحطب بعد حيازتهما ٠

قال أبو يوسف: " ولا بأس ببيع الماء اذا كان في الأوعية: هذا، ماء قد أحرز ، فاذا أحرزه في وعائه فلا بأس ببيعه ، وان هيأ له مصنعة فاستقى منها بأوعيه حتى جمع فيها ماء كثيرا ، ثم باع ذلك فلا بأس ، فاذا كان انما يجتمع من السيول فلا خير في بيعه ، ألا ترى أنه لا يطيب للرجل أن يأخذ ماء من سقاء صاحبه الا باذنه وطيب نفسه الا أن يكون حال ضرورة يخاف منها على

واستدل أبو يوسف بحديث النهى عن بيع الماء الذي روته السيدة عائســـة - رضى الله عنها - عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قالت :" نهى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن بيع الماء • " (٣)

قال أبو يوسف: " وتفسير هذا عندنا ـ والله أعلم ـ أنه نهى عن بيعـه قبل أن يحـرز (٤) والاحراز لا يكون الا في الأوعية والآنيـة · فأما الآبــــار والأحواض : فلا " .(٥)

⁽۱) انظر تخریج الحدیث ص / ۱۰

⁽٢) أبويوسف ن ٠ م ٠ س - ص / ٢٠٦ ، الرحبي ن ٠ م ٠ س - ج ١ / صص ١٣٨ ، ١٣٩ ٠

⁽٣) ن ٠ م ٠ س - ص / ۲۰۸ ، ن ٠ م ٠ س - ج ١ / صص ۱۶۲ ، ۱۶۹ .

⁽٤) يحرز : يملك <u>• ن • م • س - ج ۱ / ص ٦٤٩</u> ٠

⁽a) <u>ن٠٩٠س</u> - ص / ۲۰۸ ، <u>ن٠٩٠س -</u> ج ١ / ص ٦٤٩ ،

اذا منع صاحب الماء غير المحرز الناس من الشرب وكانوا عطاشا ، فلهم أن يقاتلوه بالسلاح ، وليس لهم ذلك في الماء المحرز في الآنية الا اذا كان فيلل فضل عن حاجة صاحبه ، وكانوا مضطرين اليه ، والأثمر المروى عن عمر دليلل على جواز القتال لأنه قول صحابي وهو حجلة ،

قال أبو يوسف: " ولو أن صاحب النهر أو العين أو البئر أو القنالة منع ابن السبيل من الشرب منها ، وأن يسقى دابته أو بعيره ، أو شاته ، حتى خاف على نفسه : فأن أصحابنا كانوا يرون القتال على الماء ـ اذا خاف الرجل على الطعام نفسه ـ بالسلاح ، اذا كان في الماء فضل عمن هو معه ، ولا يرون ذلك في الطعام ويرون فيه الأخذ والغصب من غير القتال ٠

فأما الماء - خاصة - فانهم كانوا يرون فيه القتال اذا خيف على النفس ، قتال المانع منه ، وهو في المصانع والآبار والأنهار ، وقتال المانع منه وهو في في المصانع والآبار والأنهار ، وقتال المانع منه وهو في الأوعيادة الأوعيادة الأضطرار ، اذا كان فيه فضل (١) عمن هو في يده " .(٢)

واستدل أبو يوسف بحديث عمر : " ويحتجون فى ذلك ـ بحديث عمر ـ فى القسوم السّفر (٣) ، الذين وردوا ما ، فسألوا أهله أن يدلوهم على البئر ، فلم يدلوهم على البئر ، فقالوا : ان أعناقنا وأعناق مطايانا قد كادت تتقطع من العطش ، فدلونـــا على البئر ، وأعطونا دلـــوا نستقى به : فلم يفعلوا ، فذكروا ذلك لعمـــر

⁽۱) فضل: أى زيادة عن حاجة ، أبو يوسف ن ، م ، س _ ص / ٢٠٩ ،

⁽٢) ن٠م٠س ـ ص / ٢٠٨، ٢٠٩ ، الرحيى ٠ن٠م٠س ـ ج١ / ص ١٥٠٠

⁽٣) السّفر: أي المسافرون • ن • م • س - ج ١ / ١٥١ •

ابن الخطاب - رضى الله عنه - فقال : فهللا وضعتم فيهم السلاح (١) ". (٦)

حكـــم الأنهار العظــام:-

يرى أبو يوسف أن الأنهار العظام كدجلة والفرات والنيل ، منفعة عامسة لسكان الدولة الاسلامية ، وليس لجماعتهم ولا لأحد منهم ملك فيها : ينتفعون بها كل الانتفاعات كشق الأنهار الخاصة وحتق الشفة وسقى الزرع ، الا أن شق الأنهار مقيد بعدم الضرر بحافة النهر • واصلاح هذه الأنهار على ولى الأمر نفقته من بيت المال ، فان لم يكن فيبيت المال ماينفق منه ، ينفق من مال العامة ويجبرون على ذلك لأن مصلحتها لهم ، كما أن على ولى الأمر المالية مسنياته وهى حافته التى بها فتحات يخرج منها الماء للسقى •

والأنهار العظام ليست ملكا لأحد كما قلنا بخلاف النهر الخاص بيسن جماعة ، فانه ملك لهم ، ولهذا تكون الشركة فيه سببا لأخذ كل واحد من أهله الأرض المجاورة له يالشفعة ، (٣) للشركة في الشرب بخلاف الأنهار العظلام فانها لا تكون سببا للشفعة ،

قال أبو يوسف : " والمسلمون جميعا شركا، فى دجلة والفرات ، وكل نهر عظيم نحوهما ، أو واد يستقون منه ، ويسقون الشفة ، والحافر (٤) ، والخفي (٩) وليس لأحد أن يمنع ٠٠٠ وعلى الامام كرى هذا النهر الأعظم الذى لعامة المسلميسين

⁽۱) أى أباح قتالهم بالسلاح • الرحبي - ن • م • س - ج ۱ / ص ١٥١ •

⁽٢) أبويوسف · ن · م · س - ص / ٢٠٩ ، ن · م · س - ج ١ / ص ١٥١ .

⁽٣) الشفعة : أخذ الشريك أو الجار ، الأرض المشتركة أو المجاورة اذا باعها صاحبها جبرا •

⁽٤) الحافر: الخيل والبغال والحمير •ن • م • س - ج ١ / ص ١٥٢ •

⁽٥) الخف: الإسلى • ن • م • س •

ان احتاج الى كرى ، وعليه أن يصلح مسنياته اذا خيف منه ، وليس النهر الأعظلام الذى لعامة المسلمين كنهر خاص لقوم ليس لأحد أن يدخل عليهم و ألا ترى : أن أصحاب هذا النهر فيه شفعاء : لو باع أحدهم أرضا له ، ولهم أن يمنعوا مسن أراد أن يسقى أحد من نهرهم أرضه أو نخله أو شجره ، وليس الفرات ودجلسة كذلك ؟ فان الفرات ودجلة يسقى منهما من شاء، وتمر فيهما السفن ، اذا يكونون فيهما شفعاء لشركتهم في الشرب " و (۱)

حكــــم المشرعـة :-

المشرعة : هي الطريق الذي ينزل منه الناس للمسساء •

وحكمها أنها اذا لم تكن ملكا لأحد ، فليس لمن اتخذها مشرعة ولا لواحد مسن المسلمين أن يأخذ أجرا على المرور فيها ، ولا على وقوف الحيوان بها ، ولا أن يمنع مرور الناس بها ، ولو كانت أرضا مواتا ، أما اذا ملكها صاحبها بعقد أو باقطاع من الامام فله أن يوجرها لايقاف الحيوان لأنه آجر ملكه ، وان تعينت طريقال الى النهر : بأن لم يكن لمن أراد المرور بها طريق أخرى ، فليس له أن يمنعا

ولو أن جماعة اتخذوا في أرض لا ملك لأحد فيها مشرعة ليستقوا منها، فأراد آخرون أن يمروا بها للسقى فليس لهم أن يمنعوهم ، الا اذا كان مرورهم يدخلل ضررا على من اتخذوها لذلك فلهم أن يمنعوهمم لقوله على الله عليه وسلم :" لاضمرر ولا ضرار " . (٢)

⁽۱) أبو يوسف ن ٠ م ٠س - ص/ ٢٠٩ ، الرحبي - ن ٠ م ٠ س - ج ١ / ص ١٥٦ ـ ١٥٤ .

⁽٢) أخرجه الدارقطنى عن أبى سعيد سعد بن مالك بن سنان الخدرى • زين الدين أبى الفرج عبد الرحمن بن شهاب بن أحمد بن رجب الحنبلى البغدادى _ جامع العلوم والحكم في شرح خمسين ==

وهي أحكــــام غايــــة فيالعدل والرحمـــة ٠

قال أبو يوسف: " ولو أن رجلا اتخذ مشرعة فى أرضه على شاطى، الفرات أو دجلة • ليستقى منها السقاون ، ويأخذ منهم الأجرة ان ذلك لا يجوز ، ولايصلح لأنه لم يبعهم شيئا ، ولم يواجرهم أرضا : ولو قبتل (١) هذه المشرعة التى فى أرضه كل شهر بشى، مسمى ، تقوم فيه الابل والدواب (٢) ، كان ذلك جائزا • فهذا قد آجر أرضا لعمل مسمى ، ولو استأجر رجل قطعة منها يقيم فيها بعير أو دابةيوما-جازذلك واذا كانت هذه المشرعة لا يملكها الذى اتخذها فليس ينبغى له ذلك ولا يملح له • "(٣)

ثم قال: " وان كانت الأرض له فأراد المسلمون أن يمروا في تلك الأرض ليستقوا الماء، فمنعهم من ذلك فان الامام ينظر في ذلك، فان لم يكن لهم طريق غيره لم يكن له أن يمنعهم، ومروا في أرضه ومشرعته بغير أجر ولا كسري لأنه لا يستطيع أن يمنع الشفة (3)، وان كان لهم طريق غير ذلك، كان له أن يمنعهم من الممسر، من واذا اتخذ أهل المحلة مشرعة لأنفسهم، يستقون منها المساء فليس لهم أن يمنعوا أحدا من الناس يستقى منها وفان كان في ذلك ضرر عليهم في قيام الدواب والابل ٥٠ منعوهم من ذلك، فأما غيرهم فلا يمنعوهم ١٠٠٥)

⁽ع) حديثا من جوامع الكلم ـ ص/٢٦٥ ـ (دار الفكر ـ بيروت) ـ ومعنى الحديث أى لا تضر غيرك ٠

⁽١) قبل : أي أجِّر ٠

⁽٢) يعنى لو أعطى المشرعة التى فى أرضه المملوك قبالة أى بالأجر كل شهر أو سنة لأجل أن تقف فيها دوابه كان ذلك جائزا لأنه أعطى أرضه بالأجرة بخلاف ما اذا آ جر مشرعة فى أرض مسوات لأنها مباحة للناس جميعا وليست ملكا له • الرحبى • ن • م • س - ج 1 / ص ٦٥٥ .

⁽۳) أبو يوسف - ن · م · س - ص/۲۱۰ ، ن · م · س - ج ۱ / صص ۲۰۶، ۲۰۰۰

⁽٤) اذا لم يكن لهم طريق غير هذا المكان تعينت أرضهم طريقا لأنه يريد الشفة من الماء ولا يجوز له أن يمنع الشفة •

⁽٥) ن٠م٠س ـ ص / ٢١٠، ن٠م٠س ـ ج ١ / صص ١٥٦، ٢٥٢٠

النهـــر الخـاص:-

سأل أمير المومنين قاضيه أبا يوسف عن رجل له نهر خاص به يسقى منه زرعه ، فسال الماء من أرضه الى أرض غيره فأغرقها ماحكمه ؟

فأجابه أبو يوسف : اذا سقى زرعه من نهره وتفجر الماء الى زرع غير معتادا لأن المالك اذا استعمل ملكه استعمالا معتادا لا شئ عليه ، ان كان السقى معتادا لأن المالك اذا استعمل ملكه استعمالا معتادا لا يضمن ما يترتب عليه ، وعلى صاحب الزرع أن يحصن زرعه واذا سقاه سقيا غير معتاد ، كأن كانت الفتحة واسعة أو كانت أرضه عاليه وأرض جاره واطئية، أو تعمد أن يفتح ليغرق زرع غيره ضمن ،

قال أبو يوسف : " وسألت عن الرجل يكون له النهر الخاص به ، فيسقى منه حرثه ، ونخله ، فيحره ، فيتفجر ما ، من نهره في أرضه ، فيسيل المللمان من أرضه الى أرض غيره ، فيغرقها الله المللمان ؟

قال : ليس على رب النهر - فى ذلك - ضمان ، من قبل أن يكون ذلك من ملكه ، وكذلك لو ننزت أرض هذا من الماء ففسدت ، لم يكن على رب الأرض الأول شىء وعلى صاحب الأرض التى غرقت أو نزت أن يحصن أرضه ٠

ولا يحلّ لمسلم أن يتعمد أرضا لمسلم أو ذمى بذلك ليغرق حرثه فيها، يريد بذلك الاضرار به ، قد نهى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم كن الضرار فقال: " ملعون من ضار مسلما أو غيره " (١) وان عرف أن صاحب النهر يريد أن يفتح الماء في أرضه للاضرار بجيرانه والذهاب بغلاتهم، وتبين ذلك، فينبغي للامام أن يمنع الاضرار بهم "(٢)

⁽١) تحفة الأحوذي - أخرجه الترمذي في أبواب البر، بَاب ماجاء في الخيانة والغشج ٦/ص ٧٢٠

⁽٢) أبو يوسف · ن · م · س - صص/ ٢١١ ، ٢١٢ ، الرحبي · ن · م · س - ج ١ / ص ١٥٨ ـ ٠٦٦٠

حكم الميد في أرض الغير:-

ثم تتابعت آراء القاضى أبى يوسف فقال : رأيه فى الصيد _ سواء كـــان بحريا كالسمك أو بريا كالغزال • فاذا كان فى أرض رجل ماءبه سمك ، أو دخــل حيوان برى مما يصاد كالغزال والأرنب فى أرضه ، فدخل شخص وصاد هـــذا الحيوان ملكه لأنه مباح _ سبقت يده اليه ، لكن له أن يمنعه من دخول أرضــه •

ولو أن صاحب الأرض هيأ طريقة للصيد فصاده انسان منها لا يملكه، كأن حفر أحواضا دخلها السمك بحيث يوخذ بسهولة أو نصب شبكة فوقع فيها غزال ، وذلك لأنه بتهيئته طريقة للصيد يكون هو الصائد فيملك الصيد بذلك ، فلا يجوز أن يدخل أحد أرضه ويأخذ هذا الصيحة .

قال أبو يوسف : " ولو اجتمع فى أرض ٠٠٠ السمك فى الما، فصاده رجـل ٠٠٠ كان للذى صاده ، ولم يكن لرب الأرض ٠

ألا ترى ن أن رجلا لو صاد ظبيا فى أرض رجل ، كان له ، فكذلك كالله من السمك ، ولصاحب الأرض أن يمنعه من العودة الىذلك ، وأن يدخل أرضه ، فان عاد فصاد فهو له وليس عليه فيه شى ، فأما المحظور عليه من السمك الذى يوخذ بالبحد ، فان صاده رجل ، فهو لرب الأرض ، " (1)

اذا كان لشخص أرض ويريد اجراء الماء اليها من أرض غيره بغير اذنه فليس له ذلك ، وان حفر قناة طمت ، وان اذن له اذنا غير موقت فحفر أو بنـــــى

⁽۱) ن٠٩٠س ـ ص/ ۲۱۲ ، ن٠٩٠س ـ ج ۱/ صص ١٦٠ ، ١٢١٠

كان لصاحب الأرض أن يزيل ما فعل ، لأن الأرض عارية (1) ولصاحب العارية أن يسترجعها متى شاء ، وان كان الاذن مؤقتا فبنى المأذون له أو حفر لا يسترجعها المالك الا بعد مضى المدة فان أراد أن يسترجعها قبل ذلك ضمن البناء لأنه غرّه باعطائه مدة معينة ورجعها ، ولم يضمن له الحفر ، لأنه اذن له فيه .

قال أبويوسف: " ولو أن رجلا احتفر نهرا أو قناة أو بئرا في أرض لرجل بغير اذنه ، فله أن يمنعه من ذلك ، وأن يأخذه بطهم ما أحدث من الحفول في أرضه ، فان كان ذلك أضر بأرضه ، ضمن قيمة ذلك الفساد ، وهو مانقص مول أرضه بالحفر ولو أن رجلا له قناة ، فاحتفر رجل بجنبها قناة فأجراهوا من تحتها أو من فوقها ، كان لماحب القناة أن يمنعه من ذلك ، ويأخذ بطمها ، فان كان اذن له في احتفارها ، فحفرها ، فله أن يمنعه بعد ذلك اذا شورا) ، ولا غرم عليه في الاذن ، ماخلا خملة واحدة ، أن يكون أذن له ، ووقت له وقتا ا ، شمن على هذا ، ضمن له قيمة البناء ولم يضمن له قيمة البناء

حــق المجــــرى :-

وتكلم أيضًا عن حق المجرى ، وهو حق اجراء الماء من أرض شخص الى أرض شخص آ خــــــر ٠

⁽١) العارية: اعطاء المنفعة بلا مقابل، والأجرة اعطاء المنفعة بمال معلوم • الرحبين • م • و الرحبي • (١)

⁽۲) فله أن يمنعه بعد ذلك اذا شاء : أى لأنها بيده عارية يستردها المعير متى شا٠٠ ن ٠ م ٠ س ج ١ / ص ١٦٥ ٠

⁽٣) أبويوسف <u>ن مُ م س ص ح ٢١٣</u> ، ٢١٣٠ ، <u>ن م م س</u> - ج ١ / ص ٦٦٤ ـ ٢٦٦ ،

فان كان الماء جاريا وأراد صاحب الأرض التى فيها المجرى أن يمنعــــه من اجراء الماء ، فليس له ذلك ، لأن باجراء الماء فيه كانت له يد عليه ، وان كــان النهر موجودا ولا يجرى فيه الماء فادعى صاحب الأرض التى يريد سقيها أنه كـــان يجرى منه الماء الى أرضه ، وادعى ملكيته للنهر أو حق المجرى ، وأقام البيلية علــى ما ادعـى قبلت ، وكان له المجرى وله حريمه من الجانبين لالقاء التراب عند تنظيفه ، وليس له القاء التراب خارج الحريم ، ولا فرق فى الحكم فى أن يمر المجرى فى أرض لشخص أو فى أرضين لشخصين الواحدة بعد الأخرى .

قال أبويوسف: " ولو أن رجلا له نهر فى أرض رجل يجرى ، فأراد رب الأرض أن لا يجرى النهر فى أرضه ، فليس له ذلك ، اذا كان جاريا فيها جعلته جاريا فيها كما هو لأنه فى يديه على حاله ، فان لم يكن فى يديه ولم يكن جاريا سألتك البينة أن هذا النهر له ، فان جا، ببينة قضيت له به ، وان لم تكن له بينة على أصل النهر وجاء ببينة على أنه قد كان مجريا فى هذا النهر يسوق الما فيه اللي أرضه حتى يسقيها أجزت له ذلك ، وكان له النهر وحريمه من جانبيه يكريك فاذا أراد أن يعالج نهره لكريه ويصلحه ، فمنعه صاحب الأرض ، لم يكن للمنعه من خالك ، وكان نهره فى حريمه ، ولا يدخل عليه فلي منعه من ذلك ، ويطرح ترابه على حافتى نهره فى حريمه ، ولا يدخل عليه فلي أرضة من ذلك مايضر به وكذلك لو كان نهره ذلك يصب فى أرض أخرى ، فمنعه صاحب الأرض السفلى ، المجرى ، فأقام بينته على أصل النهر أنه له ٠٠ أجريت خلك ، وأجرى ماؤه فى أرضيك ، " (۱)

فأين فى الحضارات هذه الأصالة فى اثبات الحقوق ، وهذا التنظيم للعلاقات بين الزراع ، ومن هنا سعد المسلمون واستطاعوا أن ينتجوا من أراضيهم مايكفيهم ويزيد على حاجتهم ، ليصدر الى غيرهم فى بلاد الاسلام .

⁽۱) <u>ن٠م٠س</u> صص/ ۲۱۲، ۲۱۳، ۲۱۳ ن٠م٠س - ج ۱/ ص ۲۲۱ـ ۲۲۶ ٠

" " المبحـــث الثالـث " "

مقترحاته الخاصة بأساليب العمل الاداريسة

•••

وقد عكس القاضى أبو يوسف فى مقترحاته الخاصة فى اطار معـــدلات الجباية الماليــة ، خبرته الواسعة التى أثرى بها الادارة الماليـة فى الدولــــة الاسلاميــة ،

وكان لتوجيهاته وآرائه الأثر الكبير ، في تعديه مسار العمهال ورد الادارى بما يحقق مصلحة الكافهة ، واستقامة ميزان العدالة التي تحرص عليها الدولة الاسلامية ، واستقرار الأوضاع العامة وشيوع الأمن والاستقرار الذي يعتبره حجر الزاوية في العمل الادارى للدول .

المفات الواجب توافرها في ولاة الخراج:--

وقد عالج أبو يوسف هذا الأمر ، بنصحه أمير المومنين هارون الرشيد ـ بأن يولى جباية الخراج رجالا عرفوا بالصلاح والفقه فى الدين ، والعدالــــــــــة والعفة والأمانــــة ، ولا يخافون فى اقامة أحكام الله لومة لائــم ، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكـر ، يطمعون فى الجنة ، ويخشـون عذاب النار ، أهلا للشهـادة ان شهـدوا ، عدولا فى أحكامهم ان قضـوا ، عندهم بصر بالأموال ليعرفــوا جيدهـا ووسطها ورديئها ، فيأخذون فى الخراج الوسط من أموال الناس ، دون عسـف أو ظلم لأحـــــد .

ونصحه أيضًا أن يتعرف على أحوالهم وطرائقهم فى الجباية للمحافظ على أموال الدولة التى هى حتق لجميع الرعية وقد كان لذلك أشره فى سيرة الرشيد مع عماله ، وقد حكى الطبرى : " أن يحى بن خالد بن برمك ، ولّى رجلا بعض أعمال الخراج بالسواد ، فدخل يودّع الرشيد ٥٠ وكان عنده جعفر بن يحى ويحى فقال لهم الرشيد أوصياه ، فقال له يحى : وفروا عمر ، وقال له جعفر : انصف وانتصف ، وقال له الرشيد : اعدل وأحسن ." (١)

قال أبو يوسف: " ورأيت ـ أبقى الله أمير المؤمنين ـ أن تتخير قوما من أهل الصلاح والدين والأمانة ، فتوليهم الخراج ، ومن وليت منهم ، فليكن فقيها عالما مشاورا لأهل الرأى ، عفيفا لا يطلع الناس منه على عورة ، ولا يخاف فــــى الله لومــة لائـم ، ما حفظ من حق وأدى من أمانة احتسب به الجنة ، وماعمــــل به من غير ذلك خاف عقوبة الله فيما بعد الموت ، تجوز شهادته ان شهد ، ولايخاف منه جـور في حكم ان حكم : فانك انما وليته جباية الأموال وأخذها من حلهـــا ،

⁽١) الطبرى - تاريخ الأمم والملوك - ج ٨/ صص ٣٥٢ ، ٣٥٣ (ط ٠ أبو الفضل) ٠

اليك

وتجنب ما حرم منها ، يرفع من ذلك مايشاء ، ويحتجن منه مايشاء ، فـــاذا لم يكن عدلا ثقة أمينا فلا يوتمن على الأموال ، ٠٠٠ وقد يجب الاحتياط فيمن تولى شيئا من أمر الخراج والبحث عن مذاهبهم (١) ، والسوال عن طرائقهم كما يجب ذلك فيمن أريد للحكم والقضاء . " (٢)

ثم قال: " لا تول النفقـة على ذلك الا رجـلا يخاف الله يعمل فــى ذلك بما يجب لله عليه ، قد عرفت أمانته ، وحمد مذهبه ، ولا تول من يخونـــك ويعمل فى ذلك بما لا يحـل (٣) ولا يسعه ، يأخذ المال من بيت المـــال لنفسـه ومن معه ، ويدع المواضع المخوفة ويهملها ولا يعمل عليها شيئا يحكمها به حتى تنفجـر ، فتغرق ماللناس من الغلات وتخرب منازلهم وقراهم "(٤)

مبدأ المراقبية والمتابعية :-

اقترح القاضى أبو يوسف على أمير المومنين أن تكون الرقابة على العمال في تنفيذ ما وضع من الخراج على أهله ، فان ثبت على أحد منهم مخالف فيجب فصله من عمله ، وتأديبه بما يردعه ويمنع غيره من هذا الظلم ، وبين للخليفة بأنه ان لم يفعل ذلك ، زعم بعض الناس بأن الخليفة قد أمر بهذا الظلم من عمله في حين أن واقع الحال خلاف ذلك ، وهذا في الواقع جماع الأصر في اصلح أمر الجباية وحماية أهل الخراج من ظلم الجباة وعسفهم .

⁽۱) طرائقهم : أي سيرهم من العدل والجور _ الرحبي • ن • م • س - ج ۲ / ص ١١ •

۳) أبو يوسف _ ن · م · س _ ص / ۲۲۷ ، الرحبى : ن · م · س _ ج ۲ / ص ٩ ـ ١١ ·

۲۸ ص ۲۸ ج - ن٠٩٠٠٠ ج ۲ / ص ۲۸ ٠

⁽٤) ن٠م٠س - ص / ٣٣٣ ، ن٠م٠س - ج ٢ / ص ص ٢٧، ٢٨٠ ومن صعه : أي الأعوان ٠

قال أبويوسف: " وأنا أرى أن تبعث قوما من أهل الصلاح والعفاف، ممن يوثق بدينه وأمانته ، يسألون عن سيرة العمال ، وما عملوا به فى البلد وكيف جبوا الخراج على ما أمروا به ، وعلى ما وظف على أهل الخراج ، فاذا ثبل خلاف ذلك عندك ، وصحّ أخذوا بما استففلوا من ذلك أشد الأخلذ ، حتلى يردوه بعد العقوبة الموجعة والنكال ، حتى لا يتعدوا ما أمروا به ، وما يعهد اليهم منه ، فان كل ما عمل به والى الخراج من الظلم والتعلف ، فانه يحمل على أنه قد أصر به ، وقد أمر بغيره له فاذا أحللت بواحد منهم العقوبة الموجعات الموجعات النها انتهى غيره واتقى وخاف ، وان لم تفعل هذا تعدّوا على أهل الخراج ، واجتسرو وا على تعسفهم ، وأخذهم بما لا يجب عليهم ٠

واذا صح عندك من العامل والوالى تعد وظلم وعسف وخيانة لك فى رعيتك، ٠٠٠٠٠ فحرام عليك استعماله والاستعانة به ، وأن تقلده شأنا من أمور رعيتك، أو تشرك فى شى من أمرك، بل عاقبه على ذلك عقوبة تردع غيره من أن يتعرض لمشلسل ما تعرض له ٠٠٠ " (١)

شمبلغ أبو يوسف الغاية في احكام الادارة والاشراف عليها ، وذلك بالأخذ بمبدأ المتابعة والمراقبة ، فنصح الخليفة أن يوجه الى الوالى من يتعرف أسلباب التقمير في حماية المخوف من الأنهار ، متى تفجرت مياهه ، وما الذي كان يجلب عليه أن يطلبه من الخليفة ، حتى لا يحلث عليه أن يعمله ، وما الذي كان يجب عليه أن يطلبه من الخليفة ، حتى لا يحلث الانفجار ، وما السبب في حدوثه ؟ ولم أخلر العمل وقصر ، حتى كان ما كلان ثم نصحه بعد أن يبلغه الخبر أن يعامل الوالى بما يستحق من حمد ومكافأة أو انكار عليه وتأديب له ليكون عبرة لغيره .

⁽۱) ن٠م٠س ـ ص / ۲۳۶ ، ن٠م٠س ـ ج ۲ / صص ۲۹، ۳۰٠

قال أبويوسف: " • • • • ثم وجه من يتعرف مايعمل به واليك علـــى هذه المواضع ، المخوف منها ، وما يمسّـك من العمل عليه • • مما قد يحتــاج الى العمل ويتعرف ماتفجر ، وما السبب في انفجاره ؟ ولأيّـة علة أخّـر العمــل عليه ، وأحكامه حتى انفجر ثم يعامل [الوالي] على حسب ما يأتيك به الخبـــر عنه من حمد لأمره أو ذم وانكار وتأديب " • (1)

⁽۱) ن٠م٠س ـ ص / ۲۳۲ ، ن٠م٠س ـ ج ۲ / صص ۲۸ ، ۲۹ ،

السياسة الحكيمة في معاملة الولاة للرعيسة :-

نصح أبو يوسف أمير المومنين ألا يكون عماله ظالمين للرعية ، ولا محقرين للهـم ، لا يشتدون فى معاملتهم ، ولا يسترسلون فى الرفق ، بل يمزجون الشـــدة بالرفق ، ويضعون كل معاملة فى موضعها اللائمة بها ٠

قال أبو يوسف: " وتقدم الى من وليت أن لا يكون عسوفا لأهل عمليه ولا محقرا لهم ولا مستخفا بهم ، ولكن يلبس لهم جلبابا من اللين يشوبه بطرف من الشدة • والاستقصاء من غير أن يظلموا أو يحملوا مالا يجب عليهم ، والليسين للمسلم ، والغلظة على الفاجر ، والعدل على أهل الذمة ، وانصاف المظلوم ، والشدة على الظالم ، والعفو عن الناس : فان ذلك يدعوهم الى الطاعة " . (1)

وقد استشهد أبويوسف بالأثر عن القاسم قال : كان عمر بن الخطـــاب اذا بعث عماله قال : انىلم أبعثكم جبابرة ، ولكن بعثتكم أئمة ، فلا تضربوا المسلمين فتذلوهم ولا تحمدوهـم (٢) فتفتنوهم ، ولا تمنعوهم فتظلموهم ، وأدروا لقحــة (٣) ، المسلمين " . (٤)

ثم تتابعت نصائح أبو يوسف لأمير المؤمنين بالا يولى عاملا أو واليا ظلم أو خان الرعية ، استباح لنفسه شيئا من مالها ، ومن فعل منهم ذلك يجمعيا معاقبته لردعه حتى يكون عبرة لغيره ، ثم حذره من دعوة المظلوم ، فليس بينها

⁽۱) ن٠م٠س - صص/ ۲۲۲، ۲۲۸، الرحبي - ن٠م٠س - ج ٢/ صص ۱۱، ١١٠

⁽٢) تحمد وهم: أي على مافعلوا من البر نن ٠ م ٠ س ح ٢/ ص ٥٩ ٠

⁽٣) أدروا لقحة المسلمين: أى أدوا حقوقهم، والعبارة فيها استعارة، والمراد بالدر الحلب، واللقحة إناقة التى ولدت واصبحت ذات لبن ـ ن ٠ م ٠ س ـ ج ٢ / ص ٥٩ ٠

⁽٤) ن٠مس ج٢/ص ٨٥، ٥٥.

وبين الله حجاب ٠

قال أبو يوسف: " واذا صح عندك من العامل والوالى تعد وظلم وعسف وخيانة لك فى رعيتك، واحتجان شى من الفى ، أو خبث طوية ، أو سو، سيسرة فحرام عليك استعماله والاستعانة به ، أو تقلده شأنا من أمور رعيتك ، أو تشركسه فى شى من أمرك ، بل عاقبه على ذلك عقوبة تردع غيره من أن يتعرض لمثل مسسا تعرض لسه (1) ، واتق دعوة المظلوم فان دعوته مجابة ، " (٢)

وقد استجاب أمير المو منين لنصيحة أبي يوسف ومن الأمثل المواطنة على ذلك :-

أن الخليفة هارون الرشيد ولى على بن ماهان على خراسان عــام الله (٣) فظلم الناس وأخذ أموالهم ، وجمع منهم الهدايا قسرا ، وجاءبها الـــى الرشيد وهى هدايا من الخـيل والرقيق والأموال والثياب ولما فعل ذلك كتب رجال من كبرائها وجماعة من كورها يشكون سوء سيرته وسياسته وظلمه لهم الى الخليفــة هارون الرشيد و

قال الطبرى: " عاث على بن عيسى بخراسان ووتّر أشرافها ، وأخـــــذ أموالهم، واستخف برجالهم ، كتب رجال من كبرائها ووجوهها الى الرشيد، وكتــب جماعة من كورها الى قراباتها وأصحابها ، تشكو سوء سيرته ، وخبث طعمته ورداءة مذهبه ، وتسأل أمير المومنين أن يبدّلها به من أحب من كفاته وأنماره وأبناء دولتـه وقواده " (٤) -

⁽۱) ن ٠ م ٠ س - ص / ٢٣٤ ، ن ٠ م ٠ س - ج ٢ / صص ٢٠٠ ، ٢١٠

⁽۲) أخرجه البخارى فى كتاب الجهاد ، باب اذا أسلم قوم فى دار الحرب ولهم مال وأرضون فهى لهم ـ ج ۲ / صص ۸۷، ۸۷۰

⁽٣) ابن الأثير _الكامل في التاريخ _ ج ٥/ ص ١٠٢ ٠

⁽٤) الطبرى ـ تاريخ الأمم والملوك ـ ج ٨ / ص ٣١٥ ٠

فلما تبين لهارون الرشيد خيانته وسوء معاملته لأهل خراسان ، بعث له كتابا مسع (۱) هرثمة بن أعين بخلعه ومصادرة. أملاكه لأنه خالف العهد عام ۱۹۱ه •

وأيضا كتب كتابا لهرثمة بن أعين وأعطاه له على ألا يفضّه ويطّلع على مافيه حتى ينزل نيسابور ، ويعمل بما فيه (٢) ثم ولاه خراسان وخراجها ، على أن يتقى اللـــه ويطيعه ويعمل بما جاء في الكتاب والسنة ، فيحل حلالها ويحرم حرامها وان تشابه عليه شيء سأل عنه أهل الفقه والعلم ٠

وأمره أن يصادر أموال على بن عيسى التى أخذها من خراج المسلمييين وينظر في حقوق المسلمين والمعاهدين ، ويرد على كل ذي حق حقه ، (٣)

ومن أمثلة من عزلهم أمير المؤمنين هارون الرشيد لظلمهم ::

والى مصر موسى بن عيسى • ففى عام ١٧٦ ه كثر تظلم أهل مصر من الوالــــى موسى بن عيسى ، فعزله الرشيد وولى مكانه عمر بن مهران ، فسار اليها علـــــى بغل وصعه غلامه أبو درة على بغل آخر • وحينما وصل عمر بن مهران الى مصــر وبقى ثلاثة أيام يتعرف على أحوال أهل مصر ويتحقق من ظلاماتهم ، ثم توجه فى اليوم الرابع الى دار الامارة ، وسلم كتاب أمير المومنين الى موسى بن عيسى بعزله ، ثم عرفه بنفسـه • • أنه عمر بن مهران الذى سيتولى شئون مصر من بعده ، فقال موسى بيسـن عيسى عيسى بين عيسى بين عيسى بين عيسى بين عيسى بين عيسى بين عالم موران الذى سيتولى شئون مصر من بعده ، فقال موسى بين عيسى : لعن الله فرعون حين يقول : (أليس لى ملك مصر) • (٤)

⁽۱) الطبرى ـ ن ٠ م ٠ س ـ ٨/ ص ٣٢٧ • ابن كثير ـ ن ٠ م ٠ س ـ ج ١٠/ ص ٢١٤ • نص كتــاب الرشيد الى عيسى بن ماهان في الملحق رقم (٣) •

⁽۲) ابن كثير <u>-ن ۰ م ۰ س</u> - ج ۱۰/ ص ۲۱۶ ، الخضرى <u>- تاريخ الدولة العباسية - ج ۲/ ص</u> ۱۰۹ ، الخضرى <u>- المناسية - ج ۲/ ص</u> ۱۰۹ ، - ۲۲ ص ۱۱۰ ، ن ۰ م ۰ س - ج ۸/ ص ۳۲۷ ،

⁽٣) الطبرى - ن ٠ م ٠ س - ج ٨ / صص ٣٢٧، ٣٢٨، ابن كثير - ن ٠ م ٠ س - ج ١٠ / ص ٢١٤، الخضرى تاريخ الدولة العباسية - ج ٢ / صص ١٠٩، ١١٠ نص كتاب الرشيد الى هرثمة بن أعين قى الملحق رقم (٤) ٠

⁽٤) سورة الزخرف، آيـة (٥١) .

فسلم اليه العمل ، وقام عمر بن مهران بعمله خير قيام ، فأنمف المظلوميس ورد الحقوق الى مستحقيها ، وجد فى جمع خراج مصر ، وكان لايقبل من الهدايـــا الا ما كان ذهبا أو فضة أو ثيابا ، وكان يكتب على كل هدية اسم صاحبها ، واذا تعذر على أحد دفع الخراج باع هديته وأدى خراجه من ثمنها ، وقد ماطله قوم منهم ولـــم يدفعوا ، فأخذ رجــلا منهم وأقسم عليه أن لا يدفع الخراج الا فى بغداد حتى يكــون عبرة لغيره ، فلم يتسلمه منه الا فى بغداد ، وبعد ذلك لم يتوانى أحد عن الدفــــع حيث أنتظم أمر الجباة واستقر ، (1)

• -----

عدم جواز هبة الخراج الاباذن الامام:-

الخراج حق لجميع المسلمين ومكانه بيت المال ، وقد نصح أبو يوسف أمير المومنين الرشيد ألا يهب والى الخراج لأحد من الرعية شيئا من الخراج ، لأن هذا تفيين على الحقوق المستحقين للفيء ، الا اذا رأى الامام في ذلك كثرة للخراج ومصلحة للمسلمين .

قال أبو يوسف : " لا يحل يا أمير المومنين لوالى الخراج أن يهب لرجل من خراج شيئا ، الا أن يكون الامام قد فوّض ذلك اليه • فقال له : هب لمن رأيـــت أن فى هبتك له صلاح الرعية واستدعاء الخراج • " (1)

فلا يحق لوالى الخراج أن يهب شيئا من الخراج ، الا أن يكون متقبـــلا للخراج أى ملتزما لأدائه ، اذا رأى فيه مصلحة للمسلمين ، وكذلك يجوز للمتقبــل اذا فوض له الامام الهبة ، أن يهب شيئا من الخراج اذا كان فى ذلك مصلحة ، ويســع الموهوب له أن يقبل ، ولا تجوز الهبة فى غير هاتين الحالتين ٠

قال أبو يوسف : " لا يحل لوالى الخارج أن يهب شيئا من الخراج الا أن يكون الوالى متقبلا للخراج ، فتجوز له الهبة ، ويسع الموهوب له أن يقبل ، أو يكون الامام قد رأى الصلاح تفويض خراج صاحب الأرض اليه ، فيجوز له ويسعه أن يقبله ، وليس يجوز هبة من الخراج الا للامام ، أو لمن يأذن له الامام فىذلك ، اذا كــــان يرى أن فى ذلك صلاحـا ، " (٢)

⁽۱) أبويوسف • ن • م • س - ص / ۱۸۹ ، الرحبي • ن • م • س - ج ۱ / ص ٥٨٧ •

⁽۲) ن٠م٠س - ص/ ۱۸۹ ، ن٠م٠س - ج ۲/ ص ۸۸۷ ،

لا يجوز تحويل الأرض الخراجية الى عشرية ولا العكس :-

أوضح القاضى أبو يوسف أنه لا يجوز أن تحول أرض الخراج الى عشر لأن الخراج فيه حق لجميع المسلمين ، ولا أرض عشر الى أرض خراج ، لأن العشر زكاة يستحقها المذكورون في آية المحقات ، قال تعالى : " انما المحقات للفقراء والمساكيون والعاملين عليها والمولفة فلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابوسين السبيال "٠(١)

فقول أبو يوسف بعدم جواز تحويل الأرض الى عشرية أو خراجية رأى سديد فلو أجيز للوالى فعل ذلك لأدى هذا الى اعطاء الحق لغير أهله ٠

قال أبويوسف: " لا يحل لأحد أن يحول أرض خراج الى أرض عشر ، أو أرض عشر الى أرض خراج ، وذلك أن يكون للرجل أرض عشر والى جانبها أرض خراج ، وذلك أن يكون للرجل أرض عشر والى جانبها أرض خراج ، فيستريها فيصيرها مع أرضه ، ويودى عنها الخراج ، فهذا جزما (٢) لا يحسل في الأرض والخراج ، " (٣)

أسلوب العمل السليم للمحافظية على محصول الزرع:-

ومن أساليب العمل المقترحة من أبى يوسف لأمير المؤمنين للمحافظة على المحاصيل الزراعية ، أن يأمر عماله بسرعة حصاد الزرع وسرعة دياسته ونقلصه (3) الى البيادر حتى لا يعتدى عليه الفلاحون لأخذ شيء منه ، وينبغى أن ترفع أجصرة الحصاد والدياس من المحصول ثم يقسم الباقى بين الزارع والدولة بالقدر المتفق عليه

⁽۱) سورة التوبة • آية (٦٠) • (٢) جزما : أي قطعا ـ ن • م • س - ج ١ / ص •٥٠ •

⁽٣) ن٠م٠س ـ صص/ ١٨٩، ١٩٠، ن٠م٠س ـ ج ١/ صص ٥٨٩، ٥٩٠٠

^{· (}٤) البيادر : جمع بيدر ـ تقدم تفسيره ص / ١٤٦ ·

وهو ماعبر عنه أبو يوسف بالوسط ، ويشدد أبو يوسف فى سرعة نقل الزرع السيادر البيادر وسرعة الحصاد والدياس حتى لا يأكله الطير ، ويعتدى عليه الفلاحون كمسا اعتادوا الأخذ منه وهو فى سنبله ٠

فاتباع الأسلوب السليم في حصاد الزرع في مواعيده ، فيه انماء للخـــراج ووفرة لبيت المال وعمارة للبلاد •

قال أبو يوسف: " وتقدم فى أن يكون حصاد الطعام ودياسه من الوسسط ولا يحبس الطعام بعد الحصاد الا بقدر مايمكن الدياس ، فاذا أمكن الدياس رفع فسى البيادر ولا يترك بعد امكانه الدياس يوما واحدا ، فانه للم يحرز فى البيادر تذهب به الأكرة ، والطير ، والدواب • وانما يدخل ضرر ذلك على الخراج ، فأما على ماحب الطعام فلا ، لأن ماحب الطعام يأكل منه _ فيما بلغني _ وهو سنبل قبل الحصاد الى أن يبلغ المقاسمة • فيحبس الطعام فى الصحراء أو البيادر ضرر على الخسراج، واذا رفع الى البيادر وصبر أكداسا : أخذ فى دياسته • ولا يحبس الطعام _ اذا صار فى البيادر - الشهر والثلاثة ، ولا يداس فان فى حبسه فى البيادر ضرر على السلطان وعلى أهل الخراج ، وبذلك تتأخر العمارة والحرث • "(۱)

ينبغى أن يقدر محصول الزرع الموضوع فى البيادر بالكيال الدقيق، ولاينبغى أن يقدر مافيها بالتخمين ، لأنه يترتب عليه الزيادة فى الكيل فيوخذ الخراج بهده الزيادة ، وفى ذلك ظلم للناس وخراب للبلاد لأن الزراع يهربون من تلك المعاملة .

ولا ينبنى أيضا للعامل أن يدعى على الفلاحين زورا ضياع شئ من الحسب ليأخذ أكثر من حقه ، وعليه أن يأخذ الخراج عقب الكيل ، ولا يكيله عليهم ، فاذا كاله مرة أخرى ينقص بين الكيلين بالتعدى أو بأكل الحيوان وفى ذلك ضرر علا الخراج ، ولكن اذا حصد الزرع يجب أن تكون القسمة عادلة بالحق ، وذلك بسالا يطفف فى كيل السلطان ، ولا يخسر فى كيل الفلاحين .

قال أبو يوسف : " ولا يخرص (1) عليهم مافى البيادر ولا يحزر (٢) عليهم مثن يوخذوا بنقائص الحزر · فأن فى هذا هلاكا لأهل الخراج ، وخرابا للبلاد ، وليسس ينبغى لعامل ولا يسعه أن يدعى على أهل الخراج ضياع غلة ، فيأخذ بذلك السبب أكثر من الشرط ·

واذا دیس الطعام وذری قاسمهم ، ولا یکبله علیهم کیل بزیهاب (۳) شیم یدعه فی البیادر (۶) الشهرین ، ثم یقاسمهم فیکیله ثانیة ، فان نقص عین الکیل الأول ، قال : أوفونی ، وأخذ منهم مالیس یجوز له ۰

ولكن اذا ديس الطعام ووضع فيه القفيز ، قاسمهم وأخذ حقه ، ولا يحبيه ولا يكيل للسلطان كيل بزيهار (٥) ، وللأكاركيل (٦) السرد (٧) ، بل يكرون كيلا واحدا بين الفريقين سردا (٨) مرسلا (٩) " .

⁽۱، ۲) تقدم تعریفها ۱۰ انظر ص / ۲۰۱۸

⁽٣) بزيهاب : كلمة فارسية معناها الافراط في الكيل ـ ن ٠ م ٠ س ـ ج ٢ / ص ٢٠٠

⁽٤) تقدم تعریفــه ۱٤٦٠ ص

⁽٥) بزيهار : سبق التعليق عليها وهي نفسها بزيهاب٠

⁽٦) الأكار ، تقدم تفسيره ص / ١٤٧٠

⁽٧) كيل السرد : الكيل المخفف أى الناقص ـ ن ٠ م ٠ س ـ ج ٢ / ص ٢٠

⁽٨) سردا مرسلا: أى كيلا وسطا لا افراط فيه ولا تفريط ـ ن ٠ م ٠ س ـ ج ٢ /ص ٢٠٠

⁽٩) أبو يوسف ـ ن ٠ م ٠ س ـ صص/ ٢٣٠، ٢٣١ ، ن ٠ م ٠ س ـ ج ٢/ صص ١٩، ٢٠ ٠

الدعوة الى ضمان انصاف أهل الخراج بمنع استيفاء ماليس عليهم

ومن اقتراحات القاضى أبو يوسف على أمير المومنين ألا يكلف أهل الخراج بأجر العامل على الخراج ، لأن رزقه من بيت المال ، ولا أجر المكيال ، ولا أجلال السلطان النين يقربون الحب بأيديهم ، ولا طعام الضيافة ، ولا أجرة نقل غلة الخراج الى السلطان ولا ثمن دفاتر الخراج والورق الذى يكتبون فيه أخبارهم ومصالحهم وترفع الى السلطان ولا أجر الرسل ، كما لا يوخذ من أهل الخراج أجرة القسام ولا ما تحتاجه سقسى الأرض ، وغيره من اصلاحات كسد البثوق وبناء القناطر ، فان ذلك كله يصرف من بيت المال بل عليهم الخراج فقط ، سواء أكان خراج مقاسمة أو خراجسا

أما التبن وهو قش الحب بعد الدياس ، فانه بين الفلاحين وصاحب الخراج كالحب فاما أن يقسم أو يباع ويقسم ثمنه عليهم ٠

قال أبو يوسف: " ولا يوخذ أهل الخراج برزق عامل ولا أجر مدى (١)، ولا احتفان (٢)، ولا نزلة (٣)، ولا حمولة طعام السلطان، ولا يدعى عليه نقيمية فتوخذ منهم، ولا يوخذ منهم ثمن صحف (٤)، ولا قراطيس، ولا أجور الفييوج(٤) ولا أجور الكيالين، ولا مونة لأحد عليهم في شيء من ذلك، ولا قسمة ولا نائبة (٥)،

⁽۱) مدى: بضم الميم وكسر اليا : وهو مكيال يسع تسعة عشر صاعا · المصباح ـ ص/١٧٤٠. والمعنى لا يوخذ من الفلاحين أجر المكيال ·

⁽٢) احتفان: وهو من الحفن ، أخذ الشيء بالراحتين والأصابع مضمومة _ الرحبي ن ٠ م ٠ سج٦/ص٢٠٠

⁽٣) النزل: طعام الضيف <u>- المصباح</u> - ص /٩٢٧، المغرب - ص ٥٤٤٨ (٤) سبق تعريفها في ص **٣٦**/٣

⁽٥) نائبة : هي ماينزل من الجوائح ، كاصلاح القناطر وسد البثوق _ الرحبي ن٠م٠سج ٢/ص٠٢٠

سوى الذي وظفناه من المقاسمة •

ولا يوخذوا بأثمان الأتبان بل يقاسمون الأتبان على مقاسمة الحنطة والشعير كيلا ، أو تباع فيقسم ثمنها على ما وصفت من الوظيفة في المقاسمة " (١)

الواجب في الخراج الميسور من الفضة أو الذهب ، بلا فرق بينهما :-

كان عمال الخراج اذا أعطاهم الفلاحيون الخراج دراهم ، يقولون لهم الرائييج بين الناس هو الذهب لا الفضة ، ويحسمون من الدراهم مقدارا ويقولون هو في مقابلية الرواج ويسمونه رواجيا .

فنصح أبو يوسف بالامتناع عن ذلك ، وبضرورة قبول مايوديه أهل الخيراج من دراهم ليس على أساس ماهو رائج من فضة أو ذهب ، وأخذ الفرق بينهما ، لأن ذليك ليس بجائز ، بل يعتبر ظلما وتحايلا ، والذي عليهم هو الميسور من النقود ذهبا كانت أو فضة ، بلا فرق بينهما •

قال أبويوسف: " ولا يوخذ منهم ماقد يسمونه رواجا لدراهم يودونها في الخراج ، فانه بلغنني أن الرجل منهم يأتي بالدراهم ليوديها في خراجه ، فيقطع منها طائفة ، ويقال : هذا رواجها وصروفها (۲) " (۳)

اقترح أبو يوسف التمييز بين أسلوب الجباية من أهل الذمة في المسسدن

⁽۱) أبو يوسف <u>- ن ٠ م ٠ س -</u> ص / ٢٣١ ، الرحبي <u>- ن ٠ م ٠ س</u> - ج ٢/ ص ٢١ ـ ٢٣٠

⁽٢) الصروف: جمع صرف والصرف فضل الدرهم في الجودة على الدرهم ـ المصباح ـ ص/٥١٨٠

⁽٣) أبو يوسف - ن ٠ م ٠ س - ص/ ٢٤١ ، الرحبى - ن ٠ م ٠ س - ج ٢ /ص ٢٠٠

وأسلوب الجباية من أهل الذمة فى القرى • للسندلك فانسسه يسسرى أن يولسى جمسع الجزية من أهل الذمة بالمدن رجل من أهل الدين والصلاح والأمانة فى كل مدينة • يجمسع الجزية من أهل الذمة أصحاب الحرف من صناعة وتجارة وطب • • كل حسب يسساره فعلى الموسر ثمانية وأربعون درهما ، والوسط أربعة وعشرون درهما ، والعامل بيده اثنا عشر درهما مثل الخياط والصباغ والاسكاف والخراز • (١)

وبعد جمع الجزيـة يضعها الولاة في بيت المال لتصرف في مصارفها ٠٠

(٦) (٣) قال أبو يوسف: " فأما أمسر الأمسرار - بمنزلة السلام والكوفة والكوفة والكوفة والكوفة والكوفة والكوفة والكوفة والبصرة (٤) وما أشبها النام وانى أرى أن يصيرها الامام الى رجل من أهسل

وقد اختطأبو جعفر المنصور بغداد عام ١٤٠ه على الجانب الغربي من دجلة ونزلها عام ١٤٦ه ثم امتدت على الجانبين الشرقى والغربي ز وقد ضربها التتار، فلم يبق منها في زميان طغيانهم الاالجانب الشرقى منها وهي مدينة عظيمة و ياقوت الحموى - معجم البلدان - ح ١٠٩ص ٢٣٣، الرحبي - ن و مس - ج ٢ / ص ١٠٩ و

- (٣) الكوفية : بالضم: المصر المشهور بأرض بابل من سواد العراق، وقد مصرها سعد بن أبي وقاص و وبنى مسجدها بأمر عمر بن الخطاب _ رضى الله عنه _ عام ١٥ه، وهى مدينة العيراق الكبرى وقبة الاسلام، ودار هجرة المسلمين، وكانت منزل نوح _ عليه السلام _ الفيروزابادى _ القاموس المحيط _ ج ٢/صص ١٩٢، ١٩٣، ياقوت بن ٠ م ٠ س ج ٤/صص ١٩٦، ١٩٩، الرحبى ن ٠ م ٠ س ج ٢/ص ٢٣٨،
- (٤) البصرة: اختطها عتبة بن غزوان المازنى، وكان يقال لها: قبة الاسلام، وخزانة العسرب ولم يعبد صنم على أرضها قط وهى احدى العراقين، عراق البصرة، وعراق الكوفة وياقوت ولم يعبد صنم على أرضها قط وهى احدى العراقين، عراق البصرة، وعراق الكوفة وياقوت ونوم وسموني وعتبة بن غزوان صحابى قديم فى الاسلام ماجر الى الحبشة، وشهد بدرا ثم القادسية مع سعد بن أبى وقاص وروى عن النبى و صلى الله عليه وسلم والمعتبد أحاديث وابن سعد والطبقات الكبرى و ١٩ ص

⁽۱) الخراز : خرزت الجلد خرزا - من باب ضرب - المصباح ص/۲۵۷ • الخراز الذي يخيط بالمخرز يخيط به المخرز . ۱۱۰ ويقال لحرفته: بالخرازة • الرحبي • ن • م • ص • ۲ م • ١١٠ •

⁽٢) مدينة السلام: سميت بذلك لأنه كان يسلم على الخلفاء فيها، وهى بغداد، وسميت بذلك لقربها من دجلة، وكانت دحلة تسمى نهر السلام،

الخير والثقة ، ممن يوثق بدينه وأمانته ، ويصيّر معه أعوانا يجمعون اليه أهـــل الأديان من اليهود والنصارى والمج (1) وس والمـــابئين والسام (1) ، فيأخــن منهم على الطبقات ماوصفت : ثمانية وأربعين على الموسر ، مثل الصّيرفـــى ، والبـزاز (٢) وصاحب الضيعـة (٣) ، والتاجر والمعالج الطبيب ، وكل من كانبيــده منهم صناعة وتجارة يحترف يها ، أخذ من أهل كل صناعة وتجارة على قدر صناعتهم وتجارتهم ، ثمانية وأربعين على الموسـر ، وأربعـة وعشرين من الوسط ، من احتملت صناعته ثمانية وأربعين أخذ منه ذلك ، ومن احتملت أربعـة وعشرين أخذ منه ذلك ، واثنا عشر درهما على العامل بيده ، مثل الخياط والصباغ والاسكاف والخراز ومــــن واثنا عشر درهما على العامل بيده ، مثل الخياط والصباغ والاسكاف والخراز ومـــن أشبهــم ، فاذا اجتمعت الى الولاة (٤)عليها حملوها الىبيت المال ، (٥)

أما جباية الجزية من أهل الذمة بالقرى ١٠ فقد اقترح قاضى القضياة على أمير المومنين هارون الرشيد ، أن يبعث ولاة الخراج رجالا على خلق وأمانة ودين الى القرى لجمع الجزية من أهل الذمة دون عسف أو ظلم كل حسب طبقته ، ولا توخذ الجزية ممن ليست عليه واجبة ٠

ولا يجــاب صاحب القــرية اذا طلب ممالحــية والــي الخراج عن أهــل القريــة على ان يدفــع مبلغـال لبيت المـال ويجبى هو الجزية من أهـل القرية ، فقد يدفع من الجزية القليل ويأخذ منهم الكثير ، لأن فيهم الأغنيا ، القادرين على دفع ماقدّر عليهم ، فهذا الملح يودى الى نقص كبير في الخراج

⁽١) سبق تعريفها في المبحث الأول من الفصل الأول ص / ٩١ .

⁽٢) البزاز: أمتعة التاجر من الثياب، أى بائع الثياب، والحرفة البزازة بالكسر ـ المصباحس/ ٧٧٠

⁽٣) صاحب الضيعة : الصنعة والحرفة والعقار والأرض المغلة _ أبو يوسف _ ن ٠ م ٠ س _ ص/٢٥٥٠

⁽٤) اذا اجتمعت الجزية في أيدى الولاة نقلوها الى بيت المال (ولفظ عليها هنا) زائد يجب أن يحذف ٠

⁽o) أبو يوسف <u>ن ٠ م ٠ س - ص</u>ص/٢٥٥، ٢٥٦ ، الرحبي <u>ن ٠ م ٠ س - ج ٢/ ص ١٠٩ - ١١١ ·</u>

وعلى والى الخراج جمع الجزية وحملها الى بيت المال لأنها في للمسلمين •

قال أبو يوسف: " فأما السواد فتقدم الى ولاتك على الخراج فى أن يبعثوا رجالا من قبلهم، يثقون بدينهم وأمانتهم، يأتون القرية فيأمرون صاحبها بجمع مساكان فيها من اليهود والنصارى والمجوس والصابئين والسامرة، فاذا جمعوهم اليسماخذوا منهم ماوصفت لك من الطبقات وتقدّم اليهم فى امتثال ما رسمته ووضعته حتى لا يتعدّوه الى ماسواه ولا يأخذوا من لم نبر الجزية واجبة عليه بشى، ولا يقصدوا بظلم ولا تعسف و

فان قال صاحب القرية : " أنا أصالحكم عنهم وأعطيكم ذلك " - لم يجيبوه الى ماسأل ، لأن ذهاب (1) الجزية من هذا أكثر ، لأن صاحب القرية يصالحهم على خمسمائة درهم ، وفيها من أهل الذمة ما اذا أخذت منهم الجزية بلغت ألف وأكثر ، وهذا مما لا يسع ولا يحل ، مع ماينال الخراج منه من النقصان ، ويحملها ولاة الخراج مع الخراج الى بيت المال ، لأنه في ، للمسلميسن " .(٢)

وبعد أن رسم القاضى أبو يوسف أسلوب الجباية فى المدن والقرى، أوصى أن بترفق بأهل الذمة ، تلك الوصية المستقاة من وصية رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم والتى تعتبر آية واضحة على سمو الاسلام ، وأنه المهيمن على جميع الأديان، وعلم أهل الأديان لو عقلوه أن ينضووا تحت لوائه ، وقد استشهد القاضى أبو يوسسف بحديث روى عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه قال : " من ظلم معاهدا أو كلّفه فوق طاقته فأنا حجيمه • " (٣)

⁽١) ذهاب الجزية : أي نقصانها ٠

⁽۲) <u>ن ٠ م ٠ س - ص</u> / ۲۵٦ ، <u>ن ٠ م ٠ س -</u> ج ٢/ صص ١١١، ١١١٠ ٠

⁽٣) حجيجه: أى خصيمه _ الحديث أخرجه أبو داود باسناده الى عدة من أصحاب رسول الله _ صلى الله عليه وسلم _ انظر بذل المجهود _ كتاب الخراج _ ج ٣/ ص ٤٠٠، ٤٠١ ٠

وتلك الوصية أن يترفق أمير المومنين بأهل الذمة ، ولا يدع الولاة يوقعون بهم الظلم أو يكلفوهم فوق طاقتهم ، ولا تو خذ الجزية الا بحق كـــل حسب طبقته .

قال أبو يوسف : " وقد ينبغى - يا أمير المومنين ، أيدك الله - أن تتقدم فى الرفق بأهل ذمة نبيك وابن عمك محمد - صلى الله عليه وسلم - والتفقد لم حتى لا يظلموا ولا يوذوا ولا يكلفوا فوق طاقتهم ، ولا يوخذ شى من أموالهم الا بحق يجب عليهم " . (1)

حقوق أهل الذمة وواجباتهم تجاه المسلمين :-

سأل أمير المومنين القاضى أبا يوسف ١٠٠عن أهل الذمة ١٠ كيف تركيت لهم معابدهم ؟ وسمح لهم بالعبادة فيها وهم كفار وعبادتهم باطلة ، وكيف تركوا يخرجون بالصلبان في يوم عيدهم ؟ ١٠٠

فأجاب أبو ويسف أمير المومنين هارون الرشيد / بأن الصلح جرى بيسين المسلمين وأهل الذمة من أهل الشام والحيرة على أنيتركوهمومايدينون علىأن يدفعواالجزية، وعلى المسلمين أن يومنوهم على دمائهم ، بأن يدفعوا عنهم من يريد بهم السيوء، وأن يومنوهم على أموالهم ، وعلىأن يخرجوا صلبانهم يوم عيدهم ، بشرط الا يحدثوا معابد جديدة غير التى كانت موجودة عند الصلح ، فافتتحت الشام والجزيرة علىهذه الشيروط ، (٢)

قال أبو يوسف : " وأما ما سألت عنه يا أمير المومنين من أمر أهل الذمة

⁽۱) أبويوسف ـن ٠ م ٠ س ـ ص/٢٥٧ ، الرحبي ـن ٠ م ٠ س ـ ج ٢/ صص ١١٥، ١١٥ ٠

۲۸۱ ، ۱۸۲ ، الرحبی _ ن ۰ م ۰ س _ ج ۲ / صص ۱۸۷ ، ۱۸۸ ۰

وكيف تركت لهم البيع والكنائس في المدن والأمصار - حين افتتح المسلمون البلدان - ولم تهدم ؟ ٠٠

فانما كان الصلح جرى بين المسلمين وأهل الذمة فى أداء الجزية ، وفتحــت المدن على أن لا تهدم بيعهم ولا كنائسهم داخل المدينة ولا خارجها ، وعلى أن يحقنوا لهم دماءهم ، وعلى أن يقاتلوا من ناوأهم من عدوهم ويذبوا عنهم .

فأدوا الجزية اليهم على هذا الشرط ، وجرى الصلح بينهم عليه ، وكتبوا بينهم الكتاب على هذا الشرط ، على أن لا يحدثوا بيعة ولا كنيسة فافتتحت الشام والحيرة _ الا أقلها _ على هذا ، فلذلك تركت البيع والكنائس ولم تهدم ٠ "(١)

وقد استشهد أبو يوسف بما قاله مكحول الشامى ، عن مصالحة أبى عبيدة لأهل الشام ، قال : "ان أبا عبيدة بن الجراح صالحهم بالشام ، واشترط عليهم حين دخلها على أن يترك كنائسهم وبيعهم : على أن لا يحدثوا بنا، بيعة ولاكنيسة وان عليهم ارشاد الضال ، وبناء القناطر على الأنهار من أموالهم ، وأن يضيّفوا من صر بهم من المسلمين ثلاثة أيام ، وعلى ألا يشتموا مسلما ، و لا يضربوه و لا يرفعوا في نادى أهل الاسلام صليبا ، ولا يخرجوا خنزيرا من منازلهم الى أفنية المسلمين ، وأن يوقدوا النيران للغزاة في سبيل الله ، ولا يدلوا للمسلمين على عورة ، ولايضربوا نواقيسهم قبل أذان المسلمين ، ولا في أوقات أذانهم ، ولا يخرجوا الرايات في يسوم عيدهم ، ولا يتخذوه في بيوتهم ، فان فعلوا شيئا من ذلك ، عوقبوا وأخذ منهم ك فكان الصلح على هذا من الشرط .

فقالوا لأبى عبيدة : اجعل لنا يوما من السنة نخرج فيه صلباننا بلا رايات وهو يوم عيدنا الأكبر : ففعل ذلك لهم وأجابهم اليه ، فلم يجدوا بدا من أن يفوا لهم بما شرطوا لهم ، ففتحت المدن على هذا .

⁽۱) ن٠م٠س ـ ص / ۲۸۱ ، ن٠م٠س ـ ج ٢ ص ۱۸۷ ـ ۱۸۹

قلما رأى أهل الذمة وفاء المسلمين لهم ، وحسن السيرة فيهم ٤ صاروا أشد. على أعداء المسلمين ، وعونا للمسلمين على أعدائهم ٠ " (١)

لباس أهل النمة :-

سأل أمير المومنين هارون الرشيد القاضى أبا يوسف ١٠٠ عن لباس أهل الذمية وزيهم ، فأجابه بأن يحذر العامل أو الوالى ، أن يترك أحدا من أهل الذمية يتشبه بلباس المسلمين ، ولباس العلماء كالرداء والعمامة والطيلسان ، بل يلبسوا قميصا من القماس الخشن ، وأن يعقد كل واحد فى وسطه زنارا فوق ثيابه ويضعوا فوق رو وسهم قلانس طوالا مضربة (٢) ، وأن يجعل أهل الذمة فى نعالهم سيريسن من الجلد ليتميزوا بها عن نعال المسلمين ، وألا يركب أهل الذمة الخيل لأنها معدة للحرب، وهم ليسوا من أهلها، وأيضا تمنع نساءهم من ركوب النجائب من الابل٠

الغرض من ذلك أن يتميزوا عن المسلمين حتى لا يبدأوا بالسلم وألا يقلدوا المسلمين في زيهم وملابسهم . (٣)

قال أبو يوسف: " وأن تتقدم فى أن لا يترك أحدا منهم يتشبه بالمسلمين فى لباسه ، ولا فى مركبه ، ولا فى هيئته ، ويوخذوا بأن يجعلوا فى أوسائه وسائه الزنارات (٤) مثل الخيط الغليظ بعقده على وسطه كل واحد منهم - وبأن تكون قلانسهم مضرّبة ، وأن يتخذوا على سروجهم فى موضع القرابيس مثل الرمانة من خشب وأن يجعلوا شراك نعالهم مثنيّة ، ولا يحذوا حـذو المسلمين وتمنع نساوهم

⁽۱) موس م س م ۱۸۹ ، ۲۸۲ ، م م س م ج ۲ م ۱۸۹ م ۱۹۱ .

⁽۲) مضربة : ضرّب النجاد المضربة خاطها مع القطن وبساط مضّب مخيط ـ مادة ضرب ـ المصباح ص/٥٤٧ . (٣) ن ٠ م ٠ س ـ ج ٢ / صَص ١٢٥ ، ١٢٦ .

⁽٤) الزنّار : للنمارى ، وجمعه زنانير ، وتزنر النمرانى شدّ الزنار على وسطه (م • زنر) المصباح ص/٣٩٣ • الزنار : حزام يشده النصرانى على وسطه المعجم الوسيط (م • زنر) ج ١ /ص ٤٠٣ •

من ركوب الرحائـــل ٠ " (١)

وقد ألزم أمير المؤمنين هارون الرشيد أهل الذمة بتمييز لباسم م قال ابن كثير: "وألزم (أميرالمؤمنين) أهل الذمة بتمييزلباسم وهيآتهم في بندد وغيرها من البسسلاد • " (٢)

(۱) ن٠م٠س - ص/۲۲۱ ، ن٠م٠س - جـ ۱/ ص ١٢٥ ـ ١٢٧ (١

⁽۲) ابن كثير _البداية والنهاية _ ج ۱۰ / ص ۲۱۶٠

اذن الاسام بحفر الأنهار القديمة اذا كان فيها نفع:-

ومن أسلوب أبعي يوسف فى الادارة أن طلب من أمير المومنين ١٠٠ أن يأمسر عمال الخراج بتطهير الأنهار (١) القديمة ، لتزرع بها الأراضى، وتعمر ان طلسب منه أهل الخراج ذلك ، وقالوا أن فى ذلك عمارة للأرض الغامرة وسعة للرقعة الزراعية ويكون هذا بعد مشورة أهل الخبرة من أهل البلد وغيرهم ، وحدّر أمير المومنين أن تكون موافقة المستشارين ليجروا لأنفسهم نفعا ويدفعوا عنهم ضررا ٠

ونفقة ذلك العمل من بيت المال ولا يجوز وضعه على الزراع ، لأنك ان فعلت ذلك عجزوا وفروا من البلاد وخربوها ، وتعميرهم للبلاد خير من خرابه وغناهم بوفرة المال في أيديهم خير من أن يذهب مالهم ويعجزوا عن الزراع فان المقصود من تطهير الأنهار القديمة اكثار أموال الخراج وارتفاع أسباب المستوى المعيشى في البلاد ٠

وان ترتب على تطهير الأنهار القديمة ضرر بقوم آخرين كسأن يتحول الماء عنهم ويوثر على زراعة أراضيهم والخراج المأخوذ منهم ، لا يجابوا السي

والذي يلفت النظر في هذه النصيحة أمران :-

الأول :-

======= تنبيه أبى يوسف الى مداخل المشورة وأنها قد تكون لمصلحة المستشارين لا المصلحة العامة •

⁽۱) والذي يقوم بتطهير الأنهار مختصين بالارواء وكرى الأنهار في ديوان الخراج - حسام الديس السامرائي - دراسات في الاقتصاد الزراعي للدولة العباسية - ص/٣٦٣ - (مجلة البحث العلمي - كلية الشريعة - العدد الخامس - ١٤٠٢ هـ) .

الثانـــي:-

======== هو الرفق بالفلاحين أرباب الخراج ، فان القسوة بهم أيا كان طريقها توشر على نشاطهم وتضعف انتاجهم ، والانتاج في كل دولة هو السبب في ازدها الحياة وتقدمها ، فحمى الله حضارة هذا منهجها .

قال أبو يوسف: " ورأيت أن نأمر عمال الخراج اذا أتاهم قوم من أهـــل خراجهم فذكروا أن لهم في بلادهم أنهارا عادية (١) قديمة وأرضين كثيرة غامــرة وانهم ان استخرجوا لهم تلك الأنهار واحتفروها وأجروا فيها الماء ، عمرت هــنه الأرضون الغامرة ، وزاد ذلك في خراجهم - كتب بذلك اليك فأمرت رجلا من أهــل الخير والملاح ، يوثق بدينه وأمانته ، فتوجههه في ذلك حتى ينظر فيه ، ويسائل عنه أهل الخبرة والبصرة به ، ومن يوثق بدينه وأمانته من أهل ذلك البلد ، ويساور فيـه غير أهل ذلك ممن له بصر ومعرفة ، لا يجرّ الى نفسه بذلك منفعة ، ولا يدفع عنها مفرّة • فاذا اجتمعوا على أن في ذلك صلاحا وزيادة في الخراج ، أمرت بحفر تلـــك الأنهار ، وجعلت النفقة من بيت المال ، ولم تحمل النفقة على البلد ، فانهـــ وكل مافيه مملحة لأهل الخراج في أرضهم وأنهارهم وطلبوا املاح ذلك ، أجيبـــوا اليه اذا لم يكن فيه ضرر على غيرهم من أهل طــّوج (٢) آخـر أو رستـــاق (٤) آخر مما حولهم ؛ فان كان في ذلك ضرر على غيرهم وذهاب بغلاتهم وكسر للخراج لم يجابــوا الله " . (٥)

⁽۱) أنهار عادية قديمة : أي من قدم عاد وثمود ٠ ن ٠ م ٠ س ـ ج ٢/ ص ٢٤ ٠

⁽٢) يفروا: أى تكثر أموالهم من باب وفر يفر وفرا ، كوعد يعد وعدا _ المصباح _ ص/١٠٣٤٠

⁽٣) طلوّج: سبق تعریفه ص / ۱۸۲۰

⁽٤) رستاق: بالضم للراء مدينة بفارس من ناحية كرمان وربما جعل من نواحى كرمان - ياقوت الحموى - معجم البلدان - ج ٣/ص ٤٣٠

⁽٥) ن ٠ م ٠ س ـ ص / ٢٣٢ ، الرحبي ـ ن ٠ م ٠ س ـ ج ٢/ صص ٢٤، ٢٥ ٠

نفقـة حفـر الأنهار العظام والخاصة وتطهيرها :-

وضع القاضى أبو يوسف قاعدة مبنية على أن النبر بالغنم ، وهي أن نفقــة الأنهار العظام على بيت مال المسلمين لأن مصلحتها عامة للمسلمين ، ومن هذا الباب (۱) علاج الخروق في النهر المعروفة البثوق التي يصرف منهاما النهر، وبناء الحواجز المانعة من تدفق (۲) الماء على جانبيه المعروفة بالمسنيات، وعلاج المواضع التي أكلها الماء المعروفـــة بالبريــدات ، (۳)

والذيّ يسترعى الخاطسر هو التشديد المتكرر من القاضى أبى يوسف على اسناد الأعمال الى ولاة أو عمال صالحين يخافون الله ، واقامة الرقباء عليهم من ذوى المعرفة والأمانة، لئل يخونوا الدولة ويسلبوا أموالها ويظلموا الرعية ، وهسدا ـ لعمر الله ـ هو قوام الحكم الصالح الذى به عمران الدول وبقاوهسا .

أما الأنهار المأخودة من الأنهار العظام وهى المعروفة بالترع كنهر عيسى (٤) ونهر الملك (٥) بالعراق ، فنفقتها على بيت المال وأهل الخراج بالنسبة ، فان كــان الخراج الربع كان على بيت المال الربع وعليهم الباقى ، لأن مصلحتها عامة وخاصــة بقوم وهم الذين يسقون من هذه الأنهار ، ونفقة الأنهار الخاصة التى تسوق المــا، الى البساتين والمزارع على أصحاب المزارع الخاصة لأن مصلحتها لهم .

قال أبو يوسف : " واذا احتاج أهل السواد الى كرى أنهارهم العظام التى تأخذ من دجلة والفرات ، كريت لهم ، وكانت النفقة من بيت المال ومن أهل الخصوراج (١، ٢، ٣) تقدم تعاريفها ، انظر ص / ١٢٠ ، ١٣٣ ،

(٤) نهر عيسى: من الأنهار التى تأخذ من الغرات عند الأنبار وتصب فى دجلة تند تبة الشوك فى بغداد العربية جنوب شرق مدينة المنصور _ ياقوت الحموى _ معجم البلدان _ ج ٥/ص ٣٢١٠ (٥) نهر الملك: أنهار سقى دجلة والفرات تقع عند منتصفه مدينة الاسكندرية فى سواد الكوفة

ياقوت الحموى - ن ٠ م ٠ س - ج ٥/ ص ٣٢٤ ٠

ولا يحمل ذلك كله على أهل الخراج · فأما الأنهار التى يجرونها الى أرضه ومزارعهم وكرومهم ورطابهم وبساتينهم ومباقلهم وما أشبه ذلك فكريها عليهم خاصة ليس على بيت المال من ذلك شيء " (1)

ثم قال: " فأما البثوق والمسنيات والبريدات التى تكون من دجلة والفرات وغيرهما من الأنهار العظام، فإن النفقة على هذا كله من بيت المال، ولايحمل على أهل الخراج من ذلك شئ لأن مصلحة هذا على الامام خاصة، لأنه أمر عام لجميع المسلمين، فالنفقة عليه من بيت المال، لأن عطب الأرضين من هذا وشبهه، انما يدخل المضرر من ذلك على الخراج، ••• ولا تولّ النفقة على ذلك الا رجلا يخاف الله ويعمل في ذلك بما لا يحل ولا يسعه، يأخذ المال من بيت المال لنفسه ومن معه، ويدع المواضع المخوفة ويهملها، ولا يعمل عليها شيئا يحكمها به حتى تنفجر فتغرق ماللناس من الغلات وتخرب منازلهم وقراهم، شم وجبّه من يتعرف مايعمل به واليك على هذه المواضع وما يحكمه منها، ومايمك هسن العصل عليه مما قد يحتاج الى العمل، وما تفجر وما السبب في انفجاره؟ - العمل عليه ما على حسب ولأيسة علّة أخّر العمل عليه واحكامه حتى الفجر؟ •• ثم يعامل على حسب ما يأتيك به الخبر عنه من حمد لأمره، أو من ذم وانكار وتأديب " (۲)

وقد ذكر القاضى أبو يوسف لأمير المؤمنين ، أنه اذا أحرق رجل كلله أو حصائده أو شجره فى أرضه ، فأحرقت النار مالا لغيره لا يضمنه ، وكذلك اذا سقى أرضه فأغرق الماء زرع غيره ، لأن المالك له أن يستعمل ملكه وان أضر بغيره ، الا

⁽۱) أبو يوسف • ن • م س ـ صص/ ٢٣٢، ٣٣٣ ، الرحبي • ن • م • س ـ ج ٢/ صص ٢٥، ٢٦٠

⁽٢) ن٠م٠س ـ ص / ٢٣٣ ، ن٠م٠س ـ ج ٢ / ص ٢٦ ـ ٢٩٠

اذا دلت القرائن على أنه مسى، في هذا الاستعمال بأن أحرق حطبه والريح عاصف الدادة عن المعتاد فانه يضمن حينئذ •

قال أبو يوسف : "ولو أن رجلا أحرق كلاً فى أرضه ، فذهبت النار فأحرقت مال غيره لم يضمن رب (١) الأرض و لأن له أن يوقد النار فى أرضه ، وكذلك لو أحسرق حصائد (٢) فى أرضه ، كان مثل ذلك و

وكذلك صاحب الأجمة يحرق مافيها من القصب ، فتحرق النار مال غيره ، فسلا ضمان عليه ، وهما مثل الذي يسقى أرضه ، فيغرق الماء أرض رجل البي جنبيه أو تنز ، فليس عليه ـ في ذلك ـ ضمان ٠

ولا يحل لمسلم أن يتعمد الأذى بجاره ، ولا القصد لتغريق أرضــــه ولا لتحريــق زرعـه بشى يحدثـه في أرض نفسـه ، " (٣)

⁽۱) رب : أي صاحب ٠

⁽٢) حمائد : هي أصول الزرع التي تبقى بعد استخراج الحب ٠

⁽٣) ن٠ م٠س - ص / ٢٢٢، ن٠م٠س - جد ١١ ص ١٩٤ - ١٩٦٠

البريد ودوره الاداري والاقتصادي:-

اهتم الخلفاء العباسيون بنظام البريد ، واعتمدوا عليه فى ادارة شئوندولتهم ،(۱) فكان البريد فى ذاك العصر له دور ادارى واقتصادى فعال ، ففى عهد الخليفة المنصور كان ولاة البريد يشعرون بمدى اهتمامه بأحوال الرعية ، فكانوا يوافونه بأسعار السليع وأخبار الولاة والقضاة .

يقول الطبرى: "أن ولاة البريد فى الآفاق كلها كانوا يكتبون الى المنصور أيام خلاقته فى كل يوم بسعر القمح والحبوب والأدم ، وبسعر كل مأكول ، وبكل مايقفى به القاضى فى نواحيهم ، وبما يعمل به الوالى ، وبما يرد بيت المال من المال ، وكل ماحدث ، وكانوا اذا صلّوا المغرب يكتبون اليه بما كان فى كل ليلة اذا صلّوا الغداة ، فاذا وردت كتبهم نظر المنصور فيها ، فاذا رأى الأسعار على حالها أمسك ، وان تغير شى، منها عن حاله كتب الى الوالى والعامل هناك ، وسأل عن العلة التى نقلت ذاك عن سعره ، فاذا ورد الجواب بالعلة تلطف لذلك برفقه حتى يعود سعره ذلك الى حاله ، وان شك فسى شى، مما قضى به القاضى كتب اليه بذلك ، وسأل من بحضرته عن عمله ، فان أنكسر شيئا عمل به ، كتب العه يوبخسه ويلومه " . (٢)

وكان للبريد أيضًا دور فعال ، فبالاضافة الى ماتقدم ، كانوا ينقلون أوامسسر الخليفة ويراقبون العمال والقضاة وينقلون أخبارهم ، وعلى سبيل المثال: قال ابن خلكان : " • • • ثم أن الرشيد قلد الفضل بعمل خراسان ، فتوجه اليها وأقام بها مدة ، فوصل كتساب صاحب البريد بخراسان ويحى جالس بين يديه ، ومضمون الكتاب ـ ان الفضل بن يحى متشاغل بالصيدوادمان اللذات عن النظر في أمور الرعية ، فلما قرأه الرشيد رمى به الى يحى ، وقال له:

⁽۱) حسن ابراهيم حسن ـ تاريخ الاسلام السياسي ـ ج ۲/ ص ۲۷۰ ٠

⁽٢) الطبرى - تاريخ الأمم والملوك - ج ٨/ ص ٩٦ ٠

" يا أبت ، اقرأ هذا الكتاب وأكتب اليه بما يردعه عن هذا ، فكتب يحى على ظهر كتاب صاحب البريد : "حفظك الله يابنى وأمتع بك ، قد انتهى الى أمير المو منين مما أنت عليه من التشاغل بالصيد ومداومة اللذات فى أمور الرعية ما أنكره ، فعاود ماهو أزين بك ، فانه من عاد الى مايزينه أو يشينه لم يعرفه أهل دهره الا به ، والسلام ٠ " (١)

ومن ذلك ما كتبه عامل البريد الى الخليفة هارون الرشيد عن أحد قضاة السوء فـــى احدى الأمصار، قال أبو يوسف: " ٠٠٠ مما قد بلغك واستقر عندك وكتب به اليك ماحب البريد أن فى يد قاضى البصرة أرضين كثيرة، فيها نخل وشجر ومزارع، وأن غلة ذلك تبلغ شيئـــا كثيرا فى السنة، وقد صيرها فى أيدى وكلاء من قبله، يجرى على الرجل الواحد منهم ألفــنا أو ألفين، وأكثر وأقل، وليس أحد يدعى فيها دعوى، وأن القاضى ووكلاء ه يأكلون ذلك ، " (٢)

وبذلك كان الخليفة يقف على كل مايحدث في أمصار الدولة الاسلامية • فيامـــر بعزل الولاة والقضاة الفاسدين وتوجيه المقصــر منهم •

الصفات الواجب توافرها في صاحب البريد :-

هناك صفات يجب توافرها في صاحب البريد ، فقد ذكر الطبرى قول الخليفة أبـــو جعفر المنصور :" ماكان أحوجنى الا أن يكون على بابى أربعة نفر ، لا يكون على بابى أعفّ منهم قيل له : ياأمير المومنين : منهم ؟ قال : هم أركان الملك ، ولا يصلح الملك الا بهم ، كما أن السرير لا يصلح الا بأربع قوائم ، ٠٠٠ ، وهى : أما أحدهم فقاض لا تأخذه في الله لومة لائــــم والآخر صاحب شرطة ينصف الضعيف من القوى ، والثالث صاحب خراج يستقصى ولا يظلـــم الرعية ، فانى عن ظلمها غنى ، والرابع ـ ثم عض على أصبعه السبابة ثلاث مرات ـ يقول فـــى كل مرة : آه آه ـ قيل له : ومن هو ياأمير المومنين ؟ قال : صاحب البريد يكتب بخبــــر هو لاء على الصــّحة ، " (٣)

⁽۱) ابن خلكان ـ وفيات الأعيان ـ ج ٤ / ص ٢٨ ٠

⁽۲) أبو يوسف ـ ن ٠ م ٠س ـ ص / ٣٦٠

⁽٣) الطبرى _ تاريخ الأمم والملوك _ ج ٨/ص ٢٧ ·

لهذا كله اقترح القاضى أبو يوسف على أمير المومنين هارون الرشيد ، أن يكون أصحاب البريد عدو و ثقات أمناء في نقل الأخبار ، وألا يستروا خبرا عن الرعية ولا عن الولاة ولا عن القضاة ويراقبون العمال على ألا يزيدوا أو ينقصوا في نقل الأخبار وان فعلوا عوقبوا ، وأن يجرى عليهم الرزق من بيت مال المسلمين ، وان لم يكونوا عدولا أو ثقات فلا تقبيل منهم الأخبار .

قال أبو يوسف: " • • • وتأمر باختيار الثقات العدول من أهل كل بلد ومصر فتوله ما البريد والأخبار ، وكيف ينبغى أن يقبل خبر الا من ثقدم عدل وأجر لهم الرزق من بيت مال المسلمين ، وليدّر عليهم، وتقدم اليهمان لا يستروا عنك خبر من رعيتك ، ولا عن ولاتك ، ولا يتزيدوا فيما يكتبون به ، فمن فعل منهم فنكّل به ، ومتى لم يكن أصحاب البريد في النواحي والأخبار ثقات عدولا فلا يقبل لهم خبر في قاض ولا وال ، انما يكن يحتاط بصاحب البريد على يد القاضي والوالي وغيرها اذا كان عدلا ، فاذا لم يكن عدلا فلا يحسل ولا يسعخبره ولا قبوله ، " (۱)

أرزاق العمسال والقضساة :-

سأل أمير المومنين هارون الرشيد قاضيه أبى يوسف : من أين يأخصين

فكان رأى القاضى أبى يوسف أن يجرى رزق كل والى مدينة وقاضيها من بيت مال المسلمين ، من جباية الأرض لقيامهم بمصالح وأعمال المسلمين ، على ألا يجسرى على والى المدقصية ، قيال

⁽۱) أبويوسف ـن ٠ م ٠ س ـ ص / ٣٦٢ ، الرحبي ـ ن ٠ م ٠ س ـ ج ٢ / صص ٤١١ ، ٤١٢ ٠

تعالى : " والعاملين عليها " (١)

ولكن اذا أريد زيادة أرزاق العمال والقضاة فهذا مفوض اليك، فمن رأيت زيادته لطاعته وحسن عمله فزده، ففى هذا حث على العدل، وان أردت انقاص رزق أحد لعدم اتقانه العمل وعدم مبالاته فافعل، وهذا الأمر متروك لك في كلا الحالين ان كان فيه صلح أمر الرعية .

قال أبو يوسف: " وسألت: من أى وجه يجرى على القضاة والعمال الأرزاق؟ فاجعل - أعز الله أمير المومنين بطاعته - مايجرى على الولاة والقضاة من بيت المال أو جباية الخراج من الأرضين والجزية ، لأنهم في عمل المسلمين ، فيجرى عليهم من بيت مالهم ، ويجرى على كل والى مدينة وقاضيها بقدر مايحتمله ، وكل رجلل تميده في عمل المسلمين فأجر عليهم من بيت مالهم ، ولا تجر على القضاة والولاة من مال صدقة شيئا الا والى المدقة فانه يجرى عليه منها ، كما قال الله - عرز وجل - (والعاملين عليها) • فأما الزيادة في أرزاق القضات أن تزيده والعمال والولاة والنقصان مما يجرى عليهم ، فذلك اليك ، من رأيت أن تزيده من الولاة والقضاة في رزقه فزده ، ومن رأيت أن تحظّ من رزقه حططت ، أرجد ولا توخصره ، فانى أرجو لك بذلك أعظم الأجر وأفضل الثواب • "(١)

وما أعظم في باب الادارة بالاسراع في اعطاء الحقوق ، قول أبي يوسف : ولا توخــــره " فانها حاجات المسلمين التي يسعدون بوصولها اليهم •

⁽۱) سورة التوبــــة ، آيــة (٦٠) ٠

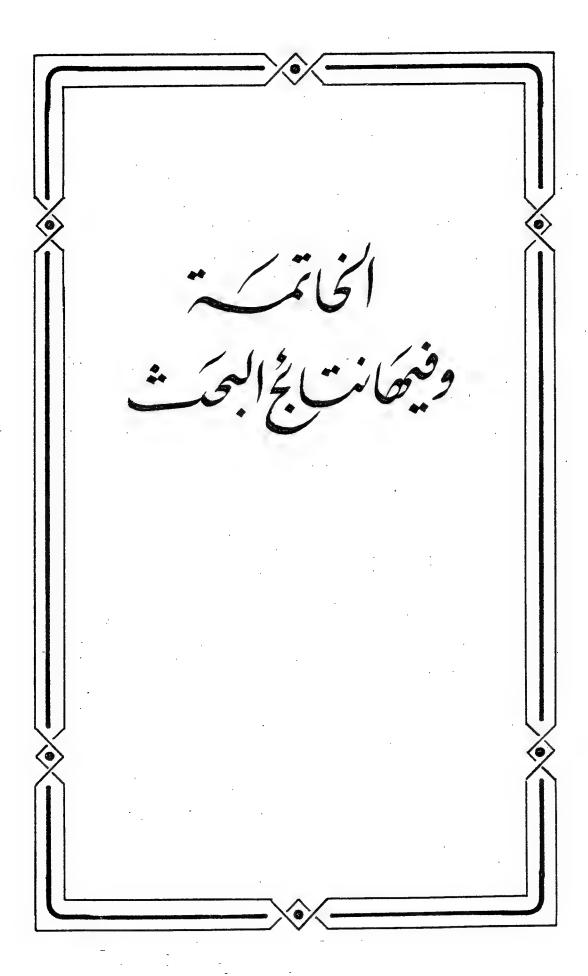
⁽۲) ن٠م٠س ـ ص / ٣٦٣ ، ن٠م٠س ـ جر ٢/ صص ١١٤ ، ١٥٠٠

ثم اقترح القاضى أبو يوسف على أمير المومنين ١٠ عدم صرف رزق القضاة من المواريث التى توول اليهم أمر ادارتها سواء من الخلفاء ، وبنى هاشم أو غيرهم وانما تصرف أرزاقهم من بيت مال المسلمين حتى يكون قيما على ادارة شئون الفقير والغنى والشريف والوضيع ، فأما القضاة الذين يوكلون بادارة المواريث وحفظها فيأخذون أرزاقهم بقدر ، حتى لا يضيع مال الوارث بأخذ أكثر مما يستحق فيأكله أتباعه ووكلاء ه ، وبذلك يهلك الوارث من الفقر والجوع والعرى ٠

قال أبويوسف: " وأما قولك: يجرى على القاضى اذا صار اليه ميراث مسن مواريث الخلفا، وبنى هاشم وغيرهم، من الذى يصير اليه، ويوكّل من قبللله من يقوم بضياعهم ومالهم - فللا، وانما يعطى القاضى رزقه من بيت الملكون قيّما للفقيم والغنى، والصغير والكبير، فلا يأخذ مال الشريف والوضيع، اذا صارت اليه مواريشه - رزقا، ولم تزل الخلفا، تجرى على القضاة أرزاقهمن بيت مال المسلمين،

فأما من يوكّل القيام بتلك المواريث في حفظها والقيام بها ، فيجري عليهم من الرزق بقدر ما يحتمل ماهم فيه ، لا يجحف بالوارث هالكا إوما أظن كثيرا من القضاة - والله أعلم -يبالي مامنع، وكيما عمل ، ولا يبالي أكثر من معهم أن يفتقر اليتيم ؟ ويهلك الوارث ، الا من وفق الله منهم " .(۱) منا عمر الإفراحات التي ذكرتك كا به لتوجيل ت أبي يومف و آرائه الأثر الكبير عمر المعمل الإداري عما يحقوم مصلحة الطافة عوامتهمة الكبير على تعديل صارالحمل الإداري عما يحقوم مصلحة الطافة عوامتقامة معزلا الحوالة الي تحرص عليل الدولة الإسلامية عوام استرار معزل الدولة الإسلامية عوامتمرار الذي يعتبره معرالزا وية في العمل الإداري للدول .

⁽۱) ن · م · س ص / ۳۲۳ ، ن · م · س - ج ۲ / ص ۱۵ - ۲۱۷ ·



(الخاتمـــــة)

يعتبر كتاب الخراج لأبى يوسف ١٠ وثيقة تاريخية غاية فى الأهميسة لأنها تبين أحوال الدولة الماليسة فى عهد هارون الرشيد، فقد وفسط الماليم الماليم المتساعية التى نهضت بها الدولة ، ولا سيما فى الجانب الزراعى ومن ربحث فى الرسالة يمكن استخلاص أهم النتائج الآتيسة الآركي ومن ربحث فى الرسالة يمكن استخلاص أهم النتائج الآتيسة الالتائج الآتيسة الالتنام الماريعية الاسلامية ـ أى بالكتاب والسنة ، فى جميع مجالات الحيساة ، وهو بالشريعية الاسلامية ـ أى بالكتاب والسنة ، فى جميع مجالات الحيساة ، وهو يرى أن مثل هذا الالتنام يودى الى استتباب الأمن ، ويضمن صلاح الأمة ، وأنسسه فى رقى الحضارات الانسانية ٠

- (۲) الخراج هو الأساس الذي يعتمد عليه اقتصاد الدولة الاسلامية قال جعف ابن يحيى: " الخراج عمود الملك " ولذلك فقد أكد أبو يوسف على ضرورة الاهتمام بالزراعة التي تودي الى وفرة الخراج •
- (٣) الخراج قسمان : خراج مساحة ٠٠ وهو ماكان موضوعا على الأرض المفتوحة ، منسذ عهد عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ حين حصلت الفتوح الاسلامية ٠

وخراج مقاسمة : وقد أشار به أبو يوسف بعد أن تغيرت خصوبة الأرض ، وأماكسن الأسواق ، والأسعار ، وما نجم عن ذلك من اجحاف بأهل الخراج ، الذى تبين بمناقشة قاضى القضاة لأهل الخراج ، والحق أن أبا يوسف لم يكن أول من اقترح نظام المقاسمة فقد سبقه وزير المهدى ، عبيد الله معاوية بن يسار ، غير أن المصادر لم توضح مدى تطبيق اقتراحات وزير المهدى ، وان كان من الراجح عدم نفاذه حينئسسنذ ، لاستمرار العمل بالنظام الأول في مفتتح عصر الرشيد ، الأمر الذي دفع قاضى القضاة

الى المطالبة بتطبيق نظام المقاسمة ••

- (٤) التأكيد على اهتمام ولاة الأمر بانصاف الرعيسة ، ورفع الظلم عنهم لأنهـــــم القوة البشرية التى يعتمد عليها في تنمية اقتصاد الدولة ، وذلك عن طـــريق استغلالهم للأراضي وزراعتها ، ودفع خراجها أو عشرها ، وهو مايمثل حقـــوق بيت المال ، وحقوق المحتاجين التى تعمر بها البلاد ، ويعم الرخاء ٠ ولهذا أكد أبو يوسف على أهمية اختيار الجباة الذين تتوفر فيهم الأمانة والصلاح والتقوى والثقافة في الدين والعلم ٠ اذ أنه متى توفرت هذه الصفات في الجباة والعمال قلت الإنحرافات ، وصلح حال الدولة في الناحية الادارية ، وأدى ذلك في النهايـــــــــة الى انجاز المشروعات الاقتصادية الأساسية في تنمية موارد الدولة ٠
- (a) ومن مقترحات أبي يوسف لعلاج الانحرافات التي كانت واقعة ١٠ منع نظله التقبيل الذي كان يحمل للمزارعين كثيرا من الظلم والارهاق، وكان له أسوأ الأشر على الخراج وجبايته ٠ ومنها النهي عن التصرفات الظالمة الأخرى كالجعل والخرص ، والتأخير في جباية الخراج من المزارعين لها فيه ضرر على بيت المال والنهى أيضا عن تحمل أهل الخراج أرزاق عمال الجباية أو الانفاق على أعوانها وأكد على أن يكون ذلك من بيت المال
- (٦) أشار الى أمر مهم ، وهو التأكيد على الالتزام بالعدل ، وقد ربطه أبو يوسف بالنمو الاقتصادى فهو يرى أنه بالعدل يزيد الخراج ، وتعمر البلاد •

قال: "العدل انصاف المظلوم وتجنب الظلم مع مافىذلك من الأجر ٠٠ يزيد به الخراج ، وتكثر به عمارة البلاد ، والبركة مع العدل تكون ، وهى تفقد مع الجسور والخراج المأخوذ مع الجور تنقص البلاد وتخرب • هذا عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه كان يجبى السواد مع عدله فى أهل الخراج وانصافه لهم ورفعه الظلم عنهم مائسسة ألف ألف ".

(Y) وقد أكد قاضى القضاة على ضرورة اقطاع الأرض الموات بقصد احيائه المناع وأن يوجه الاقطاع الى من كان له غناء فى الاسلام ، على أن يعمرها ويستغله ويستغلم من ذلك بأن الهدف الرئيسي هو اعانة المحتاجين وعمارة الأرض وحب كان على من منح اقطاعا أن يعمره ويستغله ، ومن لم يقم بواجب التعمير وجب على الامام أن يسترجعه منه ويعطيه لمن يعمره ، وذلك لكى لا يترك مورد من الموارد الاقتصادية فى الدولة الاسلامية معطل ، وهذا يحقق أكبر قدر ممكن من الموارد ، اضافة الى أنه يضمن عمارة البلاد ومصلحة الدولة الاسلامية و

قال أبو يوسف : " والأرض عندى بمنزلة المال ، فللامام أن يجيز من بيت المال من له غناء في الاسلام " •

ثم قال: " ولا أرى أن يترك الامام أرضا لا ملك لأحد فيها ولا عمارة حتى يقطعها فان ذلك أعمر للبلاد وأكثر للخراج " •

لقد كان القاضى أبو يوسف رجل الفقه ، المتفهم لأمور الدنيا، ومشاكل الرعيسة ، يدلى بمقترحاته وآرائسه ونصائحه الصائبة لأميسل المومنين هارون الرشيد ، ولا شك فى أن تطبيقها قد أفاد كثيرا فى تعديسا مسار الدولة ، بما ضمن الالتسلام بتطبيق الأحكام الشرعية ، اضافة لمسا أحدثته من أثر فى النواحى الاقتصادية والاجتماعية .

ل العلامن

وفيها:

ملحق رقم (١) من كتبواعن الخراج قبل القاضى أبي يوسف.

مر م (٢) قائمة الخواج في عهدها رون الرسيد.

م سر (۳) نص کناب هارون الرشید إلی والب م علی بن عیسی بن ماهان.

م مركانص كناب هارون الرسنيد إلى هرتم من أعين.

" ملحـــق رقـــم (۱) ••

من كتبوا عن الخسراج قبل القاضى أبى يوسف ٠

لم يكن أبو يوسف أول من كتب في الخراج ، وأغلب الظن أنه استفاد من جهود من سبقه من العلماء والقضاة والكتاب •

عبد الله بن المقفيع :-(١)

فمن الذين كتبوا عن الخراج ٠٠ عبد الله بن المقفع في "رسالة الصحابة "(٢) التي كتبها في أول عهد الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور ، وهي موجهة اليه وقد نصح فيها بوضع خراج على الأرض يتفق معريعها ، وبكتابة ذلك في الدواويسسن حتى يكون معروفا ويرجع اليه العمال، فان ذلك يحمل من عمسر الأرض أن يأخسسذ فضل عمارته ويكون أبعد من الظلم والخيانة ، ونهى على العمال ماعليه بعضهم مسن أخذ زراع الأرض بالمعنف والمغالاة في الخراج ، وماعليه البعض الآخر من التفاوت في

⁽۱) ابن المقفع: هو عبد الله بن المقفع الكاتب المشهور بالبلاغة ، صاحب الرسائل فى التأديب وسياسة الدولة ، وهو من أهل فارس ، وكان مجوسيا ، وقد اتصل بعيسى بن على عم السفاح والمنصور الأولين من خلفا ، بنى العباس ، وأسلم على يديه وكتب له (١٠٦ - ١٤٥٠) الجهشيارى _ الوزرا ، والكتاب _ ص / ١٠٩ ، ابن خلكان _ وفيات الأعيان _ ١٠٥١/٢ (ملى مع مع الجهشيارى _ الوزرا ، والكتاب _ ص / ١٠٩ ، ابن خلكان _ وفيات الأعيان _ ١٠٥١/٢ (ملى مع مع مع المعرفة المعرفة

⁽۲) وصلت هذه الرسالة الخطيرة ضمن مخطوطه " كتاب المنظوم والمنثور " لابن طيفور وهى مودعة في دار الكتب المصرية رقم ٥٨١ قسم علوم الأدب ج ١٣ ، وانظر محمد كرد على - رسائل البلغاء (ط ٣ القاهرة - ١٩٤٦م) ، أحمد زكى صفوت ، جمهرة رسائل العلمات في عصور العربية الزاهرة - ٣٠/٣ (ط١ ، ١٩٣٧م القاهرة) •

أخذ الخراج ، فمن زرع أخذوا منه ، ومن خرب الأرض تركوه ، مع أنه لا يعفى من الخراج من فرط في زراعة الأرض حملا له على استغلالها ٠

قال ابن المقفع: " ومما يذكر به أمير المومنين ، أمر الأرض والخسراج فان أجسم ذلك وأعظمه خطرا ، وأشده مونة وأقربه من الضياع ، مابين سهله وجبله ، ليس لها تفسير على الرساتيق (١) والقرى ، فليس للعمال أمر ينتهون اليه ويحاسبون عليه ، ويحول بينهم وبين الحكم على أهل الأرض أبعدمايتأنقون لهافى العمارة ، ويرجون لها فضل ماتعمل أيديهم ، فسيرة العمال فيهم احدى اثنتين : اما رجل أخذ بالخرق(٢) والعنف من حيث وجد وتتبع الرجال والرساتيق بالمغالاة ممن وجد ، واما رجلل ماحب مساحة ، يستخرج ممن زرع ، ويترك من لم يزرع ، فيعزم من عمر (٦) ويسلسم من أخرب ، مع أن أصول الوظائف (٤)على الكور لم يكن لها ثبت (٥) ، ولا علىسم وليس من قرية الا وقد غيرت وظيفتها مرارا ، فخفيت وظائف بعضها ، ويقيت وظائف بعض ، فلو أن أمير المومنين أعمل رأيه في التوظيف على الرساتيق والقرى والأرضيسين وظائف معلومة ، وتدوين الدواوين بذلك ، واثبات الأصول ، حتى لا يوخذ رجلا الابوظيفة قد عرفها وضمنها ، ولا يجتهد في عمارة الا كان لها فضلها ونفعها ، لرجونسا أن يكون في ذلك صلاح للرعية ، وعمارة الا كان لها فضلها ونفعها ، لرجونسا العمسال ٠٠٠ " (٧)

⁽۱) الرساتيق: جمعرستاق بالضم _ وسبق تعريفه ص/ ٢٤٥

⁽٢) الخرق: بالضم والتحريك _ ضد الرفق، وألا يحسن الرجل العمل والتصرف في الأمور • الحمق•

⁽٣) عمر : أي يعمر خزانة الدولة من عمر الأرض •

⁽٤) أصول الوظائف: أى المقد رات • .

⁽٥) ثبت: أى ليس لها قانون ثابت يجرى فيها على مقتضاه •

⁽٦) الغشم : الظلم ٠

⁽٧) أحمد زكى صفوت _ جمهرة رسائل العرب _ ج ٣ / صح ٥٥ ، ٤٦ .

وقد تضمنت هذه الرسالة الخطيرة بعد ذلك تحذيرا من أن يولى الجنــــد مسئولية النظر في أمور الخراج ٠٠ فيقول للمنصور:

" ومما ينظر فيه لصلاح هذا الجند ألا يولى أحدا منهم شيئا من الخراج فان ولاية الخراج مفسدة للمقاتلة ، ولم يزل الناسيتحامون ذلك منهم ، وينحون عنهم لأنهم أهل داله ودعوى بلاء ، واذا كانوا جلابا للدراهم والدنانير اجتروا عليهما واذا وقعو في الخيانة صار كل أمرهم مدخولا نصيحتهم وطاعتهم ، فان حيل بينه وبين وضعه أخرجتهم الحمية ، مع أن ولاية الخراج داعية الى ذله وحقر به وهوان وانما منزلة المقاتل منزلة الكرامة واللطف ، " (1)

⁽۱) أحمد زكى صفوت ٠ ن٠م٠س - ج ٣ / ص ٣٦٠

أبو عبيد الله معاوية بن يسار :-

وقد جاء بعد ابن المقفع الوزير الكف، أبو عبيد الله معاوية بن يسار في عهد الخليفة المهدى ٠

قال ابن طباطبا: " فى أيامه ظهرت أبهة الوزارة سبب كفاءة وزيــــره أبى عبيد الله معاوية بن يسار ، فانه جمع له حاصل المملكة ورتب الديوان ، وقرر القواعد وكان كاتب الدنيا ، وأوحد الناس حذقا وعلما وخبرة " ،(١)

ثم قال : " وهو أول من صنف كتابا في الخراج " . (٢)

وقد ورد فى ثنايا ترجمته بأنه : " كان كاتب المهدى ونائبه قبل الخلافـــــة ضمّــه المنصور اليه ، وكان قد عزم على أن يستوزره ، لكنه آثــر به ابنه المهـــدى فكان غالبا على أمور المهدى لا يعصى له قولا ، وكان المنصور لا يزال يوصيه فيـــه ويأمره بامتثال مايشير به ، فلما مات المنصور وجلس المهدى على سرير الخلافـــة فوض اليه تدبير المملكة ، وسلّم اليه الدواوين ، وكان مقدّما فى صناعته فاختـــرع أمورا ، منها أنه نقبل الخراج الى المقاسمة ، وكان السلطان يأخذ عن الغبلات خراجا مقررا ولا يقاسـم ، فلما ولى أبو عبيد الله الوزارة قرّر المقاسمة " (٣)

غير أن المصادر لا توضح ما اذا كان ذلك قد جرى تنفيذه أم لا • والمرجح أنه لم تتح له فرصة تطبيقه ، بدليل أن أهل الخراج ، حينما ناظرهم أبو يوسف في خراج السواد وفي الوجوه التي يجبى عليها ، ناظرهم على الخراج الموظف الذي كان يجبى في عهد أمير المؤمنين عصر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ حيث كان كثيــرا ، وقد



⁽۱) ابن طباطبا _ الفخرى في الآداب السلطانية _ ص / ۱۸۱ •

⁽۲) ن٠م٠س ـ ص / ۱۸۲٠

⁽٣) ن٠م٠س ــ

بينوا في جوابهم أن العامر من الأرض في عهد عمر - رضى الله عنه - قد أصبــــــــــــ في وقتهم غامرا ، وأوضحوا عدم قدرتهم لدفع الخراج على معدلات جباية عمر بن الخطاب لأنهم لو حاولوا استصلاح الغامر فمن أين لهم المال الذي يمكنهم من ذلك ، وكذلــــك الوقت الذي يمكنهم من أن يجنوا فيه ثمرة ذلك المجهود ، ليدفعوا الخراج المطلــوب وهذا يدل على معاناة أهل الخراج من قلة الأرض العامرة في الخراج وكثـــرة ما وظّف عليهــــــم .

وبادراك أبى يوسف لمشكلتهم ومدى تأثير ذلك عليهم ، فانه أشار على أمير المو منين هارون الرشيد بنظام المقاسمة الذى وجد فيه صلاح للرعية والسلطان •

وهذا يشعر الباحث بأن نظام المقاسمة الذى اقترح أبو يوسف تطبيقــــه انما هو نفس النظام الذى قـرر فى عصر المهدى من قبل الوزير أبى عبيد اللـــه بن يسـار ٠

ويدعم ما رجحناه من أن ذلك النظام لم يقدر له التنفيذ ، والا فلا معنــــى حينذاك لاقتراح أبى يوسف بتطبيق نظام المقاسمة ،ان المعقول هو أن مقترحات الوزيـر أبى عبيد الله بن يسار لم تلق عناية كبيرة من المهدى ، ويمكن ادراك ذلك من خلال جو الوشايات الذى واجهـه الوزيـر من خصومه ، والذى أدى الى قتل ولده بتهمـــــة الزندقـة قبل عزله عن الوزارة ، ثم وفاته عام ١٧٠ هـ (١)

فلما كان عصر الرشيد رأى أبو يوسف أن فىذلك الاقتراح الصلاح والخيـــر . للرعية والدولـة الاسلاميـة •

ويبدو أن أبا عبيد الله بن يسار كان قد حدد نسب نظام المقاسم

⁽۱) ن٠م٠س ـ ص / ١٨٢ ـ ١٨٤ ٠

قال ابن طباطبا : " فلما ولى أبو عبيد الله ـ قبر أمر المقاسمة ، وجعل (١) الخراج على النخل والشجر ، واستمر الحال في ذلك الى يومنا ، وصنف كتابا في الخراج "

وقال الماوردى : " وأشار أبوعبيدالله على المهدى ١٠ أن يجعل أرض الخراج مقاسمة بالنصف ان سقى سيحا ، وفى الدوالي على الثلث ، وفى الدواليب على الربيع ولا شيء عليهم سواه ، وأن يعمل فى النخل والكرم والشجر مساحة خراج، تقصيدر بحسب قربه من الأسواق ٠٠ (٢)

النسب التي اقترحها أبو يوسف في نظام المقاسمة ومقارنتها بما وضعيه أبو عبيد الله معاوية بن يسار وزير المهدي ٣٠٠)

أنواع الأراضـــــى كماوضعها أبو عبيد الله كما اقترحهاأبويوسف

أ ـ التىتسقىسيحا(وهىأكثرأرض السواد) برا برائي الدوالى برائي الدوالى برائي الدوالى برائي الدوالى برائي النخل والشجر خراج مساحة ، وتقدر حسب قربها برائي النخل والشجر وبعدها عن السوق بريما بريم

ويقرر ابن طباطبا بأن أبا عبيد الله معاوية بن يسار ، هو أول من صنيف كتابا فى الخراج ، وأنه قد أورد فيه الأحكام الشرعية وقواعدها ، وجاء بعسده من حذا حذوه فى الكتابة فى الخراج ٠

⁽۱) <u>ن۰م۰س</u>ـص/ ۱۸۲

⁽٢) الماوردى ـ الأحكام السلطانية ص ١٥٢ ٠

⁽٣) محمد ضياء الريس - الخراج والنظم المالية للدولة الاسلامية ص ١٤٦ (ط٤ ـ دار الانصار القاهرة ـ ١٩٧٧م) •

قال ابن طباطبا: " وصنف كتابا فى الخراج ذكر فيه أحكامه الشرعية ودقائقه وقواعده وهو أول من صنف كتابا فى الخراج ، وتبعه الناس بعد ذلك فصنعوا كتبب الخراج " .(١)

وانها لخسارة كبيرة أن يضيع هذا المولف المهم فى الادارة الماليــــــة الاسلامية اذ لم يصلنا من كتاب الخراج الذى صنفه هذا الوزير الجليل شيئا • باستثناء اشارات اليه ، وبعض نصوص منقولة عنه لا نعرف مدى دقتها • اضافة الى جهلنـــا بطبيعــة الكتاب ومنهجه ومحتواه •

⁽۱) ابن طباطبا _ ن ۰ م ۰ س _ ص/۱۸۲ _ ۱۸۶

عبيد الله بن الحسن العنبري:(١)

ولعل من المناسب أن نشير هنا الى أنه سبق أن وضعت رسالة فى الخصراج فى مفتتح عصر الخليفة المهدى • ويبدو أنها تمثل الأحكام الشرعية الدقيقصصصة التى ينبغى مراعاتها فى الخراج •

والراجح أن كاتبها هو القاضى أبو عبد الله عبيد الله بن الحسن العنبسرى الذى ولى قضاء البصرة في أول سنى خلافة المهدى عام ١٥٩ هـ • (٢)

وقد كتبها بعد أن حصلت بينه وبين الخليفة أزمة حادة بسبب عدم انفاذه أوامر الخليفة الخاصة بأنهار البصرة ، وتغليبه لأحكام الشريعة ، فقد كتب اليه الخليفة المهدى رسالة طلب فيها منه : " أن ينظر الأنهار التى كانت أيام عمسر وعثمان فيأخذ الصدقة منها ، ويأخذ من الأنهار التى أحدثت بعد ذلك الخراج ، فلم ينفذ كتابه ٠٠ فتوعده " (٣) ، فلما بلغ الخبر القاضى العنبرى عمل على أن " يجمع أشراف أهل البصرة أهل العلم بالقضاء ، وأشهدهم أنه قضى لأهل الأنهار كلهسسا التى في جزيرة العرب بالصدقة فلم يرد شيئا من القضاء " (٤) ٠

ثم كتب الى الخليفة المهدى رسالته التى أشرنا اليها والتى بدأها بالنصح والاصلاح بين الرعية ، والامتناع عن التظالم • فقال : " أن يكون لهم اماما عصدلا، وحكما مقسطا ، عطوفا بهم باذلا لهم من مال الله ، حتى يجبر الله منهسم

⁽۱) هو عبید الله بن الحسن بن الحسین بن أبی الحر العنبری " ولعبید الله بن الحسن العنبری قدروشرف، وله فقه کبیر مأثور، وما أقل من روی من الآثار، وأسند من الحدیث " وكیع ـــ اخبار القضاة ـ ج ۲/ص ۸۸۸

⁽٢) الطبرى _ تاريخ الأمم والملوك _ ج ٨/ص ١٢٣، ابن الأثير _ الكامل في التاريخ _ ج ٥/ص ٥٥٠

⁽٣) وکيع۔ ن٠م٠س۔ ج٦/ ص٩٦٠

⁽٤) ن٠م٠س ـ جـ۲/صص ٩٦، ٩٢٠

العظم الكسير ، ويسد به حاجتهم . (١)

ثم أكد على نفعه للرعية واسعاده بها وهدايتها به ٠

قال: " ولعمرى ـ يا أمير المومنين ـ فالأمر فى هولاء الناسلمن وليهـــم العائد عليهم لنفعه ، السعيد هديه الذى لا مصرف له عنه الى ماهو خير له منه فــى دينه ودنياه " • الى أن قال : " وقد علم أمير المومنين أنه قد كان يقـــــال ليوم من امام عدل خير من عبادة ستين سنة " • (٢)

ثم تحدث القاضى عبيد الله بن الحسن عن أربعة أمور مهمة :-(٣) الشغور (ξ) ، الأحكام ، الفيئ ، المستقبة .

ثم تحدث بعد ذلك عن جند الثغور فقال : " ان جند الثغور أهل النجيدة والشجاعة من المحنكين في الحرب ، يجب أن يسبغ على جنودها العطاء والرزق، ولا يقتصر ذلك على مايصيبون من غنائم ، فالثغور حصن لحماية الاسلام والمسلمين من الأعيداء ليحققوا مافيه صلاح لهم في دينهم ودنياهم .

قال عبيد الله بن الحسن: " فأما الثغور فقد علم أمير المؤمنين أن قوامها باذن الله ـ أهل النجدة والشجاعة من أهل الحنكة ، وأن مما يصلح أولئك ما أستعين لهم أن يسبغ عليهم وعلى جندهم من العطاء والأرزاق ، وأن لا يوكلوا الى ما يصيبون من غنائم ٠٠٠ "(٥)

⁽۱) وکیع نن م م س ـ ج ۲ / ص ۹۹۹

⁽۲) ن٠م٠س ـ جـ ۲ / ١٠٠٠

⁽٣) ن٠م٠س ـ ج٢/ص١٠٠٠

⁽٤) الثنور: الثغر من البلاد ١٠٠ الموضع الذي يخاف منه هجوم العدو، والثغر جمع ثغور مثل فلس وفلوس • المصباح المنير _ ص /١٢٩٠ .

⁽۵) وکیع ۰ ن۰م۰س ـ ج ۲ / ص ۱۰۰

فان الثغور حصون ـ باذن الله ـ للعباد ، وسكن للبلاد ، وقرار لهذه الأســــــة ليبلغوا منافعهم وصلاحهم في دينهم ودنياهم • " (١)

ثم أشار الى الأحكام (^{٢)}فقسال: بأن المراد بها العمل بما فى كتسساب الله، ثم بما جاء فى سنة رسول الله، ثم ما أجمع عليه أئمة الفقهاء، ثم يجتهسد الحاكم مع مشورة أهل العلم •

أما عن الشروط التي ينبغي توافرها في الحكام (٣) فقد قال : " يجب أن يكون الحاكم ورعا ، عاقلا ، عالما بالكتاب والسنة ، فقيها بمذاهب العلمات وغوامض الأمور ، ذا صرامة وحسن تدبير ، فان وجد أمير المؤمنين الحاكم المستجمع لهذه الصفات ٠٠ استعان به ٠

ثم قال : " ٠٠٠ فاذا وجد أحد أولئك استعين به ، ثم ثبتّت نعله ، وأعلى كعبه ، وشد ظهره وأزره ، وأنفذ حكمه ، وأسبغ عليه ، وعلى أعوانه وكتّابــــه من الأرزاق ٠٠٠٠ " (٤)

ثم تحدث عن الفيئ ١٠٠ ويعنى به هنا الخراج ، فقال : أنه ينبغيي وأن يكون القدر المأخيوذ أن يوخيذ من مواضعه بالشروط التي راعاها الشارع فيه ، وأن يكون القدر المأخيود معتدلا بحيث تطيقه الأرض ، ويتأتى لمن يعطيه بعد اخراجه أن ينفق على نفسيو وأهله وأعوانه وفقرا ، قرابته ، فان ذلك أعمر للبلاد ، وأدر للحلب وأكثر للخيراج وأعدل للرعيية ، (٥)

⁽۱)ن ٠ م ٠ س ـ ج ۲ / ص ١٠١ ٠

⁽٢) ن٠م٠س_

⁽٣) ن٠م٠س ـ ج ٢ / صص ١٠١، ١٠٢٠

⁽٤) ن٠م٠س ـ ج٢/ص١٠٢

⁽۵) ن۰م۰س ــ

ثم بين أن الأرض المفتوحة توقف على المسلمين ، ويوخذ منها الخراج عملا بآيـات سورة الحشر ٠٠ قال تعالى : " ما أفاء الله على رسوله منأهل القرى (١)
٠٠٠ " الى قوله : " شعيد العقاب " • وهى تعطى الخراج للفقراء والمهاجرين والأنصار والذين جاوا من بعدهم الى أن تقوم الساعة •

قال عبيد الله : " أن أهل هذه الجماعة من بقى من الاسلام ، ومن هـــو داخل فيه حتى تنقضي الدنيـا " .(٢)

وبين أن هذا تفسير عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ وتبعه عمر بـــن عبد العزيــز ـ رضى الله عنه ـ فى توزيع الفــئ ، حسبما يرى الامام فى تفضيـــل بعضهم على بعض فى مناقبهم وسابقتهم فى الاسلام (٣) ، التى بينها الله ورسولـــه ـ صلى الله عليه وسلم ـ زكاة الأنعام والثمار والأموال ، وأن تصرف فى مصارفهــــا وأن يوخــذ الوســط منها لا أحسن المال ولا أسـوأ ه ، وتوخـذ عشور التجـــارة من أهـل الذمة ضعف ما يوخـذ من المسلمين • والزكاة لا تصرف لبلد آخــر الا اذا استغنــى أهـل البلد عنها • (٤)

وأشار أن تكون أخص صفات العمال سوال أهل الذكر عمــــا يجهلون من الأحكام والأشياء والأمانة فيما في أيديهم، وأن تكون معاملة الأميـــر لهــم المكافأة والاحسان ان أحسنوا، والتأديب والعرزل ان أساءوا (٥)

أما عن الشروط التي ينبغي أن تتوفر في عمال الأمصار ، فقد قال :

⁽۱) سورة الحشر ، أيــة (۱۰) ٠

⁽۲) ن<u>٠م٠س - ج</u> ۲ / ص ۱۰۳ ٠

ر۳) <u>ن ۰ م ۰ س</u> -

⁽٤) ن٠م٠س ـ ج ٢/ص ١٠٤٠

⁽ه) ن٠م٠س - جـ ۲ / ص ١٠٥

وينبغى أن يكون عمال الأمصار أهل دين وصدق وعلم بالكتاب والسسنة ، وورع وعقال وحنكسسة ، حتى يتفهموا أمور الناس وأحوالهم ، ومايرفعونه اليهم مسن المظالم ، للبحث فيها ودفع الظلم عنهم .

وأشار على أمير المومنين بمشورة أولى الأمر ١٠ قال تعالى :" وثاورهم في الأمر وما رزقناهم ينقق ون" وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينقق ون" وأشار عليه أيضا بالجلوس للرعية للتعرف على أحوالهم ورد الظلم عن أهليم فان هذا من أعلام العدل . (١)

ولعل من المناسب أن نشير هنا الى أوجه التشابه الكبير بين محتويـــات هذه الرسالة ، وبين فصول كتاب الخراج لأبىيوسف ١٠٠ الأصر الذى يحملنــــا على القول بأن كل هذه الموضوعات ذكر فيها الآراء التى استنبطها من النصـــوص الشرعية ، ورأى أن فيها الخير للمسلمين ٠

وبذلك فان أبا يوسف لم يكن أول من كتب فى الخصراج ، ولكنصدا يتميز عمن سبقوه بأنه جمع بين الفقه الواسع ، والقضاء العادل ، فكان بهضا أقوى نظرا وأست رأيا ، كما يشهد بهذا من اطّلع على آرائسه وآراء مسن قبله ، اضافة الى أنه يعتبر أقدم كتاب وصل الينا منظما كاملا فى هسسذا الموضوص

⁽۱) ن٠م٠س ـ جـ ۲ / ص ١٠٧

" ملحـــق رقـــم (۲) ۰۰

قائمة الخراج في عهد أمير المؤمنين هارون الرشيد التي أثبتها الجهشياري في كتاب " الوزراء والكتاب " ٠٠

قـال الجهشيارى :-

" وجدت في كتاب عمله أبو الفضل محمد بن أحمد بن عبد الحميد الكاتب في أخبار خلفاء بنى العباس، بخط أبى الفضل يقول: " أنفسسا الكاتب في أخبار خلفاء بنى العباس، بخط أبى الفضل يقول: " أنفسسا الى أبو القاسم جعفر بن محمد بن حفص رقعة انتسخها من دواويسن الخسراج الكاتب، ذكر فيها أن أبا الورد عمر بن مطرف الكاتب من أهل مرو، وأنسه كان يتقلد ديوان المشرق للمهدى، وهو ولى عهد، ثم كتب له في خلاقته ولموسى ولهارون، وأنه عمل في أيام الرشيد تقديرا عرضه على يحيى بن خالد ولما يحمسل الى بيت المال بالحضرة من جميع النواحى المال والأمتعة " • (1)

القائمة منقولة عن الجهشيارى بنوع من التعديل : (٢)

⁽۱) الجهشياري _ الوزراء والكتاب _ ص / ۲۸۱ •

⁽۲) محمد فياء الدين الريس <u>- الخراج - ص / ۴۲۲</u> ن ، م

المُتعـة والعـــروض	مقدار الجباية منالأموال	أسماء الأقالينيم
	ألــف ۸۰ ۲۸۰ ۰۰۰ درهم	۱- أثمان غلاتالسواد
الحلل النجرانية ٢٠٠ حلـة	۰۰۰ ۸۰۰ ۱۲ درهم	٢- أبواب المال بالسواد
الطين للختم ٢٤٠ رطـــلا	۰۰۰ ۵۸۰ ۹۵ درهم (۱)	يكون المجموع
	۰۰۰ ۲۰۰ درهم	٣- كسـكـر
	۲۰ ۸۰۰ ۰۰۰ درهم	٤۔ كور دجلـــــة
	(1)	
	۰۰۰ ۹۸۰ ۱۲۷ درهم ^(۱) ۰۰۰ ۸۰۰ ۶ درهم	المجموع ٥- حلـــوان
السكر : ٣٠ ألف رطبل	٠٠٠ ،٠٠ ٢٥ درهم	٦- الأهواز
ماء الزبيب الأسود ٢٠ ألف	۰۰۰ ۲۷ درهم	٧- فـــارس
رطل • الرمان والسفرجل ٢٥٠		
ألف • ما • الورد ٣٠ ألف قارورة • والانبجاث ١٥ ألف		
رطل • الطين السيرا فــــى		
٥٠ ألف رطل ٠ الزبيب بالكر		
الهاشمى ٣ أكرار ٠		٨۔ کرمـــان
المتاع اليمنى والخصيبيي	۰۰۰ ۲۰۰ ۶ درهم	
رطل • الكمون ١٠٠ رطـــل٠		

⁽۱) أنظر تعليق محمد ضياء الدين الريس _ الخراج _ ص / ٤٨٩ ٠

الأمتعـــة والعـــروض	مقدار الجباية من الأموال	أسماء الأقاليـــم
	.۰۰ ۶۰۰ درهـم	۹_ مكــــران
الطعام بالقفيزالكيرخ ، مليــون	۰۰۰ ۵۰۰ درهم	١٠ السند ومايليها
قفيز، الفيلة، ٣ فيلة ٠		·
الثياب الخشبية ألفا ثوب الفوط		
٤٠٠٠ فوطة • العود الهندى ١٥٠		
منا ٠ النعال ألفا زوج ٠ وذلك		•
سوى القرنفل والجوز بوا		
الثياب المعينة ٣٠٠ ثوب ٠ الفانيد	۰۰۰ ۲۰۰ ۶ درهم	۱۱_ سجستــان
٢٠ ألف رطمل ٠		•
نقر الغضة، الامنا «ألفا نقــرة	۰۰۰ ۲۸ درهم	۱۲_ خراســـان
البراذين أربعة آلاف برذون االرقيق		•
ألف رأس، المتاع ٢٧ ألف ثوب		
الاهليــج ٣٠٠ رطــل٠		
الأبريسيم ، ألف منا ٠	۰۰۰ ۲۲ درهم	١٣_ جرجــــان
نقر الغضة ، الامناء ألف نقرة، الأكسية	۰۰۰ ۲ ۵۰۰ درهم	12_ قومىي
٧٠ كسوة • البرمان ٤٠ ألف رمانة•	, -	
القرش الطبرى ٦٠٠ قطعة ١٠٠ أكسية	۳۰۰ ۲۰۰ درهم	١٥ طبرستان والرويان
٢٠٠ كسوة ٠ الثياب ٥٠٠ شـــوب		ودنباوند
المناديل ٣٠٠ الجامات ٦٠٠جام٠		
الرمان مائة مليون رمانة ٠	٠٠٠ ١٢ درهم	١٦_ الــرى
الخوخ ألف رطــــل ٠		

⁽۱) انظر تعليق محمد صياء الدين الريس _ الخراج _ ص / ٤٨٠٠

الأمتعة والعــــروض	مقدار الجباية من الأموال	أسماء الأقاليم
العسل ٢٠ ألف رطل ٠ الشمع ٢٠ ألف رطل ٠	۱۱ ۰۰۰ ۰۰۰ درهم	۱۷_ أصفہــــان
الرب والرومانين ألف منا		
العسل الأورندى: عشــــرون ألف رطـــــل +	۰۰۰ ۲۰۰ درهم	۱۸_ همذان ودسبتی
	۰۰۰ ۲۶ درهم	۱۹ ماهى البصرة والكوفة۲۰ شهر زور ومايليها
العسل الأبيض ٢٠ ألف رطل ٠	۰۰۰ ۲۶ درهم	٢١- الموصل ومايلها
	۰۰۰ ۰۰۰ ۳۶ درهم	۲۲_ الجزيرة الديارات والفرات ۲۳_ أذربيجان
	۰۰۰ ۶ درهم	
	۰۰۰ ۳۰۰ ـ درهم	۲۲۔ موقان وکرج
من الرقيق مائة رأس • البــــز والطيلسان من العسل ١٢ زقا •		٢٥ ـ جيــــلان
ومن البزاة عشرة بزاة • ومسن الأكسية ٢٠ كسا • •		
البسط ۲۰ بساط ۱۰	۰۰۰ ۱۳ ۰۰۰ درهم	٢٦ـ أرمينية
الرقم ٥٨٠ قطعة ٠ المالح والمنب ١٠ آلاف رطل ٠ الطريخ ١٠ آلاف رطل		
البزاة ٣٠ بازيا ٠ البغال ٢٠٠ بغا		
	ومن الدنانيــــــر	
- ,	۰۰۰ ۶۹۰ ـ دینار	٢٧_ قنسرين والعواصم

الأمتعة والعسروض	مقدار الجباية من الأموال	أسماء الأقـاليم
الزبيب ألف راحلــــة ٠	۰۰۰ ۳۲۰ ـ دینار	۲۸_ حمـــص
	۰۰۰ ۶۲۰ ـ دینار	۴۹ـ دمشـــق
	۹۲ ۰۰۰ ینار	٣٠_ الأردن
ومن جميع أجناد الشام · من الزبيب ٣٠٠ ألف رطـــل ·	۰۰۰ ۳۲۰ ـ دینـار	٣١_ فلسطين
		۳۲_ مصر (سوی تنیس)
	۱ ۹۲۰ ۰۰۰ دینار	ودمياط والأشمونين)
	•	فان هذه وقفت للنفقات·
	۰۰۰ ۱ درهم	٣٣_ برقــــة
من البسط ١٢٠ بساطا	۰۰۰ ۲۰۰ ۱۳درهم	. ٣٤ افريقيـة
	۸۷۰ ۰۰۰ دینسار	٣٥_ اليمن (سوى الثياب)
	۰۰۰ ۳۰۰ دینیار	٣٦ـ الحجاز (مكة والمدينة)
وجملة التقدير (١): - العين ٥ مليون دينار - قيمتها ٠٠ حساب ٢٢ درهما للدينسار		
		: ۰۰۰ ۳۲۲ ۱۲۵ درهم ۰
العين: ۰۰۰ ۳۱۲ ۳۰۰ درهم ^{(۲}	درهم ـ يكون الورق معقيمة	والورق: ٢٠٨ ٠٠٠

⁽۱) الجهشياري ـ م ٠ س ـ ص / ۲۸۱ ، ۲۸۸ ـ ضياء الدين الريس ـ م ٠ س ـ ص / ۶۸۲ ٠

⁽٢) محمد ضياء الدين الريس ـ م ٠ س ـ ص / ٢٧٧ – ٢٨٦ ٠

ملاحظـــات:

هذا هو مجموع الخراج ، كما نص عليه الجهشيارى • ولكن نلاحظ ـ كمـا يدرك من النظرة الأولى ـ أن في هذا الحساب أخطاء •

فحاصل ضرب (٥ ملايين دينار) × ٢٢ = ١١٠ مليون فقط ٠٠ (وليس ١٢٥ مليون وحسر الذي ذكره) مما يشير الى أن سعر صرف الدينار قد بلغ أكثر من ٢٥ درهما للدينار الواحد ٠

أما مجموع جملتى العين والورق (كما ذكرهما) ٠

هــو: ٢٥ ١٢٥

8.8 Y.X

⁽۱) ن م م س ـ ص / ۲۸۲ ٠

" ملحـــق رقــم (۳) ۰۰

نص الكتاب الذي كتبه أمير المومنين هارون الرشيد الى واليه على بنعيسى ابن ماهان على خراسان • بخلعه ومصادرة أملاكه عام ١٩١ ه •

" بسم الله الرحمن الرحيم ١٠ رفعت من قدرك ، ونوهت باسمك ، وأوطأت سادة العرب عقبك ، وجعلت أبناء ملوك العجم خولك وأتباعك ، فكان جزائى أن خالفت عهدى ، ونبذت وراء ظهرك أمرى ، حيث عثت فى الأرض ، وظلمت الرعية، واسخطت الله وخليفته بسبوء سيرتك ، ورداءة طعمتك ، وظاهر خيانتك ، وقد وليّت هرثمية ابن أعين _ مولاى _ ثغير خراسان ، وأمرته أن يشد وطأته عليك وعلى وليسدك وكتابك وعمالك ، ولايترك وراء ظهوركم درهما ، ولا حقّا لمسلم ولا معاهد الاأخذكم به ، حتى تردّه الى أهله ، فان أبيت ذلك وأباه ولدك وعمالك فله أن يبسط عليكم العذاب ، ويصّب عليكم السياط ، ويحلّ بكم ما يحلّ بمن نكث وغيّسر وبسدّل وخالف ، وظلم وتعدّى وغشم ، انتقاما لله _ عز وجل _ بادئيسيل ولخليفت سه ثانيا ، وللمسلمين والمعاهدين ثالثا ، فلا تعّسرض نفسك للتسبى ولخليفت سه عانيا ، واخرج مما يلزمك طائعا أو مكرها ، "(1)

⁽۱) الطبرى _ تاريخ الأمم والملوك _ ج ۸ / ص ٣٢٧ ٠

" ملحـــقرقم (٤) ۰۰

نص كتاب أمير المومنين هارون الرشيد الى هرثمـــة بن أعين ، حيـــن ولاه على خراسان وخراجها:

" هذا ماعهد هارون الرشيد - أمير المؤمنين - الى هرثمة بن أعين - حين ولاه ثغير خراسان وأعماله وخراجه ، أمره بتقوى الله وطاعته ورعاية أمر الله ومراقبته وأن يجعل كتاب الله اماما في جميع ماهو بسبيله ، فيحل حلاله ويحرّم حرامه، ويقسف أو يردّه الى امامه ليريه الله ـ عز وحل ـ فيه رأيه ، ويعزم له على رشــــده وأمره أن يستوثق من الفاسق على بن عيسى وولده وعماله وكتابه ، وأن يشدّ عليهـــم وطأته ، ويحلُّ بهم سطوته ، ويستخرج منهم كلُّ مال يصح عليهم من خـــــراج أمير المومنين وفيي المسلمين ، فاذا استنظف ماعندهم وقبلهم من ذلك ، نظر فيسي حقوق المسلمين والمعاهدين ، وأخذهم بحق كلّ ذي حق حتى يردوه اليهم ، فــــان ثبتت قبلهم حقوق لأمير المومنين وحقوق للمسلمين ، فدافعوا بها وجحدوهما أن يصبُّ عليهـم سوط عذاب الله وأليهم نقمته ، حتى يبلغ بهم الحال التـــى ان تخطَّاها بأدنى أدب ، تلفت أنفسهم ، وبطلت أرواحهم ، فاذا خرجوا من حــــق كل ذي حقق ، أشخمهم كما تشخص العصاة من خشونة الوطاء وخشونة المطعمم والمشرب وغليظ الملبس ، مع الثقات من أمحابه الى باب أمير المومنين ـان شاء الله _ فاعمـــــل با أبا حاتـم بما عهدت اليك ، فانى آثــرت الله ودينـــــــ على هـوايّ وارادتي ، فكذلك فليكـن عملك ، وعليه فليكـن أمرك ، ودبّـر في عمـال الكسور الذين تمرّ بهسم في صعودك مالا يستوحشون معسه أصر يريبهسم، وظنّ يرعبهم. وابسط من آمال أهل ذلك الثغر ومن أمانهم وعدّرهمم ، ثم اعمل بمصلى يرضى الله عنك وخليفته ، ومن ولآك الله أمره - ان شاء الله • هذا عهدى وكتابى بخطى ، وأنا أشهد الله وملائكته وحملة عرشه وسكان سمواته وكفى بالله شهيدا " . (١)



(قائم المصادر)

القــرآن الكريــــم ٠

الـــنة النبويــــة •

ابن الأثير عبد الكريم عبد الواحد الشيبانى المعروف بابن الأثير الجزرى المالقب بعز الدين (ت ١٣٠ه) ٠

" الكامل فى التاريــــخ "

(الطبعة الرابعية - دار الكتاب العربي - بيروت - ١٤٠٠ه /

۱۹۸۰م) ۰۰

ابن الأثيـــرالجــــزرى: عـزّ الدين ابن الأثيــر الجزرى •

" اللباب في تهذيب الأنساب "

(دار صادر ـ بيروت ـ ١٤٠٠ه / ١٩٨٠م) ٠

ابن الأتي رالجوزى: الامام مجدى الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد المعدد المع

" جامع الأصول في أحاديث الرسول "

تحقيق : عبد القادر الأرناووط٠

(مكتبة دار البيان ـ ١٣٩٠هـ / ١٩٧٠م) ٠

ابن الأتي والأثر " النهاية في غريب الحديث والأثر "

(ب ط ـ ب ت) ۰

: أحمد بن يحى بن جابر البغدادى الشهير بالبلاذرى ـ ت __لاذري (۹۷۲ هـ) ٠ " فتوح البادان " ٠ (الطبعة الأولى - مطبعة الموسوعات - مصر - ١٣١٩ه/١٩١٩) ابن تف رى بردى: حمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغرى بردى الأتابكى ٠ " النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة " • (دار الكتب المصريـة -القاهـرة) ٠ ابن حجـــر العسقلاني: الامام أبو الفضل شهاب الدين أحمد بن على بن محمد ـ ت (١٥٨٥) " الدراية في تخريج أحاديث الهدايـــة " صححه وعلق عليه: عبد الله هاشم اليماني المدني • (مطبعة الغجالة الجديدة _ القاهرة _ ١٣٨٤هـ / ١٩٦٤م) • ابن حجـــر العسقالي: شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن على بن حجر العسقلانــــ ت (٢٥٨ه) " تهذيب التهديب " • (الطبعة الأولى - حيدر آباد الدكن - ١٣٢٧ه) ٠ ابن خلك ابن خلك ابو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبى بكر بن خلك ان (A. T _ 1 A. T @) . " وفيات الأعيــان وأنباء أبناء الزمان " تحقيق: احسان عباس • (دار الثقافة ـ بيـــروت ٠) ٠

ابن سلام ، أبو عبيد القاسم بن سلام ـ ت (٢٢٤ه) ٠

" كتاب الأموال "

تحقیق : محمد خلیل هراس ٠

(الطبعة الثانية - مكتبة الكليات الأزهرية - القاهرة - ١٣٩٥هـ

- (۱۹۲٥ _

ابن الطقطق . . محمد بن على بن طباطبا المعروف بابن الطقطقا •

" الفخرى في الآداب السلطانية والدول الاسلامية "

(دار بيروت للطباعة والنشر بيروت ـ ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م)٠

ابس عبسد ربسه: أيو عمر أحمد بن عبد ربه الأندلسي - (ت ٣٢٨ هـ) ٠

" العقد الفريد "

تحقيق : أحمد أمين، أحمد زين •

(الطبعة الثالثة _ مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر _ القاهرة

_ عماره / ١٩٦٥) ٠

ابن العماد الحنبلي: أبو الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي ت (١٠٨٩ هـ) ٠

" شذرات الذهب في أخبار من ذهب "

(الطبعة الثانية - دار المسيرة - بيروت - ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م) •

ابن منظ على بن أحمد بن أبى القاسم بن مكرّ بن على بن أحمد بن أبى القاسم

ابن حبقة بن منظور _ ت (۲۱۱ه / ۱۳۱۱ م) ٠

" لسان العرب " •

تحقيق: عبد الله على الكبير - محمد أحمد حسب الله - هاشم محمد

الشاذلي • (دار المعارف ـ القاهرة) • ب ر ح

ابن كثير الدمشقىت (١٧٧٤) • أبو الفداء الحافظ ابن كثير الدمشقىت (١٧٧٤) •

" البداية والنهايـــة "

دقق أصوله وحققه : دكتور احمد أبو ملحم، دكتور علـــــى نجيب عطوى وآخــــرون ٠

(الطبعة الأولى - دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م)

لم الماوردي : على بن محمد حبيب البصري الماوردي ت (٣٧٠ ـ ٤٥٠ هـ) ٠

" الأحكام السلطانية والولايات الدينية "

(الطبعة الأولى - دار الفكر للطباعة والنشر والتوزي - عمد مصلح التوزي - عمد الماء الماء على التوزي - عمد الماء الما

ابن النصحيم : أبو الفرج محمد بن اسحاق بن أبى يعقوب النديم ٠

" الفهرسيت" •

(المطبعة الرحمانية _ القاهرة _ ١٣٤٨ه) •

ابن الهمام الحنفى • كمال الدين محمد بن عبد الواحد المعروف بابن الهمام الحنفى •

" شرح فتح القديــــر "

(الطبعة الأولى ـ دار صادر للطباعة والنشر ـ بيروت ٠) بن

أبو يوســــف : يعقوب بن ابراهيم بن حبيب بن خنيس بن سعد بن حبتــة ت (۱۸۲ ه) ٠

" كتاب الخـــراج "

تحقيق وتعليق : محمد ابراهيم البنا ٠

(دار الاعتصام - القاهرة) • ب ()

التهـــانوى : مولسوى محمد على بن على التهــانوى ٠

" موسوعة اصطلاحات العلوم الاسلامية (المعروف بكشاف اصطلاحات الفنون) •

(خياط ـ بيروت) ٠ ب (خياط ـ

الجهشيارى ت (٣٣١ه) ٠ " كتاب الوزراء والكتــــاب " ٠

حققه ووضع فهارسه : مصطفى السقا ـ ابراهيم الابيارى ـ عبد الحفيظ شلبى •

(الطبعة الثانية ـ مطبعة مصطفى البابى الحلبي ـ مصر 1801 هـ / 19۸۰ م) ٠

الحافظ الذهبى : الحافظ شمس الدين أبى عبد الله ـ ت (٧٤٦ه) ٠ " كتاب دول الاسلام " ٠ (الطبعة الأولى ـ مطبعة دائرة المعارف ـ حيدر آبــاد الدكن ـ ١٣٣٧هـ) ٠

الخطيب البغـدادى : الحافظ أبى بكر أحمد بن على الخطيب ت (٣٦٣ هـ) ٠ "تاريخ بغداد أو مدينة السلام منذ تأسيسها حتى سنة ٣٦٣ هـ) ٠ " (دار الكتب العلمية ـ بيروت) ٠ ب ت

الخـــوارزمي: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن يوسف الكاتب الخوارزمي •

" مفاتيح العلوم " •

عنى بتصحيحه ونشره للمرة الأولى سنة ١٣٤٢هـ ادارة الطباعة

(مطبعة الشرق ـ القاهرة) • ب ت

دامـــادا أفندى : عبد الله بن الشيخ محمد بن سليمان المعروف بداماد أفندى ٠

" مجمع الأنهـ في شرح ملتقـي الأبحـ " •

(دار احیا التراث العربی - بیروت - لبنان) • ب

الذهبيين : الامام أبو عبد الله شمس الدين الذهبي ت (١٣٤٧ / ١٣٤٢م) •

" كتاب تذكرة الحفاظ " •

(دار احیا، التراث العربی) ۰ ب ت

الرحب عبد العزيز بن محمد الرحبي الحنفي البغدادي ت (١١٨٤ ه) ٠

" الرتاج مفتاح فقه الملوك المرصد على خزانة كتاب الخراج "

تحقيق : الذكتور أحمد عبيد الكبيسيين٠

(مطبعة الارشاد _ بغداد _ ١٩٧٣م) •

الزبيدي : محمد مرتضى الزبيدي ٠

" تاج العروس من جواهـر القاموس "

(منشورات دار مكتبة الحياة ـ بيروت) • ب

الزمخشـــرى : جار الله أبى القاسم محمود بن عمر الزمخشرىت (٥٣٨ هـ) ٠

" أساس البلاغة "

تحقيق عبد الرحيــم محمود ٠٠.

(دار المعروفة للطباعة والنشر _ بيروت _ ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩م)

الشـــافعي : أبو عبد الله محمد بن ادريس الشافعي ٠

" كتاب الأم " •

(أبناء مولوى محمد بن غلام رسول السورتى ـ تجار الكتــــب

بومبــای - الهنــد) ۰ ب

" تاريخ الطبرى ـ تاريخ الأمم والملوك " •

تحقيق : محمد أبو الفضل أبراهيم ٠

(دار سویدان ـ بیروت) . بن

العســــقلاني : الامام الحافظ أبو الفضل أحمد بن حجر العسقلاتي ت (١٥٨ه) ٠

" بلوغ المرام من أدلة الأحكام "

تحقيق وتعليق : رضوان محمد رضوان ٠

(دار الكتاب العربي _ بيروت) ، ب

العظ ... أبى الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادي عون المعبود •

" شرح سنن أبى داود مع شرح الحاقظ ابن قيم الحوزية "

ضبط وتحقيق : عبد الرحمن محمد عثمان ٠

(المكتبة السلفيــة _ المدينة المنورة _ ١٣٨٨ه/١٩٦٨م)٠

الفــــيروز آبادى : مجد الدين محمد بن يعقوب القيروز آبادى ـ ت (۱۱۲ هـ) ٠

" القاموس المحيـــط" •

(موسسـة الحلبي - القاهـــــة) ٠

" كتاب الخراج "

صححه وشرحه ووضع فهارسه : أحمد محمد شاكر ٠

(دار المعرفة للطباعة والنشر ـ بيروت) • ب ر

القرطب ي : أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي ٠

" الجامع لأحكام القـــرآن " •

(طبعة مصورة عن دار الكتب ـ دار الكاتب العربي للطباعــة

والنشر _ القاهرة _ ١٣٨٧ ه / ١٩٦٢ م) ٠

القروين تسنى الحافظ عبد الحافظ عبد الله محمد بنيزيد القزوين ي

" ابن ماجــــه "

حقق نصوصه ورقم كتابه وأبوابه وأحاديثه وعلق عليه: محمد فواد عبد الباقي ٠

(عیسی البابی الحلبی دالقاهرة) ۰ ب ت

القلقشيني : أحمد بن على بن أحمد الفز ارى القلقشندى ـ ت (٢٥٦ ـ ٢٨١ه) ٠ القلقشندى ـ ت (٢٥٠ ـ ٢٨١ه) ٠ الأعشى في صناعة الانشا "

(المطبعة الأميرية ـ القاهرة ـ ١٣٢٣ هـ / ١٩٥٤ م) ٠

وللمولف أيضــا : " مآثر الإنافة في عالم الخلافـة " •

تحقيق : عبد الستآر أحمد فراج •

(عالم الكتب _ بيروت _ طبع بالأوفست عام ١٩٨٠م) •

اللكنيوي : أبي الحسنات محمد عبد الحي اللكنوي الهندي ٠

" كتاب الفوائد البهية في تراجم الحنفية "

تصحيح وتعليق : السيد محمد بدر الدين أبو فراس النعساني.

(الطبعة الأولى مطبعة السعادة مصر م ١٣٢٤هـ) ٠

المباركف ورى : أبو العلى محمد عبد الرحمن المباركفورى - ت (١٣٥٣ ه) ٠

" جامع الترمذي مع شرح تحفة الأحوذي " ٠

(دار الكتاب العربي ـ بيروت ـ لبنان) • ب ر

المبرد : أبو العباس محمد بن يزيد المبرد ٠

" الكامــــل "

(طبعة المكتبة التجارية _ القاهرة _ ١٣٦٥ هـ) ٠

المطررزي : أبو الفتح ناصر بن عبد السيد بن على المطرزي الفقيه الحنفي • الخوارزمي ـ (٥٣٨ هـ ـ ٦١٦ ه) •

" المغـــرّب في ترتيب المغرّب "

(دار الكتاب العربي ـ بيروت ـ لبنان) • ب ر

المقـــرى الفيومي : أحمد بن محمد بن على المقرى الفيومي ـ ت (٧٧٠ هـ) ٠

" المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي "

(الطبعة الثالثية _ المطبعة الأميرية بمصر _ ١٩١٢م) •

" المواعظ والاعتبار فيذكري الخطط والآثبار "

(مكتبة احياء العلوم _ لبنان _ ١٣٢٤ هـ) •

المندري: زكى الدين عبد العظيم بن عبد القوى ـ ت (٦٥٦)

" الترغيب والترهيب ومعه كتاب الترغيب من القرآن الكريم "

(دار التراث ـ القاهــــرة) • ب ت

الامـــام مســـلم: حسلم بن الحجاج بن مسلم القشيرى النيسابورى ٠ ت (٢٠٤ ـ ٢٦١ ه) ٠

" صحيح مسلم بشرح النووى "

(المطبعة المصريحة - مصر) • ب ن

"الهداية شرح بداية المبتدى فى الفقه على مذهب الامام الأعظم أبى حنيفة النعمـــان " •

(الطبعة الأخيرة _ مطبعة مصطفى البابي الحلبي) •

وكيـــــع : محمد بن خلف بن حيان بن صدقة الضبى ، أبو بكـر الملقب بوكيـع ـ ت (٣٠٦هـ) ٠

" أخبار القضاة " ٠ (عالم الكتب ـ بيروت) ٠ ب

ياقوت الحميوى : شهاب الدين أبى عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموى الرومى البغدادى
" معجم البلدان " •

(دار بيروت للطباعة والنشر ـ ١٣٧٦ هـ / ١٩٥٧ م) ٠

(قائمــة المراجــع)

++++++++++++++++++

ابراهيم : ابراهيم أنيس ، عبد الحليم منتصر ، عطية الصوالحصيص محمد خلف الله أحمسد •

" المعجم الوسيط " •

(الطبعة الثانية _ مطابع دار المعارف _ مصر _ ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م)٠

ابراهيم زكى خورشيد، أحمد الششتاوى، عبد الحميد يونس • الدائرة المعارف الاسلامية " النسخة العربية • (مطبعة الشعب ـ القاهرة) • ب ر ر ر

ابو زهـــرة : محمـــد أبو زهرة ·

" أبو حنيفة _ حياته وعصره _ آراءه وفقهـ "

(دار الفكر العربي القاهرة) ٢٠٠٠

أبوسينة : أحمد فهمى أبو سنة ٠

" الحضارة العربية الاسلامية " ٠

(مكتبة الخانجي ـ القاهرة ـ ١٩٧٥م)

الخمـــرى : الشيخ محمــد الخضرى •

"تاريخ الأمم الاسلامية (الدولة العباسية) "

(المكتبة التجارية الكبرى _ مصر _ ١٩٧٠م) •

المـــالح : صبحــى المــالح •

```
" النظم الاسلامية _ نشأتها وتطورها " •
     ( الطبعة الرابعة ـ دار العلم للملايين ـ بيروت ـ ١٩٨٧ م ) •
                                  : محمد ضياء الدين الريس •
                     " الخراج والنظم المالية للدولة الاسلامية "
          ( الطبعة الرابعة - دار الأنصار -القاهرة - ١٩٧٧م) ٠
                                    : خير الدين الزركلي،
                                                                           الزركك
" الأعلام ، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمتعربين
                                          والمستشرقيين " •
               ( الطبعة الثالثة _ بيروت _ ١٣٨٩ هـ / ١٩٦٩م ) ٠
                                   : حسام الدين السامرائي ٠
                                                                   ___امرائي
             " الزراعة في العراق خلال القرن الثالث الهجري " •
                           ( مكتبة لبنان _ بيروت _ ١٩٧٢م) ٠
                                        : أحمد أميـــن٠
                                          " ضحى الاسلام "
            ( الطبعة العاشرة - دار الكتاب العربي - بيروت ) •
                                   : حسن ابراهيـــــم ٠
             " تاريخ الاسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي "
```

(الطبعة الثامنة - مكتبة النهضة المصرية - ١٩٧٣م) ٠

• أحمد شلبي •

" موسوعة النظم والحضارة الاسلامية السياسة والاقتصـــــاد

في التفكيـر الاسلامي " ٠

(الطبعة الثالثة _ مكتبة النهضة المصرية _ ١٩٧٤ م) •

مغـــوت : أحمد زكى صفــوت ٠

" جمهرة رسائل العرب في عصور العربية الزاهرة " •

" العصر العباسي الأول " •

(الطبعة الثانية ـ شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبــى

مصـــر ـ ۱۳۹۱ه/ ۱۹۷۱م) ۰

عبد الباقي . محمد فواد عبد الباقي ٠

" المعجم المفهرس الألفاظ القرآن الكريم " •

(مطبعة دار الكتب المصرية = القاهرة _ ١٣٦٤ ه) •

مطلـــوب : محمــود مطلوب ٠

"أبو يوسف _ حياته وآثاره وآراوه الفقهية " ٠

(مطبعة دار السلام _ بغداد _ ١٩٧٢م) ٠
